الاختلاط عند المحدثين
تعريفه ـ أهميته ـ فائدته

د. مصلح بن صالح الدُوسْكي
جامعة دهوك - العراق

يهدف البحث إلى التعريف بفن مهم وعزيز من فنون مصطلح الحديث، وهو فن الاختلاط، ومعرفة الرّواة المختلطين عند المحدّثين، فإنّ من خصائص الأمة الإسلامية عنايتها العظيمة بسنة نبيها ﷺ، صيانة لها من كل تحريف وتبديل، وذلك عن طريق التفتيش عن أحوال رواتها، بالتزام قوانين صارمة، وموازين دقيقة، هي أصح، وأدق ما وضعت في علم نقد التاريخ.

مقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد: فإنّ معرفة المختلطين من الرّواة فنّ من فنون مصطلح الحديث، وهو فن عزيز، ومهم، لما يتوقف عليه تمييز صحة كثير من الأحاديث، من ضعفها، ولهذا أفرده بعض العلماء بالتصنيف، واعتنى به، وهو حقيق بذلك، فإن أولى ما صرفت فيه الأوقات، وأفردت له المصنفات، هو سنة المصطفى ﷺ.

فقد ثبتت كثير من السنن - بل غالبها - عن طريق الآحاد، فاستدعى ذلك النظر، والتدقيق في أحوال الرّواة، من ضبط وإتقان، أو عدالة وتوثيق، وقد هيأ الله سبحانه وتعالى لهذه الأمور رجالاً،

فدرسوا أخبار الرّواة، وأحوالهم وأظهروا حقيقة كل واحد منهم، فإن كان مجروحاً حكموا بجرحه، ولم يبالوا، وإن كان ثقة أبانوا توثيقه، وكانوا في كل ذلك متجردين عن الأهواء، وحظوظ النفس، فميزانهم الذي استعملوه في ذلك هو من أدقّ ما عرفت البشرية من موازين، ولعل هذا الاهتمام بأحوال الرّواة جاء من كون الرّاوي حلقة الوصل بين السامع وبين الرسول ﷺ، فهو الذي يوصل إليه، وهو الذي يجعل السامع يتعايش مع النبي ﷺ في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته.

ومن هنا وجدت من الأهمية بمكان دراسة فن الاختلاط عند المحدّثين، لأنه فرع من شجرة هذا العلم العظيم - علم الرجال - الذي يبحث عن أحوال الرّواة جرحاً وتعديلاً، فخصصت هذا البحث للتعريف به، وذكر أهميته، وفائدته، وهو في هذا يشتمل على مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة تتضمن أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث.

فأما المبحث الأول: فخصصته لتعريف الاختلاط لغة، لتوقف فهم تعريفه الاصطلاحي، وضبطه على معناه اللغوي، فذكرت فيه أهم معاني الاختلاط في اللغة وأكثرها شيوعاً، وتداولاً.

وأما المبحث الثاني: فخصصته للتعريف بالاختلاط في اصطلاح أهل هذا الفن، فذكرت فيه ما وقعت عليه من كلام العلماء في هذا الباب، وشرحته - مستعيناً بأقوال أهل العلم - بشيء من التفصيل.

وأما المبحث الثالث: فخصصته لذكر أهمية معرفة هذا الفن، وفائدته، والله وليّ التوفيق.

المبحث الأول

الاختلاط لغة

وردت كلمة ((الاختلاط)) في اللغة للدلالة على عدّة معان، ولكننا سنقتصر في هذا البحث على أهم هذه المعاني، وأكثرها تداولاً، وسنهمل المعاني قليلة الاستعمال والتداول، وإن كانت هي الأخرى قريبة المأخذ، والأصل في المعاني المستعملة والمتداولة.

فأهم هذه المعاني: فساد العقل والأمر، والحماقة، والاعوجاج، وعدمُ الاستقامة، والرفث، والسفاد ((الجماع))[4].

وهذه المعاني جميعها تعود إلى أصل واحد، وهو الإفساد والتخليط، المضادان للتنقية والتهذيب.

❖ فأما الاختلاط بمعنى فساد العقل:

فمنه حديث الوسوسة: ((ورجع الشيطان يلتمس الخِلاط))[5].

أي: يخالط قلب المصلي بالوسوسة[6].

ومنه أيضاً حديث الحسن يصف الأبرار: ((وظن الناس أن قد خولطوا، وما خولطوا، ولكن قلبهم همٌّ عظيم))[7].

يقال: خولط فلان في عقله مخالطة: إذا اختل عقله وتغيّر، واختلط فلان، أي: فسد عقله[8].

ويقال: أخلط فلان في كلامه، إذا صار ذا تخليط، وأخلط الفرس في جريه كذلك، وهو كناية عن تقصيره فيه[9].

❖ وأما الاختلاط بمعنى فساد الأمر:

فمنه قول النبي ﷺ لابن صياد: ((خلط عليك الأمر))[10].

وقولهم: وقع القوم في خُلَيْطى، وخُلَّيطى، أي اختلاط، فاختلط عليهم أمرهم، والتخليط في الأمر: الإفساد فيه[11].

قال الخليل[12]: ((والخليطى: تخليط الأمر، إنه لفي خلّيطى من أمره))[13].

ويقال: اختلط الليل بالتراب: إذا اختلط على القوم أمرهم[14].

ويقال: اختلط الحابل[15] بالنابل[16].

أي: اجتمع القنّاص، فاختلط أصحاب النبال بأصحاب الحبائل، فلم يصيدوا شيئاً، لأنه إنما يصاد في الانتراد[17].

ويقال: اختلط المرعي[18] بالهَمَلِ[19].

ويقال: اختلط الخاثر بالزُّباد[20].

فهذه الأمثال تضرب في استبهام الأمر وارتباكه، واختلاط الأمر على القوم، حتى لا يعرفوا وجهه[21].

❖ وأما الاختلاط بمعنى الحماقة:

فمنه قولهم: رجل خِلط بين الخلاطة، أي: أحمق مخالط العقل[22].

قال مرتضى الزَّبيدي[23]: "والأخلاط: الحمقى من الناس"[24].

❖ وأما الاختلاط بمعنى الاعوجاج وعدم الاستقامة:

فمنه قول الشاعر[25]:

وأنت امرؤٌ خِلْطٌ إذا هي أرسلت
يمينك شيئاً أمسكته شمالكا

أي: إنك لا تستقيم أبدًا، وإنما أنت كالقِدحِ الذي لا يزال يتعوج وإن قُوِّم[26].

ومعنى البيت: أنت امرؤ متملّق بالمقال، ضنين بالنوال[27].

وأصل ((الخِلطِ)) بكسر الخاء: السهم والقوس المعوجّان، أي: السهم الذي ينبت عوده على عوج، فلا يزال يتعوج وإن قُوِّم[28].

والبيت السابق شاهد للسهم، وأما القوس، فشاهده قول الشاعر[29]:

وصفراء البُراية غير خِلط
كوقف العاج عاتكة اللِّياط

جاء في شرح أشعار الهذليّين[30] في معنى البيت: ((... والعاتكة: التي قدُمت، فاحمرّت، و((اللياط)): القشر الأعلى... وقوله: ((غير خلط)) يقال للقضيب إذا نبت على عوجٍ: هو خلط، والقوس التي تنبت على عوج، فهي على خطر: لأنها تغمز فتسترخي، ثم ترجع إلى حالها الأولى، ويقال للرجل إذا كان في خلقه عوج: هو خلطٌ من القوم، و((البُراية)): ((النُّحاتة)).

❖ وأما الاختلاط بمعنى الرفث:

فمنه قول الشاعر[31]:

فلما دخلنا أمكنتُ من عنانها
وأمسكتُ من بعض الخِلاطِ عناني

أي: تكلمتُ بالرفث، وأمسكتُ نفسي عنها[32].

❖ وأما الاختلاط بمعنى الجماع والسفاد:

فمنه حديث عبيدة[33]: ((وسئل ما يوجب الغسل؟: فقال الخَفْقُ[34]، والخِلاط))[35].

أي: الجماع من المخالطة[36].

ومنه ما جاء في خطبة الحجاج[37]: ((ليس أوان يكثر الخلاط))[38].

أي: ليس وقت السفاد، والتعشيش[39]، وخالط الرجلُ امرأته خلاطاً، أي: جامعها، وكذلك مخالطة الجمل الناقة[40].

فتأكد لنا مما سبق كله ما قاله ابن فارس[41] من أن: ((الخاء، واللام، والطاء أصل واحد مخالف للباب الذي قبله، بل هو مضاد له))[42].

ويقصد بكلامه هذا، ما سبق له أن ذكره في باب ((خلص))، حيث قال: ((الخاء، واللام، والصاد، أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه))[43].

فيكون معنى الخاء، واللام، والطاء عكس معنى التنقية، والتهذيب، وهو: الإفساد، والاختلال، والتعويج، وعدم الاستقامة، والتخليط، إلى آخر ما هنالك من الألفاظ التي تدل على ما يماثل هذه المعاني.

المبحث الثاني

الاختلاط اصطلاحاً

لم أجد أحداً من المتقدمين، من علماء الحديث - فيما اطلعت عليه من المصادر والمراجع المتيسرة - عرّف الاختلاط، ولعلّ السبب في ذلك هو وضوح معناه، وظهوره - عندهم -، فانعدمت الحاجة إلى التعريف به، أو لعلهم اكتفوا بذكر أسباب الاختلاط التي يظهر منها حقيقة الاختلاط، حيث يكتفي أغلبهم بذكر الأسباب، التي تؤدي بالراوي إلى الاختلاط، والوقوع فيه.

أما المتأخرون، من علماء الحديث، فقد عرّفوه إما بصورة غير مباشرة، وذلك بتعريف ((المختلط)) - اسم الفاعل من خلط -، فيتضح بعد ذلك، ويظهر حقيقة الاختلاط، كما فعله الحافظ ابن حجر العسقلاني، حيث عرّف ((المختلط)) بقوله: ((إن كان سوء الحفظ طارئاً على الرّاوي ((الثقة)). إما لكبره، أو لذهاب بصره، أو لاحتراق كتبه، أو عدمها، بأن كان يعتمدها، فرجع إلى حفظه، فساء، فهذا هو المختلط)).

أو عرفوه بصورة مباشرة، وذلك بتعريف ((الاختلاط))، الذي هو ((المصدر))، كما فعله السخاوي، حيث عرّفه بقوله: ((وحقيقته: فساد العقل، وعدم انتظام الأقوال، والأفعال، إما بخرف، أو ضرر، أو مرض، أو عرض، من موت ابن، أو سرقة مال، كالمسعودي، أو ذهاب كتب، كابن لهيعة، أو احتراقها، كابن الملقّن)).

ويبدو من هذا التعريف - بعد التأمل فيه - أنه مأخوذ من تعريف الحافظ ابن حجر للمختل، إذ الخرف كما هو - معلوم - سوء الحفظ بسبب فساد العقل، وهو يطرأ لكبر في السن، أو مرض، كذهاب البصر، ونحوه، أو لاحتراق الكتب، أو عدمها.

هذا وقد حظي تعريف الحافظ ابن حجر العسقلاني باهتمام العلماء، فتكلموا عليه، إما إيراداً واعتراضاً عليه، وإما دفاعاً وتصحيحاً له، وفصّلوا الكلام على قيوده قيداً قيداً، ولهذا السبب، ولما سبق - أيضاً - (من أن السخاوي قد استمد تعريفه من كلام الحافظ ابن حجر) فسأشرحه معتمداً على أقوال أهل العلم، ممن شرحه، أو علّق عليه:

فأما قوله: ((إن كان سوء الحفظ طارئاً على الراوي)).

فالمراد بسوء الحفظ: من لم يرجح، أو غلب جانب إصابته على جانب خطئه، وعلى هذا فالسيئ الحفظ هو من يترجح جانب إصابته على جانب خطئه، إن كان ((طارئاً)) أي: حادثاً متجدداً، أي: كان سوء الحفظ جديداً على الرّاوي، ولم يكن لازماً له، وذلك بأن صار سيئ الحفظ، بعد أن كان قوي الحفظ والذاكرة. أما من كان سوء الحفظ لازماً له - أي غير طارئ - سمي حديثه شاذاً عند بعض المحدثين.

وأما قوله: ((الثقة)).

فهذا قيد ضروري، لأنّ الرّاوي إذا لم يكن ثقة، فالحكم فيه واحد، وهو رد روايته، سواء أكان

ضابطاً، متقناً، قوي الحفظ، أم سيئ الحفظ، مختلطاً.

وقوله: ((إما لكبره)).

أي: لطول عمره، فخرف، أو فسد عقله[٥٨]. وهذا القيد إنما هو للغالبية، وإلا فإنّ الرّاوي قد يصاب بالاختلاط في فترة شبابه أيضاً، لأسباب أخرى، ستأتي.

وقوله: ((أو لذهاب بصره)).

أي: إذا كان متعوداً بالاستعانة فيما يرويه بالنظر إلى كتبه فلا يرد: أن ذهاب البصر مما يقوي الحفظ، للسلامة من الخواطر الحادثة من النواظر[٥٩].

وقوله: ((أو لاحتراق كتبه))، أو اغتراقها، أو استراقها[٦٠].

والمقصود أن كتبه قد تلفت بأي نوع من أنواع التلف، من حرق، أو نهب، أو هدم، أو غرق، أو سرقة، أو غير ذلك، فحدّث بعد ذلك من حفظه على الظن والتخمين، فيكون: قوله: ((أو عدمها)) تعميماً بعد تخصيص، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٦١]، فاندفع بهذا ما قاله محشٍّ: ((الظاهر أنه مغن عن قوله: أو: لاحتراق كتبه))[٦٢].

ويجاب عنه أيضاً:

بأن الأول، إذا كان مغنياً عن الثاني فهذا قد يعدّ عيباً في التعريفات، لا العكس، أي: أن الثاني إذا كان مغنياً عن الأول في التعريف فليس بعيب فيه. وأما في غير التعريف فيجوز التخصيص بعد التعميم أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[٦٣].

والمقصود بالعدم: فقدان الكتب، بمعنى أنه كان حاصلاً له، فصار معدوماً، لا بمعنى أنه معدوم مطلقاً[٦٤].

وقوله: ((بأن كان يعتمدها، فرجع إلى حفظه فساء)).

أي ساء حفظه، وهو علة لكون ذهاب البصر، واحتراق الكتب، وعدمها سبب لطريان سوء الحفظ، وإشارة إلى أن طريان الحفظ لا يكون لسبب عدم الكتب أصلاً، بل لسبب فقدانها بعد حصولها، فالمراد بالعدم من قوله: ((أو عدمها أن يصير معدوماً بعد حصولها، لا العدم مطلقاً - كما سبق -[٦٥].

وقوله: ((فهذا هو المختلط)).

أي: هذا الرّاوي الطارئ عليه سوء الحفظ يسمى: مختلطاً[٦٦].

وقيل: أي: هذا هو الحديث المختلط، ولو بحذف المضاف، وهذا أولى من إبقاء قوله: ((فالمختلط)) على ظاهره[٦٧].

هذا جلّ ما يتعلق بتعريف الحافظ ابن حجر. أما تعريف السخاوي، فعلى الرغم من كونه تعريفاً مباشراً للاختلاط، إلا أنه يمكننا إيراد بعض المؤاخذات عليه، منها:

أ- إنه مستمد من تعريف الحافظ ابن حجر- كما سبق بيان ذلك-.

ب- مقتضى هذا التعريف: أن لا يكون الاختلاط مختصاً بمن كان مطعوناً في سوء حفظه، ويكون متحققاً في فاحش الغلط، والمغفل أيضاً، بل كونه كل من يكون سوء حفظه طارئاً مختلطاً، أيضاً محل نظر[٦٨].

ت- قوله: ((أو احتراقها، كابن الملقّن)) المعطوف على قوله: ((أو ذهاب كتب، كابن لهيعة)).

يقال فيه: بأن الأول أي: ذهاب الكتب مغن عن الثاني. أي: احتراقها. وهو عيب في التعريفات.

وأمر آخر: ثبت - لي بعد التدقيق - أن ذهاب الكتب. واحتراقها أمر واحد - عند المحدثين-. وذلك أنّ ابن لهيعة ضرب مثلاً للاختلاط. بسبب ذهاب الكتب. وعامة كتب التراجم ذكرت - كما سيأتي - بأن كتبه احترقت. فدلّ ذلك على أن المقصود بذهاب الكتب - هنا - احتراقها.

ث- أما تمثيله بابن الملقّن للاختلاط. بسبب احتراق الكتب. فلا أثر له في هذا الباب. إذ توفي ابن الملقّن عام (٨٠٤هـ) أي بعد زمن تدوين السنة بقرون طويلة. فلا فائدة في ذكره في عداد المختلطين.

وبناء على ما سبق فإنّ كلا التعريفين السابقين- أي تعريف ابن حجر والسخاوي - مأخوذ من كلام المتقدمين - وهو أمر محمود - الذين ذكروا أسباب الاختلاط - سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله - والعوامل التي تؤدي إليه. إذ ذكروا بأن المختلطين من خلط لخرفه. ومنهم من خلط لذهاب بصره. أو لمرض ألمّ به. أو عرض طرأ في حياته كموت ابن . أو ذهاب كتب. وتلفها بسبب: الحرق. أو النهب. أو الهدم. أو الغرق. أو السرقة. ونحوها. فالتعريفان - كما يظهر - يشتملان على جميع أو أغلب أسباب الاختلاط المذكورة في كتب المتقدمين. والتي يمكن أن تطرأ على الرّاوي.

أما المناسبة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي فظاهر. إذ سوء الحفظ. وعدم انتظام الأقوال. والأفعال أيّاً كان سبب ذلك: خرفاً. أو ضرراً. أو مرضاً. ما هو إلاّ نتيجة لفساد العقل. والأمر. والحماقة. والاعوجاج. وعدم الاستقامة.

المبحث الثالث

أهمية معرفة هذا الفن وفائدته

لا شك أن شرف العلم بشرف موضوعه. ومتعلقه. لذا كان أجلّ العلوم بعد معرفة الله سبحانه وتعالى. ومعرفة رسله. وملائكته. وأولاها بصرف الأوقات فيه. وشدّ الهمم إليه. هو الفقه في الدين. بمعرفة الحلال والحرام والأوامر والزواجر. وهي الأعمال التي توصل من تعاطاها. وعملها إلى جوار ربه. في روضات الجنات. قال الله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ .

وقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم. تبياناً لكل شيء. فمنه ما بيّنه فيه نصاً. ومنه ما أجمل فيه. وبين كيفيته على لسان نبيه ﷺ. ومنه ما شرعه النبي ﷺ. ابتداء بقول. أو فعل. أو تقرير. فكان شرعاً متبعاً. قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾. وقال: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾.

ومعلوم أنه يجب على ((كل مكلف ذي عقل سليم. مطلق من إسار الشهوات الحيوانية. والشبهات الشيطانية أن يبذل جهده. ويستفرغ وسعه. في تحصيل الفوز بالنعيم الأبدي. والنجاة من العذاب السرمدي. ومن المعلوم الواضح عند كل ذي بصيرة. أن ذلك لا يحصل إلاّ بتزكية النفس. وتطهيرها من الأدناس الطبيعية. والأخلاق البهيمية. وذلك منحصر في أمرين لا ثالث لهما. وهما العلم النافع. والعمل الصالح. لكن الناس مختلفون في ذلك اختلافاً كثيراً. ومتباينون فيه تبايناً شديداً. فكل قوم يدّعون أن ما هم عليه من القول والعمل هو الحق المؤدي إلى

طهارة النفس، وتزكيتها، وأن ما سوى ذلك باطل مضرّ بصاحبه. ويقيمون على ذلك دلائل من آرائهم، وبراهين من أفكارهم، ويدّعي خصومهم مثل ذلك، ويعارضونهم بمثل ما ادّعوه لأنفسهم، وعارضوا به خصومهم، فكل بكل معارض، وبعض ببعض مناقض، وما كان هذا سبيله فليس فيه شفاء غليل، ولا برء عليل، وإذا كان ذلك كذلك لم يبق أمر يقصد إليه، ولا شيء يعول إلاّ الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وسنة الرسول الكريم، المؤيد بالدلائل الواضحات، والمعجزات الباهرات، التي يعجز كل أحد من البشر عن معارضتها، والإتيان بمثلها.

فأما الكتاب العزيز فإنّ الله تعالى تولّى حفظه بنفسه، ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٧٢)، فظهر مصداق ذلك مع طول المدة، وامتداد الأيام، وتوالي الشهور، وتعاقب السنين، وانتشار أهل الإسلام، واتساع رقعته.

وأما السنّة فإنّ الله تعالى وفّق لها حفاظاً عارفين، وجهابذةً عالمين، وصيارفة ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتنوعوا في تصنيفها، وتفننوا في تدوينها على أنحاء كثيرة، وضروب عديدة، حرصاً على حفظها، وخوفاً من إضاعتها))(٧٣).

ولما كانت سنة النبي ﷺ، ركناً لشرائع الإسلام، والمرجع بعد الكتاب في الأحكام، وكان الوصول إليه عن طريق النقلة، والرّواة، وكانوا المرقاة في معرفتها، وهو الإسناد، وجب أن تكثر عناية المتفقه، وطالب السنة، بالبحث عن عدالتهم وجرحهم، والتدقيق عن ضبطهم وإتقانهم، حيث وجد في رواة السنة، واندس في المسلمين من يكيد لدينهم، فاستدعى ذلك من علماء السنة، أن يدوّنوا علوم السنة، ويودعوها القول في الجرح والتعديل، والتوثيق والتضعيف، وأن يكتبوا قواعد في معرفة المقبول والمردود من الرّواة والمرويات، ثم أفردوا في الجرح والتعديل، وكتبت تواريخ الرّواة، وطبقات العلماء، ونقدوا الرجال من يقظة، وعلم، وورع، وألّفوا في جميع أحوال الرّواة، مما له مدخل في قبول أخبارهم، أو ردّها، حتى لم يبق من الآثار النبوية ما يجهل أمر إسناده، ولم يحظ علم من العلوم بالبحث الدقيق، أو النخل، والتحقيق، مثل علم السنة المطهرة(٧٤).

فمعرفة من اختلط من الرّواة نوع من أنواع علوم الحديث، البالغة ثلاثة وتسعين نوعاً(٧٥)، وهو فن عزيز، ومهم، كما وصفه ابن الصلاح الشهرزوري(٧٦)،(٧٧)، وأهمية هذا الفن وعزّته جاءت من فائدته، إذ على قدر فائدة الفن تكون أهميته، وفائدة معرفة هذا النوع هو: ((تمييز المقبول، من غيره))(٧٨)، أي: تمييز من قبل روايته ممن لا تقبل منه الرواية من الرّواة.

قال سبط ابن العجمي(٧٩) في مقدمة كتابه الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط(٨٠): ((وكان ينبغي لي أن أذكر في كل ترجمة من الثقات من أخذ عنه: قبل الاختلاط، أو بعده، أو أبهم أمره، ليعرف ما يقبل من حديثه دون غيره))، وعلى ذلك يتوقف معرفة صحيح الحديث من ضعيفه- كما هو معلوم-، وهذه المعرفة هي الهدف النهائي، وثمرة علم الحديث، إذ غاية ما يستفاد من علم الحديث: ((معرفة الصحيح من غيره))(٨١)، من سنة الرسول ﷺ، ولهذا قال ابن الكيال(٨٢) - بعد أن ذكر بأن كتابه الكواكب النيرات في معرفة من

اختلط من الرّواة الثقات. مشتمل على معرفة من صح أنه خلط في عمره، من الرّواة الثقات-: ((ينبغي أن يعتني به من له اعتناء بحديث سيد المرسلين، وسند المتقدمين، والمتأخرين))[٦٦].

الاستنتاجات

وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

١- هيأ الله سبحانه وتعالى لسنة النبي ﷺ رجالاً نظروا في أحوال رواتها، ودققوا فيها، من حيث الضبط، والإتقان، أو العدالة، والتوثيق، فدرسوا أخبار الرواة، وأحوالهم، وأظهروا حقيقة كل واحد منهم، إن كان مجروحاً حكموا بجرحه، ولم يبالوا، وإن كان ثقة أبانوا توثيقه، وكانوا في ذلك متجردين عن الأهواء، وحظوظ النفس، ولذلك يعدّ ميزانهم الذي استعملوه في ذلك من أدق ما عرفت البشرية من موازين.

٢- فن الاختلاط عند المحدثين فرع من شجرة علم الرجال - الذي يبحث عن أحوال الرّواة جرحاً، وتعديلاً - وهو من خصائص الأمة الإسلامية، وفن الاختلاط مهم، وعزيز، ومع ذلك لم يعط العناية اللائقة به، وما يستحقه من بحث وتنقيب.

٣- وردت كلمة الاختلاط في اللغة، للدلالة على عدّة معانٍ، ولكنني اقتصرت في هذا البحث على أهمها، وأكثرها تداولاً، كفساد العقل، والأمر، والحماقة، والاعوجاج، وعدم الاستقامة، والرفث، والسفاد ((الجماع))، وهذه المعاني جميعها تعود إلى أصل واحد، وهو الإفساد والتخليط المضادان للتنقية والتهذيب.

٤- لم يعرّف أحد من المتقدمين - فيما اطلعت عليه - الاختلاط، ولعلّ ذلك لوضوح معناه وظهوره عندهم، بل اكتفوا بذكر أسباب الاختلاط.

٥- أما المتأخرون من علماء الحديث فقد عرفوه إما بصورة غير مباشرة، وذلك بتعريف ((المختلط)) - اسم الفاعل -، كصنيع ابن حجر العسقلاني، الذي عرّفه بقوله: ((إن كان سوء الحفظ طارئاً على الرّاوي ((الثقة))، إما لكبره، أو لذهاب بصره، أو لاحتراق كتبه، أو عدمها، بأن كان يعتمدها، فرجع إلى حفظه، فساء، فهذا هو المختلط)).

أو عرفوه بصورة مباشرة، وذلك بتعريف ((الاختلاط)) - المصدر -، كصنيع السخاوي، الذي عرّفه بقوله: ((وحقيقته: فساد العقل، وعدم انتظام الأقوال، والأفعال، إما بخرف، أو ضرر، أو مرض، أو عرض من موت ابن، أو سرقة مال، كالمسعودي، أو ذهاب كتب، كابن لهيعة، أو احتراقها، كابن الملقن)).

٦- حظي تعريف الحافظ ابن حجر العسقلاني بعناية العلماء، فتكلموا عليه، إما إيراداً واعتراضاً عليه، أو دفاعاً وتصحيحاً له، وفصلوا الكلام على قيوده قيداً قيداً.

٧- كلا التعريفين السابقين مأخوذ من كلام المتقدمين، الذين اكتفوا بذكر أسباب الاختلاط، والاعتماد على كلام السلف، في مثل هذه الأمور محمود.

٨- أهمية هذا الفن تكمن في فائدته، وفائدته: تمييز من تقبل روايته ممن لا تقبل منه الرواية من رواة الحديث النبوي، وعلى ذلك يتوقف معرفة صحيح الحديث من ضعيفه، وهذه المعرفة هي الهدف النهائي من علوم الحديث، وثمرته. ■

الحواشي

١. سورة آل عمران، الآية:١٠٢.

٢. سورة النساء: الآية ١.

٣. سورة الأحزاب: الآيتان: ٧٠ و٧١.

٤. ينظر: كتاب العين (٢١٩/٤)، والصحاح (١١٢٤/٣)، ومقاييس اللغة (٣٠٩)، والمحكم (١١٦/٥)، والمفردات في غريب القرآن (١٥٥)، وأساس البلاغة (٢٤٦) والفائق في غريب الحديث (٤٢٤/٣)، والنهاية في غريب الحديث (٦٤/٢)، ولسان العرب (٢٩١/٧)، والقاموس المحيط (٨٥٩)، وتاج العروس (٢٥٨/١٩).

٥. رواه أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم (١٦٦/٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٣٢/١)، ومسلم (٢٦٠). لكن رواية مسلم مختصرة وورد الاختلاط بهذا المعنى في حديث آخر، من رواية عثمان ابن أبي العاص، وفيه: فقال عثمان: فلعمري ما أحسبه أي الشيطان خالطني بعد رواه ابن ماجه (١١٧٥/٢). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٢٤/٢-٢٢٥): إسناده صحيح، رجاله ثقات.

٦. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٦٣/٢)، ولسان العرب (٢٩٥/٧)، وتاج العروس (٢٦٩/١٩).

٧. رواه أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي في كتاب الأولياء (٣٨).

٨. ينظر: كتاب العين (٢١٩/٤)، والصحاح (١١٢٤/٣)، والمحكم (١١٦/٥)، وأساس البلاغة (٢٤٦)، والنهاية في غريب الحديث (٦٤/٢)، ولسان العرب (٢٩٤/٧-٢٩٥)، والقاموس المحيط (٨٥٩)، وتاج العروس (٢٦٧/١٩).

٩. ينظر: المفردات في غريب القرآن (١٥٥)، وتاج العروس (٢٦٦/١٩).

١٠. رواه البخاري (٢٤٤) برقم (١٣٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

١١. ينظر: كتاب العين (٢١٩/٤)، والصحاح (١١٢٤/٣)، والمحكم (١١٥/٥)، ولسان العرب (٢٩٢/٧)، والقاموس المحيط (٨٥٩)، وتاج العروس (٢٦٥/١٩).

١٢. الخليل: هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو التميمي، الفراهيدي - نسبة إلى بطن من الأزد- الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى، وكان عارفاً بها، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد عام (١٠٠هـ) في البصرة، وعاش فقيراً صابراً، كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغموراً في الناس لا يعرف، قال النضر ابن شميل: ما رأى الراؤون مثل الخليل، ولا رأى الخليل مثل نفسه. وتوفي عام (١٧٠هـ) في البصرة له: كتاب العين، ومعاني الحروف، وكتاب العروض، وغيرها. ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٧٢/١١-٧٧)، ووفيات الأعيان (٢٤٤/٢-٢٤٨)، والأعلام (٣١٤/٢).

١٣. كتاب العين: (٢١٩/٤).

١٤. ينظر: لسان العرب (٢٩٢/٧).

١٥. الحابل: أي ناصب الحبالة، وهي شبكة الصائد. ينظر: جمهرة الأمثال (٩٣/١)، وتاج العروس(٢٦٧/١٩).

١٦. النابل، هو الرامي بالنبل. ينظر: جمهرة الأمثال (٩٢/١)، وتاج العروس (٢٦٧/١٩).

١٧. ينظر: جمهرة الأمثال (٩٣/١).

١٨. المرعي: هي الإبل التي فيها رعاؤها. ينظر: لسان العرب (٧١٠/١١)، ومجمع الأمثال (٣٠٧/١).

١٩. الهمل: الإبل المهملة التي لا راعي معها. ينظر: لسان العرب (٧١٠/١١)، وجمهرة الأمثال (٩٣/١).

٢٠. الزباد: أصله الزبد يذاب، فيفسد، ولا يدري أيجعل سمناً؟ أو يترك زبداً؟. ينظر: جمهرة الأمثال (٩٣/١).

٢١. ينظر: جمهرة الأمثال (٩٣/١)، ومجمع الأمثال (٣/٨/١)، ولسان العرب (٢٩٢/٧)، والقاموس المحيط (٨٥٩)، وتاج العروس (٢٦٧/١٩-٢٦٨).

٢٢. ينظر: المحكم (١١٦/٥)، ولسان العرب (٢٩٤/٧)، والقاموس المحيط (٨٥٩)، وتاج العروس (٢٥٨/١٩ و٢٦٦ و٢٧٠).

٢٣. مرتضى الزبيدي: هو أبو الفيض، الملقب بمرتضى، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، علّامة باللغة والحديث، والرجال، والأنساب، من كبار المصنفين، أصله من واسط ((في العراق)) ومولده بالهند عام (١١٤٥هـ) في بالجرام، ومنشأه في زَبيد ((باليمن)) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله، وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه ملوك الحجاز، والهند، واليمن، والشام والعراق، والمغرب الأقصى، والترك، والسودان، والجزائر وزاد اعتقاد الناس فيه حتى كان في أهل المغرب كثيرون يزعمون أن من حجَّ، ولم ير الزبيدي، ويصله بشيء، لم يكن حجه كاملا. وتوفي بالطاعون عام (١٢٠٥هـ) في مصر. من كتبه: تاج العروس في شرح القاموس، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، وأسانيد

الكتب الستة. وغيرها ينظر: هدية العارفين: (٢/٣٤٧-٣٤٨). والأعلام (٧/٧٠). ومعجم المؤلفين (١١/٢٨٢).

٢٤. تاج العروس: (١٩/٢٧٠).

٢٥. البيت بلا نسبة في المحكم (٥/١١٧). ولسان العرب (٧/٢٩٤). وتاج العروس (١٩/٢٥٨).

٢٦. ينظر: المحكم(٥/١١٧). ولسان العرب (٧/٢٩٤). وتاج العروس (١٩/٢٥٨).

٢٧. ينظر: لسان العرب (٧/٢٩٤). وتاج العروس (١٩/٢٦٦).

٢٨. ينظر: الصحاح (٣/١١٢٥). ومقاييس اللغة (٣٠٩). والمحكم (٥/١١٧). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٥٨).

٢٩. هو: المتنخل الهذلي. كما في المحكم (٥/١١٧). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٥٨).

٣٠. شرح أشعار الهذليين (٣/١٢٧٤).

٣١. البيت بلا نسبة في المحكم (٥/١١٧). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٦٩).

٣٢. ينظر المحكم (٥/١١٧). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٦٩).

٣٣. كذا وصف بأنه حديث في النهاية في غريب الحديث (٢/٦٤). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٦٦). ولكن أسنده من رواه - كما سيأتي ﷺ إلى عبيدة. وابن مسعود. ولم يرفعوه إلى النبي ﷺ.

٣٤. الخفق. تغييب القضيب في الفرج. يقال خفق النجم. وأخفق: إذا غاب. ينظر: الغريبين في القرآن والحديث (٤/٥٧٦).

٣٥. رواه البيهقي في السنن الكبرى (١/١٦٦). بلفظ ((الدفق والخلاط)). وقال: وبإسناده عن سفيان عن جابر. عن الشعبي. عن علقمة. عن عبد الله بن مسعود مثله. وابن أبي شيبة في المصنف (١/٨٧. ولفظه ((الخلاط. والدفق)). وعبد الرزاق في المصنف (١/٢٤٨). ولفظه: ((الاختلاط. والدفق)).

٣٦. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٦٤). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٦٦).

٣٧. الحجاج: هو أبو محمد. الحجاج ابن يوسف بن الحكم الثقفي. قائد. داهية. سفاك. خطيب. ولد في الطائف عام (٤٠هـ) ونشأ بها. وانتقل إلى الشام. فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان. فكان في عديد شرطته. ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره وأمره بقتال عبد الله بن الزبير. فزحف إلى الحجاز بجيش كبير. وقتل عبد الله. وفرّق جموعه. فولاه عبد الملك مكة. والمدينة. والطائف. ثم أضاف إليها العراق. والثورة قائمة فيه. فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب. فقمع الثورة. وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط ((بين الكوفة. والبصرة)). وكان سفاكاً. سفاحاً. باتفاق معظم المؤرخين. وأخبار الحجاج كثيرة. مات بواسط سنة (٩٥هـ). وأجري على قبره الماء. فاندرس. ينظر: وفيات الأعيان (٢/٩٢). وتهذيب التهذيب (٢/٢١٠). والأعلام (٢/١٦٨).

٣٨. للإطلاع على خطبة الحجاج. وتفسير غريبها. ينظر: الكامل في اللغة والأدب للمبرد (١/٢٢٤) وما بعدها.

٣٩. ينظر: الفائق في غريب الحديث(٣/ ٤٢٤). والنهاية في غريب الحديث (٢/٦٤). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٦٦).

٤٠. ينظر: كتاب العين (٤/٢١٩). والصحاح (٣/١١٣٥). ومقاييس اللغة (٣٠٩). ولسان العرب (٧/٢٩٥). وتاج العروس (١٩/٢٦٦-٢٦٧).

٤١. ابن فارس: هو أبو الحسين. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني. من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني. والصاحب بن عباد. وغيرهما من أعيان البيان والأدب. أصله من قزوين. ولد عام (٣٢٩هـ). وأقام مدّة في همذان. ثم انتقل إلى الريّ. فتوفي فيها عام (٣٩٥هـ) من تصانيفه: مقاييس اللغة. والمجمل. والصاحبي. وغيرها. ينظر: يتيمة الدهر (٣/٤٦٣: (٤٧٠ -. وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣-١٠٦). والأعلام (١/١٩٣).

٤٢. مقاييس اللغة: (٣٠٩).

٤٣. المصدر السابق: (٣٠٩).

٤٤. سيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

٤٥. ابن حجر العسقلاني: هو شهاب الدين. أبو الفضل. أحمد ابن علي بن محمد الكناني. العسقلاني. ويعرف بابن حجر- وهو لقب لبعض آبائه. من أئمة العلم. والتاريخ. أصله من عسقلان ((بفلسطين)). ولد بالقاهرة عام (٧٧٣هـ). ولع بالأدب. والشعر. ثم أقبل على الحديث. ورحل إلى اليمن. والحجاز. وغيرهما لسماع الشيوخ. وعلت له شهرة. وأصبح حافظ الإسلام في عصره. وكان فصيح اللسان. راوية للشعر. عارفاً بأيام المتقدمين. وأخبار المتأخرين. وولي قضاء مصر مرّات. ثم اعتزل. مات في القاهرة عام (٨٥٢هـ). أما تصانيفه فكثيرة جليلة. منها: لسان الميزان. والإصابة في تمييز أسماء الصحابة. وتغليق التعليق. وغيرها. ينظر: الضوء اللامع (٢/٣٦-٤٠). وشذرات الذهب (٧/٢٧٠-٢٧٣).

والأعلام (١/١٧٨-١٧٩).

٤٦. هذا القيد موجود - فقط في اليواقيت والدرر (٢/٤٧٦)، وهو قيد ضروري، لأن الراوي إذا لم يكن ثقة فالحكم فيه واحد، وهو: ردّ روايته، سواء أكان ضابطاً متقناً، أم سيء الحفظ مختلطاً.

٤٧. نزهة النظر: ٨٢.

٤٨. السخاوي: هو شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، أصله من ((سخا)) من قرى مصر، ومولده في القاهرة عام (٨٣١هـ). مؤرخ حجة، وعالم بالحديث، والتفسير، والأدب، وأصول الفقه، والميقات، ساح في البلدان سياحة طويلة، ومات في المدينة عام (٩٠٢هـ). وصنف زهاء مائتي كتاب، من أشهرها: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، والقول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، وغيرها. ينظر: الضوء اللامع (٨/٣٣٢)، وشذرات الذهب (٨/١٥-١٧)، ومعجم المؤلفين (١٠/١٥٠).

٤٩. الضرر: ذهاب البصر، ينظر: الصحاح (٢/٧٢٠).

٥٠. المسعودي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي، أحد الأئمة الكبار، سيء الحفظ، وثقة يحيى بن معين، وقال علي بن المديني: ثقة يغلط فيما روى عن عاصم، وسلمة بن كهيل، وقال النسائي: ليس به بأس، وعن مسعر قال: ما أعلم أحداً أعلم بعلم ابن مسعود من المسعودي، وقال ابن نمير: ثقة اختلط بأخره، وضابطه أن من سمع منه ببغداد، فبعد الاختلاط، مات المسعودي عام (١٦٠هـ). ينظر: ميزان الاعتدال (٢/٥٧٤-٥٧٥)، وتهذيب التهذيب (٦/٢١٠-٢١٣) وتقريب التهذيب (١/٤٨٧).

٥١. ابن لهيعة: هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، قاضي مصر، وعالمها، قال ابن معين: ضعيف لا يحتج به، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن وهب: كان ابن لهيعة صادقاً، وقال ابن حجر: صدوق، خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك، وابن وهب أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعض شيء مقرون، مات عام (١٧٤هـ). ينظر التاريخ الكبير للبخاري (٥/١٨٢)، وميزان الاعتدال (٢/٤٧٥-٤٨٣)، وتقريب التهذيب (١/٤٤٤).

٥٢. ابن الملقن: هو سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، الشافعي، المعروف بابن الملقن، من أكابر علماء الحديث، والفقه، وتاريخ الرجال، أصله من وادي آش (بالأندلس)، ولد في القاهرة عام (٧٢٣هـ)، وتوفي بها أيضاً عام (٨٠٤هـ). له نحو ثلاثمائة مصنف، منها: إكمال تهذيب الكمال، والإعلام بفوائد عمدة الأحكام، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، وغيرها. ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٣٧٣-٣٧٦)، والبدر الطالع (١/٥٠٨-٥١١)، والأعلام (٥/٥٧).

٥٣. فتح المغيث (٤/٣٧١).

٥٤. ينظر: القاموس المحيط (١٠٢٨).

٥٥. ينظر: نزهة النظر (٨٢)، وإمعان النظر للنصر بوري السندي (١٨٢).

٥٦. ينظر شرح شرح نخبة الفكر لعلي القاري (٥٣٦)، وإمعان النظر للنصر بوري السندي (١٨٣).

٥٧. ينظر: شرح شرح نخبة الفكر لعلي القاري (٥٣٥)، والعالي الرتبة (٢٢٥)، وإمعان النظر للنصربوري السندي (١٨٢)، قلت: وهذا اصطلاح مخالف للمعروف من حدّ الشاذ، إذ المعرف من حدّ الشاذ هو: ((ما رواه المقبول مخالفاً لمن هو أولى منه)). نزهة النظر: (٥١).

٥٨. ينظر: شرح شرح نخبة الفكر لعلي القاري (٥٣٦)، واليواقيت والدرر (٢/٤٧٦)، وإمعان النظر للنصر بوري السندي (١٨٣).

٥٩. ينظر: شرح شرح نخبة الفكر لعلي القاري (٥٣٦)، وإمعان النظر للنصر بوري السندي (١٨٣).

٦٠. ينظر: المصدران السابقان.

٦١. سورة التحريم، الآية (٤).

٦٢. ذكر هذا الاعتراض وأجاب عنه القاري في شرح شرح نخبة الفكر (٥٣٦)، وأشار إليه أيضاً النصر بوري السندي في إمعان النظر (١٨٣).

٦٣. سورة البقرة، الآية (٩٨).

٦٤. ينظر: شرح شرح نخبة الفكر (٥٣٦)، وإمعان النظر للنصر بوري السندي (١٨٣).

٦٥. ينظر: المصدران السابقان.

٦٦. ينظر: شرح شرح نخبة الفكر (٥٣٦)، واليواقيت والدرر (٢/٤٧٦).

٦٧. ينظر. إمعان النظر للنصر بوري السندي (١٨٣).

٦٨. ينظر: المصدر السابق(١٨٥).

٦٩. سورة الشورى: الآية(٢٢).

٧٠. سورة الأحزاب، الآية (٢١).

٧١. سورة آل عمران، الآية (١٣٢).

٧٢. سورة الحجر، الآية (٩).

٧٣. من مقدمة تهذيب الكمال للحافظ المزي (١/١٤٦-١٤٧).

٧٤. ينظر: المقدمة التي كتبها الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف لكتاب تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني صفحة (ب).

٧٥. على ما ذكره السيوطي في تدريب الراوي (٣/٥٦٩).

٧٦. ابن الصلاح الشهرزوري: هو تقي الدين، أبو عمرو، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري، الكردي، المعروف بابن الصلاح، أحد الفضلاء المتقدمين في التفسير، والحديث، والفقه، وأسماء الرجال، ولد عام (٥٧٧هـ) في شرخان ((قرب شهرزور)). وانتقل إلى الموصل، ثم إلى خراسان، فبيت المقدس، حيث ولي التدريس في الصلاحية، وانتقل إلى دمشق، فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث، وتوفي فيها عام (٦٤٣هـ) له كتاب: علوم الحديث، والأمالي، والفتاوى، وغيرها، ينظر: وفيات الأعيان (٣/٢٤٣-٢٤٥)، ومرآة الجنان (٤/٨٤-٨٦)، و الأعلام (٤/٢٠٧-٢٠٨).

٧٧. ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح (٣٩١).

٧٨. فتح المغيث (٤/٣٧٠).

٧٩. سبط ابن العجمي: هو برهان الدين، أبو الوفا، إبراهيم ابن محمد بن خليل الطرابلسي، الحلبي، يقال له: البرهان الحلبي، وسبط ابن العجمي، عالم بالحديث، ورجاله، من كبار الشافعية، أصله من طرابلس الشام، ولد عام (٧٥٣هـ) في حلب، وفي أيامه هاجمها تيمورلنك، رحل إلى دمشق، وفلسطين، والحجاز، وأخذ عن علمائها، وتوفي في حلب عام (٨٤١هـ)، من كتبه: نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس، ونثل الفقصان في معيار الميزان، والتبيين لأسماء المدلسين، وغيرها كثير، ينظر: الضوء اللامع (١/١٣٨-١٤٥)، والبدر الطالع (١/٢٨-٣٠)، والأعلام (١/٦٥).

٨٠. الاغتباط: (٢٦).

٨١. تدريب الراوي (١/٤٢٩).

٨٢. ابن الكيال: هو زين الدين، أبو البركات، محمد بن أحمد ابن محمد، الشهير بابن الكيال الشافعي، واعظ من أهل دمشق، نشأ تاجراً، وانقطع للعلم، والوعظ، كان متقناً، محرراً، وانتفع الناس به، وبوعظه، وحديثه، مات في دمشق عام (٩٢٩هـ)، من كتبه: حياة القلوب، والجواهر الزواهر في ذم الملاعب والملاهي، والكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرّواة الثقات، وغيرها، ينظر: شذرات الذهب (٨/١٦٤)، والأعلام (٦/٢٩)، ومعجم المؤلفين (٣/٤١).

٨٣. الكواكب النيرات: (١١).

قائمة المصادر والمراجع

١ - **أساس البلاغة**: للزمخشري (ت٥٨٣هـ)، دار ومطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢ - **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٨٠م.

٣ - **الاغتباط بمعرفة من رمي بالاختلاط**: الإمام الحافظ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن خليل سبط العجمي (ت٨٤١هـ)، تح، فواز أحمد زمرلي، ط١، دار الكتاب، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٤ - **إمعان النظر شرح شرح نخبة الفكر**: للعلامة القاضي محمد أكرم النصربوري السندي، تح، أبو سعيد غلام مصطفى القاسمي، مطبعة حيدري بريس، حيدر أباد - الهند.

٥ - **الأنساب**: للإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٦ - **الأولياء**: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي (ت ٢٨١هـ)، تح، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، عام ١٣١٢هـ.

٧ - **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٨ - **تاج العروس من جواهر القاموس**، الجزء التاسع عشر، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٥٠هـ)، تح، عبد العليم الطحاوي، (بدون رقم وتاريخ وموضع الطبع).

٩ - **التاريخ الكبير**: لأبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٠ - **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تح، د. عزت عطية وموسى محمد علي، دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر.

١١ - **تقريب التهذيب**: للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تح، عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٢- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، ط١، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن - الهند، عام ١٣٢٥هـ.

١٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (٧٤٢هـ)، تح. د. بشار عواد معروف، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٤- الجرح والتعديل: للإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي (٣٢٧هـ)، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، عام ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٥- جمهرة الأمثال: لأبي هلال الحسن ابن عبد الله بن سهل العسكري، ح.د. أحمد عبد السلام ومحمد سعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٦- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٧- سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تح. حسين الأسد بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

١٩- شرح أشعار الهذليين: لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (٢٧٥هـ)، تح. عبد الستار أحمد الفراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة - مصر.

٢٠- شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر: للإمام علي بن سلطان محمد الهروي القاري (ت١٠١٤هـ)، تح. محمد نزار تميم وهيثم نزار نميم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان.

٢١- شرح معاني الآثار: للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي (ت٣٢١هـ)، ط١، بيروت - لبنان، عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)): لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور العطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٣- صحيح البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام ٢٠٠١م.

٢٤- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للمؤرخ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

٢٦- طبقات الشافعية: لأبي بكر أحمد ابن محمد بن عمر تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تح. الدكتور حافظ عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، عام ١٤-٧هـ-١٩٨٧م.

٢٧- العالي الرتبة في شرح نظم النخبة: للإمام تقي الدين أحمد بن محمد الشمني (ت ٨٧٢هـ)، تح. معتز عبد اللطيف الخطيب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، عام ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٨- علوم الحديث لابن الصلاح: للإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تح. د. نور الدين عتر، ط٣، دار الفكر، بيروت - لبنان، عام ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٩- كتاب العين - الجزء الرابع: لأبي عبد الرحمن الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تح. الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد، عام ١٠٨٢م.

٣٠- الغريبين في القرآن والحديث: تصنيف العلامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت٤٠١هـ)، تح. أحمد فريد المزيدي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، عام ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

٣١- الفائق في غريب الحديث: للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تح. إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٢- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي: للإمام أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تح. الشيخ علي حسين علي، ط٢، دار الإمام الطبري، عام ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٣٣- القاموس المحيط: للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، تح. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٣٤- الكامل في اللغة والأدب: للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان.

٣٥- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات: أبو البركات محمد بن أحمد بن محمد ابن

يوسف الشهير بابن الكيال الشافعي (٩٢٩هـ). تح. حمدي عبد المجيد السلفي. ط٢. عالم الكتب. بيروت - لبنان. عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣٦- لسان العرب: للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (٧١١هـ). دار صادر. بيروت - لبنان.

٣٧- مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد ابن محمد بن أحمد ابن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت٥١٨هـ). تح. نعيم حسين زرزور. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٨- المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ). تح. الدكتور عبد المجيد هنداوي. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: للإمام أبي محمد عبد الله ابن أسعد بن علي اليافعي اليمني (ت٧٦٨هـ). تح. خليل المنصور. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. عام ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٤٠- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: تصنيف الإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ). تح. محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط١ ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. عام ١٤٧١هـ - ١٩٩٦م.

٤١- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه : للحافظ شهاب الدين أحمد ابن بكر الكناني البوصيري (ت ٨٤٠هـ). دراسة وتقديم: كمال يوسف الحوت. ط١. دار الجنان. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٢- المصنف: للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ). تح. حبيب الرحمن الأعظمي. ط٢. المكتب الإسلامي. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٣- المصنف في الأحاديث والآثار: تأليف الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (٢٣٥هـ). تح. عبد الخالق الأفغاني. ط٢. الدار السلفية. بومباي - الهند. عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٤ معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. مكتبة المثنى. بيروت.

٤٥- المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ). تح. محمد سيد كيلاني. دار المعرفة ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

٤٦- مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ). تح. الدكتور محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان. ط١. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تح. علي محمد البجاوي. دار الفكر. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

٤٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت٨٧٤هـ). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة - مصر.

٤٩- نزهة النظر شرح نخبة الفكر: تأليف شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). تعليق وشرح: صلاح محمد محمد عويضة. ط١. دار الكتب العلمية. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. عام ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٥٠- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين ابن المبارك بن محمد الجزري بن الأثير. تح. طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. دار الفكر. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

٥١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ). تح. الدكتور احسان عباس. دار الثقافة. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

٥٢- اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر: تصنيف محمد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ) تح. ربيع ابن محمد السعودي. مكتبة الرشد. الرياض - السعودية. عام ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.

خلاصة البحث - باللغة الإنجليزية

Sum - Up

This study aims to introduce an important and an influential art to us which is mental derangement. It's considered as one of the Hadith terms. At the same time, it deals with the well- knowing of the mentally darned relators in the Hadieth scientist' consideration because taking care of the Sunnah of our prophet Muhammad (peace be upon him) is one of the Islamic nation's characteristics. That is in order to preserve it from all kinds of misleading and exchanging. This can be done well through searching the relators' statuses in sticking strict laws and accurate measurements which are righter and ,ore accurate if they are to put in history.

مقارنة بين الموازين والمكاييل المقاييس الشرعية مع المقادير المعاصرة

سيد عبد الغفار بخاري
إسلام آباد - الباكستان

لقد جاءت الشريعة الإسلامية المطهرة محذرة من التطفيف في الكيل والوزن، لما في ذلك من الظلم والعدوان وغمط الناس حقوقهم عن طريق التطفيف وبخس الكيل والوزن، وتوعد الله، المطففين بالويل والثبور، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]. وأمرهم بإيفاء الكيل والميزان، قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾[2]. ومن السنة أيضًا ما رواه ابن ماجه في سننه بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان..."[3].

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا أنه قال لأصحاب الكيل والوزن: " إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السالفة قبلكم"[4]. وكان ابن عمر رضي الله عنه يمر بالبائع فيقول: " اتق الله وأوف الكيل والوزن بالقسط، فإنّ المطففين يوم القيامة يوقفون حتى أن العرق يلجمهم إلى أنصاف آذانهم"[5].

لا شك أن حقوق الإنسان مقيدة بالتقدير بالكيل والوزن والمقياس في المطاعم والمشارب والأثمان والعقار وجميع المنقولات من مصوغات ومصنوعات ومنسوجات وغير ذلك من المعاملات. والشارع هو الذي أعطى المقادير حقها من الاهتمام والعناية بهذه المقادير. وهذه المقادير يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام: قسم

يتعلق بالموازين، وقسم يتعلق بالمكاييل، وقسم آخر يختص بالمقاييس.

القسم الأول: وهو ما يتعلق بالموازين وهو كالآتي: الأوقية، والحبة، والدانق، والدرهم، والدينار، والرطل، والقنطار، والقيراط، والمنّ، والنشّ، والنواة، وغير ذلك وسنأخذ كلاً من هذه الموازين بشيء من التفصيل وتحويلها إلى المقادير المعاصرة.

١- الأوقية: الأوقية بضم الهمزة وتشديد الياء، ويأتي جمعها على أواق والجمع يشدد ويخفف مثل أثفية وأثافي وأثاف. وجاء ذكر الأوقية في قوله ﷺ: ليس فيما دون خمس أواق صدقة.

مقدرا الأوقية: أجمع أهل الحديث وأئمة اللغة على أنّ الأوقية أربعون درهمًا، وهي أوقية أهل الحجاز. إذًا فمقدار الأوقية يكون أربعين درهما أو ما يزن سبعة مثاقيل. وتختلف الأوقية باختلاف اصطلاح البلاد. ويكون الدرهم ٣١٧ جرامًا. فيكون بالجرامات ١٢٦،٨=٣١٧×٤٠ جرامًا.

٢- الحبة: قال الدكتور محمد الخاروف: المقصود بالحبة وحدة الوزن الصغير التي هي من أجزاء كل من الدينار، ودرهم النقد، ودرهم الكيل، ومثقال الكيل صنجة يوزن بها الذهب والفضة والأحجار الكريمة: كالماس واللؤلؤ، وهي قديمة الاستعمال. وقد ورد ذكره في قوله ﷺ: من ارتبط فرسًا في سبيل الله، ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبّة حسنة.

وزن الحبة: وقد ذكر الإمام الشوكاني وغيره من الأئمة وزن الحبة حيث قالوا: الحبة سدس ثُمُن درهم، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من الدرهم.

وقال الدكتور الخاروف: أجمع فقهاء الحنفية على أنّ الدينار مائة حبة من حب الشعير، وأن الدرهم سبعون حبة من نفس الشعير. أما الجمهور، فقالوا إن الدينار ٧٢ حبة شعير، والدرهم ٥٠،٤ حبة، وعلى هذا يكون وزن الحبة من الدينار الشرعي عند الحنفية=٠،٠٤٢٥=١٠٠÷٤،٢٥ جراماً. ووزن الحبة من درهم النقد الشرعي عند الحنفية= ٠،٠٤٢٤=٧٠÷٢،٩٧ جراماً. ويكون وزن الحبة من الدينار الشرعي في نظر الجمهور= ٠،٠٥٩=٧٢÷٤،٢٥ جراماً.

٣- الدانق: الدانق معيار فارسي مروج في فارس والعراق، وجمعه دوانق، ودوانيق. وجاء ذكره في الجامع الصحيح: اكترى (استأجر) الحسن من عبد الله بن مرداس حمارًا، فقال: بكم؟ قال: بدانقين، فركبه.

وزن الدانق: قال ابن الأثير: الدانق سدس الدرهم. وذكر صاحب القاموس أن الدانق قيراطان. وذكر كثير من الفقهاء أن الدرهم ستة دوانيق، والدانق قيراطان، والقيراط طسوجان، والطسوج حبتان. على هذا فيكون الدانق قيراطان أو سدس الدرهم = ٠،٥١٠،٣ جرام.

٤- الدرهم: يقول صاحب المنجد عن تعريف الدرهم: الدرهم قطعة من فضة مضروبة للمعاملة، جمعه دراهم. وجاء ذكر الدرهم في قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه بن أبي طالب: فإذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول، ففيها خمسة دراهم.

وزن الدرهم: ذكر الإمام الشوكاني وزن الدرهم، وقال: "أما الدرهم فأجمعوا على أن كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم. والدرهم ستة دوانيق"[٢١] كما سبق أنّ الدانق هو ٣,٥١٠جراماً. وعلى هذا فيكون الدانق ٣,٥١٠×٦=٣٠١,٧ جرامًا.

٥- **الدينار:** قال صاحب المنجد ما نصه "الدينار ضرب من قديم النقود الذهبية"[٢٣]. وقد ذكر الدينار في قوله ﷺ تقطع يد السارق في ربع دينار"[٢٤]. ويقال للدينار مثقالٌ، وجاء ذكره في القرآن. قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾[٢٥]. وفي الحديث قوله ﷺ: لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان"[٢٦]. ومعنى مثال ذرة أي: وزن ذرة، و وزنة الدينار أو المثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، وكل سبعة مثاقيل تساوي عشرة دراهم[٢٧].

وزن الدينار: ذكر الأستاذ محمد الدرويش نقلاً عن صاحب كتاب الميزان في الأقيسة والأوزان أنه "توصل أي (صاحب كتاب الميزان)، بعد بحث عميق ودقيق في هذا الموضوع إلى أن وزن المثقال الذي قدر به الرطل البغدادي يساوي ٤,٥٣ جرامًا". وأن الدرهم بناء عليه يساوي ٣,١٧جرامًا[٢٨]، فيكون وزن الدينار٣,١٧×١/٣/٧=٤,٥٢جرامًا تقريبًا.

٦- **الرطل:** الرِطل والرَطل بالكسر والفتح. والكسر أشهر، معيار يوزن ويكال. وجمعه أرطال[٢٩]، وجاء ذكره في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ يتوضأ بإناء يسع رطلين. ويغتسل بالصاع"[٣٠].

أنواع الرطل وأوزانها: الرطل يختلف باختلاف أعراف الأمصار. فالرطل الشامي مقداره ٤٨٠ درهمًا[٣١]. والرطل القدسي قدره٨٠٠ درهم والرطل الحلبي قدره ٧٠٠ درهم. والرطل المصري قدره ١٤٤ درهماً[٣٢]. ولكن الفقهاء اعتبروا الرطل البغدادي أساسًا تقاس به الموزونات والمكيلات في المعاملات الشرعية، ولذا ذكر الفيومي قول الفقهاء وهو: إذا " أطلق الرطل في الفروع فالمراد به رطل بغداد"[٣٣].

مقدار الرطل: مقدار الرطل البغدادي مختلف فيه. فقيل إنه مائة وثمانية وعشرون درهمًا. وقيل مائة وعشرون درهمًا وأربع أسباع درهم. وقيل مائة وثلاثون درهمًا[٣٤].

ويقول الدكتور محمد الخاروف: " والجدير بالذكر أن الفقهاء اختلفوا في تقدير دراهم الرطل البغدادي فيما بينهم. فالحنفية قالوا بأنه يتركب من ١٣٠ درهمًا كيلاً أو ٩١مثقالاً كيلاً، وأما المالكية والحنابلة. فقالوا بأنه يتركب من ١٢٨ درهمًا كيلاً أو ٩٠ مثقالاً. وقال الشافعية إنه يتركب من ١٢٨/٤/٧ درهمًا كيلاً أو ٩٠ مثقالاً..."[٣٥].

رغم هذه الاختلاف فإنّ الراجح أن الرطل البغدادي يعادل ٤٠٨ جرامًا. ويؤيد ذلك قول الفيومي، حيث قال: "وهو - أي الرطل- البغدادي اثنتا عشرة أوقية والأوقية أستار وثلثًا. والأستار أربعة مثاقيل ونصف. والمثقال درهم وثلاثة أسباع، والدرهم ستة دوانق، والدانق ثمان حبات وخمس حبة، وعلى هذا فالرطل تسعون مثقالاً. وهي مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا وأربعة أسباع درهم"[٣٦].

ووضح الشيخ عبد الله بن سليمان ما ذكره

الفيومي كالآتي الرطل: ١٢ أوقية، والأوقية ٢/٢/١ أستار، فيكون الرطل: ١٢×٢/٢/١ = ٢٠ أستاراً والأستار = ٥، ٤ = ٩٠ مثقالاً، والمثقال: ٧/٣/١ درهم فيكون الرطل ٩٠×٧/٣/١-٧/٤/١٢٨ درهمًا، وحيث إنّ المثقال ٥٢، ٤ جرامًا فيكون مقدار الرطل بالجرامات = ٩٠×٥٢، ٤ = ٤٠٧،٧ جرامًا.

وهذا القول رجحه أبو عبيد. والإمام النووي. وشارح سنن النسائي.

٧- **القنطار:** قال الزجاج: القنطار مأخوذ من عقد الشيء وأحكامه. وقد ورد ذكر القنطار في القرآن الكريم إفرادا كما في قوله: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾. وجمعًا في قوله: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ﴾. والمراد من القنطار هنا هو العقدة الكبيرة من المال. وقيل: اسم للمعيار الذي يوزن به.

مقدار القنطار: اختلف العلماء في مقدار القنطار، فقيل القنطار ألف أوقية، رجح هذا القول ابن عطية قائلاً: وهو أصح الأقوال، لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الأوقية. وقيل اثنتا عشرة ألف أوقية، استدل فريق هذا القول بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: القنطار اثنتا عشرة ألف أوقية، والأوقية خير مما بين السماء والأرض.

والراجح هو القول الثاني، وذلك لأمرين: الأمر الأول: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي نص عليه، والأمر الثاني: أنّ الله سبحانه وتعالى ذكر القنطار تعظيمًا لمقداره، والقول بأنه ألف ومئتا أوقية قد لا يكون فيه تعظيم لشأن القنطار، كما بينا سابقًا أنّ مقدار الأوقية: ١٢٧ جراماً، فيكون مقدار القنطار ١٢٠٠٠×١٢٧ = ١٥٢٤٠٠٠ جرام، وهو ١٥٢٤ كيلو جراما.

٨- **القيراط:** وقد جاء ذكر القيراط في الحديث، إفراداً كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من تبع جنازة فله قيراط من الأجر" وجمعاً في قوله ﷺ: "كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة".

وزن القيراط: قال الإمام الشوكاني: "القيراط طسوجان، جمعه قراريط". والطسوج ربع الدانق ١/٤، والدانق قيراطان، وعلى هذا يكون الطسوج نصف القيراط، والطسوجان قيراط. وذكر ابن منظور: "إن القيراط نصف دانق... والقيراط جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشرة في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونه جزء من أربعة وعشرين". وقال الزبيدي: "إن القيراط في عرف أهل مكة ربع سدس دينار". والراجح أن القيراط نصف عشر الدينار، وهو قول أكثر العلماء، ووزن الدينار كما ذكرنا ٢٥، ٤ جرامًا، وعلى هذا فيكون وزن القيراط ٢١٢٥، ٠ جرامًا.

٩- **المن:** المن معيار يكال به الشيء أو يوزن، وجمعه أمنان، وقيل: المنا، فيجمع على أمناء مثل سبب أو أسباب.

وزن المن: ذكر ابن منظور مقدار المن رطلان. والرطل ٤٠٨ جرامات، فيكون مقدار المن ٢×٤٠٨ = ٨١٦جرامًا.

١٠- **النش:** النش بالفتح، ويقال نش الشيء أي نصفه. وقد ورد ذكره في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان صداق رسول الله ﷺ لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا". مقدار النش:

قال الجوهري: "النش عشرون درهمًا، وهو نصف أوقية. لأنهم يسمون الأربعين درهمًا أوقية ويسمون الخمسة نواة". وللعلماء أقوال أخرى في مقدار النش. قيل: هو وزن نواة من ذهب. وقيل: وزن عشرين درهمًا. وقيل: خمسة دراهم. وقيل: هو ربع أوقية. وقيل: هو نصف أوقية".

والراجح والله أعلم أن النش نصف أوقية. وذلك بما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها المذكور. وحيث إن المشهور أن الأوقية أربعون درهمًا. على هذا فيكون النش عشرين درهمًا، ومقدار الدرهم كما تقدم ٣.١٧ جرامًا. فيكون النش بالجرامات ٢٠×٣.١٧=٦٣.٤ جرامًا.

١١- النواة: النواة معيار يوزن بها. أو ضرب من النقود. وقد جاء ذكرها في حديث عبد الرحمن بن عوف حيث قال: "تزوجت امرأة من الأنصار على نواة من ذهب"[٥٧].

مقدار النواة: ذكر علامة الزبيدي قدر النواة قائلاً: "والنواة من العدد عشرون أو عشرة. وقيل: هي الأوقية من الذهب. أو أربعة دنانير. أو ما زنته خمسة دراهم". وقال الجوهري: "... ويسمون الخمسة نواة". وقال المبرد: "العرب تريد بالنواة خمسة دراهم". وقال إسحاق: قلت لأحمد بن حنبل: "كم وزن نواة من ذهب؟ قال ثلاثة وثلث". وقال الإمام أبو داؤد بعد ذكر حديث عبد الرحمن بن عوف السابق: "النواة خمسة دراهم".

والراجح أن زنة النواة خمسة دراهم، وحيث سبق أن الدرهم يساوي ٣.١٧ جرامًا. فيكون مقدار النواة بالجرامات ٥×٣.١٧=١٥.٨٥ جرامًا. وعلى مذهب الإمام أحمد يكون وزن النواة ٣٠١٧×١/٣.٣=١٠.٥٥٦١ من الجرام.

القسم الثاني: هو ما يتعلق بالمكاييل. وهي كالتالي: الإردب. والصاع. والفرق. والقدح. والقربة. والقسط. والقفيز. والقلّة. والكرّ. والكيلجة. والمختوم. والمد. والمدى. والمكوك. والوسق. والويبة. ونأخذ كل هذه المكاييل بالتفصيل وتحويلها إلى المقادير المعاصرة.

١- الإردب: الإردب يأتي جمعه على أرداب. وهو مكيال ضخم لأهل مصر. لكن أبا محمد بن بري رد عليه قائلاً: "الإردب مكيال ضخم لأهل مصر ليس بصحيح: لأنّ الإردب لا يكال به. وإنما يكال بالويبة. والإردب به ست ويبات". وجاء ذكره في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها. ومنعت مصر إردبها ودينارها".

مقدار الإردب وأقسامه: الإردب ينقسم إلى قسمين:

(١) الإردب المصري العمري. وهو ست ويبات. الويبة العمرية أي الصغيرة تساوي ١١ لترًا. وما يزن ٨.٦٩ كيلوغرامًا. وعلى هذا فيكون الإردب ٦٦ لترات و ٥٢.١٤٠ كيلو غرامًا.

(٢) الإردب المصري الأسيوطي. وهو أيضًا ست ويبات. ولكن المقصود بها الويبة الكبيرة التي تعادل ٣٣ لترًا، وما يزن ٢٥.١ كيلو غرامًا فيكون الإردب هذا ١٩٨ لترًا و١٥٠.٦ كيلو غرامًا.

٢- الصاع: الصاع مكيال تكال به الحبوب وغيرها. وهو يذكر ويؤنث. قال الفراء: أهل الحجاز

يؤنثون الصاع ويجمعونها في القلة على أصوع، وفي الكثرة على صيعان، وبنو، أسد وأهل نجد يذكرون ويجمعونها على أصواع. قال الزجاج التذكير أفصح عند العلماء. ويمكن أن يجمع على أصع[].

وقد ورد ذكر الصاع في الأحاديث المتعددة. من ضمنها حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر صاعًا من تمر[].

أنواع الصاع ومقدارها: وللصاع أنواع كثيرة نجملها في الأقسام التالية:

(١) الصاع النبوي: يقال له الصاع الحجازي. وهذا الصاع كان يستعمل للكيل في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الصحابة بعده. وهذا هو المروّج في مكة والمدينة ونواحيها. اختلف الفقهاء في مقدار هذا الصاع النبوي. وذهب جمهور العلماء إلى أنّ مقداره أربعة أمداد. وكل هذه يساوي رطل وثلث بالبغدادي. فيكون مقدار الصاع خمسة أرطال وثلث رطل. وذهب أبو حنيفة ومحمد بن الحسن إلى أن مقدار صاع النبي ﷺ أربعة أمداد. وكل مد رطلان. فيكون مقدار الصاع ثمانية أرطال[]. تقدم سابقًا أن وزن المثقال الذي قدر به الرطل البغدادي يساوي ٥٣ ، ٤جرامًا، وأنّ الدرهم بناء عليه يساوي ١٧ ، ٣جرامًا. وعليه فإنّ مقدار وزن الصاع بالجرامات باعتبار أنّ وزن المثقال ٥٣ ، ٤ جرامًا يكون = ٤٨٠×٥٣ ، ٤ = ٤ ، ٢١٧٤ جرامًا. ويكون مقدار وزن الصاع بالجرامات باعتبار أنّ وزن الدرهم ١٧ ، ٣جرامًا يكون ٧١٤ ، ٦٨٥×١٧ ، ٣ = ٧١٠٢١ ، ٢١٧٣جرامًا تقريبًا.

(٢) الصاع العراقي: يقال له الصاع البغدادي. وهذا الصاع يستعمل في بلاد العراق. وروّجه الحجاج بن يوسف. ومن ثم يقال له الصاع الحجاجي. وهذا الصاع يساوي ثمانية أرطال. وتقدم سابقًا أن الرطل يساوي ١٣٠ درهمًا. فيكون مقدار الصاع بالدرهم ٨×١٣٠=١٠٤٠ درهمًا وبالجرامات ٨ . ٢٩٦٦ . ٣جرامًا.

(٣) الصاع في عهد عمر بن عبد العزيز: وجاء ذكره في الجامع الصحيح. فعن سائب بن يزيد قال: "كان الصاع على عهد النبي ﷺ مدًا وثلثًا بمدكم اليوم. فزيد فيه في زمن عمر بن عبد العزيز"[].

(٤) الصاع الهاشمي: يساوي اثنين وثلاثين رطلًا[].

٣- العرق: العرق بفتح العين والراء. وهو المكتل والزبيل وهو مكيال للجمادات[].

مقدار العرق: ويكون مقدار العرق خمسة عشر صاعًا أو ما يعادل ستين مدًا: لأن المد يكون ستين صاعًا[]. والمد تعادل ٥٤٤ جرامًا كما سيأتي بيانه. وعلى هذا. فإنّ مقدار العرق بالجرام يكون ٦٠×٥٤٤ = ٣٢٦٤٠ جرامًا. وهو يساوي ٣١٦ ، ٤١لترًا كما قدره الدكتور محمد الخاروف[].

٤- الفَرَق: الفرق بسكون الراء وتحريكها. وهو الأشهر. وهو مكيال كبير لأهل المدينة[]. وجاء ذكره في حديث ابن عمر رضي الله عنه "... وقال من الأول اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرًا بفَرق..."[].

مقدار الفرق: اختلف العلماء في مقداره على

أقوال، فقيل: إنه ثلاثة أصُوع أو ستة عشر رطلاً[٧٤]، وقيل: أربعة أصُوع بصاع النبي ﷺ[٧٥]، وقيل: إنه خمسة أقساط. والقسط هو نصف صاع[٧٦]. وقيل: إن الفرق ستة أقساط[٧٧].

والراجح هو القول الأول لحديث كعب بن عجرة رضي الله عنه حينما قال له رسول الله ﷺ: فاحلق رأسك وأطعم فرقًا بين ستة مساكين. والفرق ثلاثة أصُوع..."[٧٨]. ولأنه هو قول أكثر المحدثين والفقهاء يقول أبو عبيد قاسم: " إنّ الفرق ثلاثة أصُوع. وهي: ستة عشر رطلاً[٧٩]. وقال أبو داؤد سمعت أحمد بن حنبل يقول: " الفرق ستة عشر رطلا"[٨٠]. ذكرنا سابقًا أنّ الصاع تساوي ٢١٧٥ جرامًا، وعلى هذا فيكون الفرق ٣×٢١٧٥=٦٥٢٥ من الجرام. كما أنّ الصاع تساوي ٢,٧٥ لترًا فيكون وزن الفرق باللتر ٣×٢,٧٥=٨,٢٥ لترًا[٨١].

٥- القدح: بفتح القاف وسكون الدال. وهو مكيال مصري. وجمعه أقداح[٨٢].

مقدار القدح: ذكر الدكتور محمد الخاروف إنّ القدحين مقدارهما مقدار الصاع النبوي. إذًا فيكون القدح نصف الصاع النبوي، وهو ٢,٧٥ لترًا ما يساوي ٢١٧٥ جرامًا[٨٣].

٦- القربة: القربة هي مكيال يكال بها قال محمد الخاروف: "إن القلة من قلال هجر تساوي قربتين وشيئًا. وحيث إنّ القلتين تبلغان خمسمائة رطل، وإنّ القربة تبلغ مائة رطل، وهما تقدران ٢٠٧ لترات، وكما أنّ القربة هي خمس القلتين. فإنّ مقدارهما ٤,٦١ باللتر. والرطل يساوي ٤٠٨ جرامات، وعليه فإنّ مقدارها أي القربة ٤٠٨٠٠ من الجرامات[٨٤].

٧- القسط: القسط مكيال يسع فيه نصف صاع، ويأتي جمعه على أقساط[٨٥]. وقد ورد ذكره في حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه عنها عطاء بن رباح قال: حدثتني عائشة بيننا وبينها حجاب. قالت: كنت أغتسل أنا وحبيبي ﷺ من إناء واحد قال (عطاء بن رباح). وأشارت إلى الإناء في البيت قدر الفرق قال: (عطاء) والفرق ستة أقساط[٨٦].

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام القسط من مجموعة المكاييل والموازين التي جاءت بذكرها الآثار[٨٧]. والصاع كما بيّنا يكون ٢١٧٥ من الجرام فعليه يكون مقدار القسط ٢١٧٥÷٢=١٠٨٧,٥ من الجرامات.

٨- القفيز: قال ابن منظور: "والقفيز من المكاييل معروف، وهو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق. وهو من الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعًا. وقيل: هو مكيال تتواضع الناس عليه"[٨٨]. وجاء ذكره في الحديث النبوي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" منعت العراق درهمها وقفيزها"[٨٩]. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ووضع عمر رضي الله عنه على أهل السواد على كل جريب عامر وغامر درهمًا وقفيزًا"[٩٠].

مقدار القفيز: القفيز يساوي ستة وثلاثين صاعًا وهو يزن ٢٦,١١٢ كيلو أو ما سعته ٢٣,٠٥٢ لترًا[٩١].

٩- القلة: القُلّة بضم القاف الحب العظيم، والجمع قلال. وهي معروفة بالحجاز. وهي الجرة العظيمة[٩٢]. قال ابن منظور: "القلة الحب العظيم

وقيل الجرة العظيمة. وقيل الجرة العامة. وقيل الكوز الصغير والجمع قُلل، وقلال. وقيل: هو إناء للعرب كالجرّة الكبيرة"(٩٣). والقلة المشهورة عند العلماء، هي قلة هجر كما جاء في حديث المعراج قوله ﷺ: رفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول"(٩٤). وقوله ﷺ: "إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث"(٩٥).

مقدار القلة: ذكر الإمام الترمذي مذهب الفقهاء في القلّة حيث قالوا: "يكون نحو خمس قرب"(٩٦). قال صاحب تحفة الأحوزي: "مقدار القلتين قريبًا من خمس قرب، وبذلك نحو خمس مائة رطل"(٩٧). وذكر ابن قدامة: "قلتان من قلال هجرهما خمس قرب، كل قربة مائة رطل بالعراقي، فتكون القلتان خمس مائة رطل بالعراقي"(٩٨).

إذا القلة الواحدة تساوي مائتين وخمسين رطلاً، وقد سبق مقدار الرطل بالجرام، وأنه يساوي ٤٠٨ جرامًا. فيكون مقدار القلة الواحدة بالجرام ٢٥٠×٤٠٨=١٠٢٠٠٠ من الجرامات.

١٠- **الكُرُّ**: الكُرُّ مكيال لأهل العراق، ويأتي جمعه أكرار، وجاء ذكره في حديث ابن سيرين: "إذا بلغ الماء كرًا لم يحمل نجسا، وفي رواية: "إذا كان الماء قدر كر لم يحمل القذر"(٩٩).

مقدار الكُرّ: ذكر صاحب القاموس أنَّ: "الكُرّ مكيال للعراق وستة أوقار حمار، وهو ستون قفيزًا"(١٠٠). وقال الأزهري: "الكرّ ستون قفيزًا، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف، فهو على هذا الحساب اثنا عشر وسقًا، وكل وسق ستون صاعًا"(١٠١). والوسق يكون ١٣٠٥٠٠ جرامًا وعلى هذا فيكون مقدار الكر بالجرامات ١٢×١٣٠٥٠٠=١٥٦٦٠٠٠ من الجرامات.

١١- **الكيلجة**: الكيلجة بكسر الكاف وفتح اللام، وهي مكيال لأهل العراق، وجمعه كيلجات أو كيالج(١٠٢).

مقدار الكيلجة: الكيلجة تساوي منًا وسبعة أثمان المن، والمن رطلان، وقد ذكرنا إنّ الرطل يكون ٤٠٨ جرامًا، وسبعة أثمان المن هي ١٧٤ جرامًا. إذًا فمقدار الكيلجة ٨١٦+٧١٤=١٥٢٠ جرامًا، أي كيلوجراماً و٥٢٠ جرامًا.

١٢- **المختوم**: المختوم مكيال يساوي الصاع، قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "والمختوم هاهنا هو الصاع بعينه، وإنما سمي مختومًا لأنّ الأمراء جعلت على أعلاه خاتمًا مطبوعًا لئلا يزاد فيه ولا ينتقص منه"(١٠٣).

وقد ذكر أبو عبيد من أصناف المكاييل التي نقلت عن النبي ﷺ وعن أصحابه والتابعين بعدهم(١٠٤).

مقدار المختوم: المختوم يساوي الصاع، وحيث إنّ الصاع ٢١٧٥جرامًا، وعلى هذا فيكون قدر المختوم ٢١٧٥جراماً.

١٣- **المد**: المد ضرب من المكاييل وهو ربع صاع، ويأتي جمعه على أمداد ومدد ومداد(١٠٥). وقد ذكر ابن الأثير توجيه المد فقال: "إنّ أصل المد مقدار أن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعمًا"(١٠٦). ويأتي المد في معنى المكوك كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "كان رسول الله ﷺ يغتسل بخمس مكاكيك، ويتوضأ بمكوك"(١٠٧). والمكوك هنا في معنى المد كما صرح بذلك الإمام النووي في شرح هذا الحديث المذكور(١٠٨).

مقدار المد: اختلف الفقهاء في مقدار المد، واختلافهم يرجع إلى مقدار الصاع. وسبق في بحث الصاع أنه أربعة أمداد وأكثر الفقهاء يرون أن المد رطل وثلث كما عند أهل الحجاز وهذا يساوي ٥٠٨ جرامًا كما مر سابقًا.

١٤- المدي: المدي جمعه أمداء، مكيال كبير كان مستعملا قبل الإسلام في الشام ومصر. وورد ذكره في الحديث النبوي السابق قوله ﷺ :"..... منعت الشام مديها ودينارها....". ولما افتتحت أرض الشام عنوة في خلافة عمر رضي الله عنه أجرى على خراجها هذا المكيال.

مقدار المدى: المدى يساوي أربع وخمسين رطلاً. وهو يعادل ٢٣,٢٤٠ لترًا أو ١٨,٣٦٠ كيلو جرامًا.

١٥- المكّوك: المكوك بفتح الميم وتشديد الكاف، وجمعه مكاكيك، ومكاكي. وهو مكيال يكال به. وقيل طاس يشرب به. وقد ورد ذكره في حديث أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يغتسل بخمس مكاكيك ويتوضأ بمكوك". قال النووي بعد ذكر الحديث: "لعل المراد بالمكوك هنا المد كما قال في الرواية الأخرى" يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد".

لقد ثبت من لغة العرب أن المكوك مكيال بذاته، وذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾. كهيئة المكوك وكان للعباس مثله في الجاهلية يشرب منه.

مقدار المكوك: ذكر ابن منظور قدر المكوك، فقال: "المكوك هو مكيال يسع صاعًا ونصفًا".

وهناك أقوال على مقدارها. فقيل أن مقداره صاع ونصف، وقيل: إنه نصف ويبة، وهو أحد عشر مدًا. وقيل: إنه ثلاث كيلجات. والقول الأخير عليه أكثر أهل اللغة، وقد سبق ذكر مقدار الكيلجة ١٥٣٠ جراماً. وعلى هذا فيكون مقدار المكوك ١٥٣٠×٣ = ٤٥٩٠ جرامًا.

١٦- الوسق: الوسق بفتح الواو وكسرها، والأول أشهر، وهو مكيال معروف، وجمعه أوساق. وقد ورد ذكر الوسق في قوله ﷺ : ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة".

مقدار الوسق: لقد اتفق العلماء في مقدار الوسق، وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ، قال أبو عبيد القاسم: الوسق ستون صاعًا". وجاء النص في مقداره في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو قوله ﷺ: الوسق ستون صاعًا". والصاع تقدم أنه ٢١٧٥ جرامًا، وعلى هذا فيكون مقدار الوسق ٦٠×٢١٧٥ = ١٣٠٥٠٠ جرامًا.

١٧- الويبة: الويبة مكيال معروف.

مقدار الويبة: ذكر الدكتور محمد الخاروف أنها سدس الإردب المشهور لدى أهل العلم، هو العمري، كما سبق أن مقدار الإردب العمري ٥٢,١٤٠كيلوجراماً. فسدسه ٨,٦٩٠ كيلوجراماً، فيكون هذا هو مقدار الويبة بالضبط.

القسم الثالث: المقادير التي تتعلق بالمقاييس وهي كالتالي: إصبع، باع، بريد، خطوة، ذراع، شبر، فرسخ، قبضة، ميل.

ونأخذ كل هذه المقاييس بالتفصيل وتحويلها إلى المقادير المعاصرة.

١- الإصبع: معيار للمقياس، ويأتي جمعه على أصابع، وجاء ذكره في حديث عمر رضي الله عنه

قال: "نهى رسول الله ﷺ عن الحرير موضع إصبعين أو ثلاث أو أربع" .

مقياس الإصبع: قال الإمام النووي الإصبع ست شعيرات معترضات معتدلات"، وهذا المقياس يساوي ١٩.٠٥ مليميترًا أو ٤/١٠٣ بوصة.

٢- الباع: معيار للمقياس، وجاء ذكره في الحديث القدسي يقول الله تعالى: "إذا تقرب العبد إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إليّ ذراعًا تقربت منه باعًا".

مقياس الباع: قال صاحب القاموس: الباع قدر مد اليدين". ويقول العلامة الباجي: الباع طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، وذلك قد أربعة أذرع". إذاً الباع قدره أربعة أذرع، وهو ١.٨٢٨ مترًا و٧٢ بوصة.

٣- البريد: معيار للمقياس، ويأتي جمعه برد، وقد ورد ذكره في الجامع الصحيح تعليقًا ... وكان ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما يقصران في أربعة برد، وهي ستة عشر فرسخًا" .

مقياس البُرد: على ضوء الحديث المذكور يكون البريد أربعة فراسخ، والفرسخ يساوي أربعة أميال و٨٣٥ ذراعاً، وهو يساوي ٧.٢٠٠٩٠٠ مترًا فيكون البريد ١٢ ميلاً هاشميًا، ويساوي ١٧ ميلاً ١٥٧٠ ذراعاً أو ٢٨.٨٠.٣٠٠ كيلوميتراً.

٤- الخطوة: معيار للمقياس، وجمعه خطىً أو خطوات، وذكر صاحب القاموس أن "الخطوة ما بين القدمين". ويقول ابن الأثير: "الخطوة ما بين القدمين في المشي". إذاً الخطوة تساوي ٦٠٩٦ مليمترًا.

٥- الذراع: الذراع وجمعه أذرع وذرعان، وجاء ذكره في الحديث السابق إذا تقرب إلي ذراعًا..."، وقال صاحب القاموس: والذراع من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى".

مقياس الذراع: تكون الذراع عند المتقدمين ٣٢إصبعاً وعند المتأخرين ٢٤ إصبعاً (من أصابع اليد)".

٦- الشبر: الشبر معيار للمقياس، وجمعه أشبار، قال صاحب القاموس: "الشبر هو ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر". وجاء ذكره في حديث أنس رضي الله عنه السابق "إذا تقرب العبد إليّ شبرًا تقربت...". ويكون الشبر لرجل متوسط القامة تسع بوصات وهو يساوي ٢٢٨.٦ ملميتراً.

٧- الفرسخ: الفرسخ بفتح الفاء وسكون الراء وجمعه فراسخ، وقد جاء في قوله ﷺ: إنَّ الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس". وقال صاحب القاموس: فرسخ الطريق ثلاثة أميال هاشمية". على هذا فيكون الفرسخ ثلاثة أميال هاشمية، وهو يساوي أربعة أميال و٨٣٥ ذراعًا أو ٧.٢٠٠٩٠٠كيلو ميتراً.

٨- القبضة: بفتح القاف وبضمها وسكون الباء، والأول أشهر، وجاء ذكره في القرآن الكريم: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾.

وفي حديث جابر رضي الله عنه حيث يقول: "كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق...".

القبضة تساوي ٥ بوصات أو ١٥٢.٤ ملميتراً.

٩- الميل: معيار للمقياس، جمعه أميال، وجاء ذكره في حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ قصر الصلاة".

لقد اختلف الفقهاء في تعيين مقدار الميل على أقوال. فقيل: إنَّ الميل ثلاثة آلاف ذراع. وهذا قول الفقهاء المتقدمين. وعند الفقهاء المتأخرين فهو أربعة آلاف ذراع. وقيل: إنه خمسة آلاف ذراع وقيل إنه ستة آلاف ذراع. وهذا القول الأخير رجحة الإمام النووي. حيث قال: "الميل ستة آلاف ذراع. والذراع أربع وعشرون إصبعًا معترضة معتدلة..."(١٤١).

وقال القاضي الشوكاني وعلامة شمس الحق تعليقًا على قول النووي: "ثم إنَّ الذراع الذي ذكر النووي تحريره. وقد حرره غيره بذراع الحديد المشهور في مصر والحجاز في هذا العصر. فوجده ينقص من ذراع الحديد بقدر الثمن. فعلى هذا فالميل الحديد في القول المشهور خمسة آلاف ذراع ومائتان وخمسون"(١٤٢)، فيكون الميل ٥٢٥٠ ذراعاً ويساوي= ٢,٤٠٠٣٠٠ كيلوميتراً. ■

•••

المراجع العربية:

١. سورة المطففين: ٨٣/١-٣.

٢. سورة الشعراء: ٦٦/١٨١

٣. سنن ابن ماجه. كتاب الفتن. باب العقوبات: ٥٨٠.

٤. جامع الترمذي. أبواب البيوع. باب ما جاء في المكيال: ٢٩٧.

٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٩/٢٥٤.

٦. لسان العرب: ١٠/١٢. النهاية:١/٨٠.

٧. الجامع الصحيح. كتاب الزكاة. باب ما أدى زكاته فليس بكنز:٢٢٦.

٨. شرح صحيح المسلم:١/٣١٥. كتاب الأموال: ٥٢٤.

٩. القاموس المحيط: ٤/٤٠١.

١٠. النهاية في غريب الحديث: ١/٨٠.

١١. الإيضاح والتبيان. لابن الرفعة:٥٠.

١٢. سنن ابن ماجه. أبواب الجهاد. باب ارتباط الخيل:٢٠٢.

١٣. نيل الأوطار:١٤٨/٤. القاموس: ٤/٢٧٢.

١٤. الإيضاح والتبيان. لابن الرفعة:٥٠.

١٥. المنجد:٢٢٦.

١٦. الجامع الصحيح: ١/٢٩٤.

١٧. النهاية لابن الأثير:٢/١٢٧.

١٨. القاموس: ٤/٢٧٢.

١٩. نيل الأوطار:٤/١٤٨. الأموال:٥٢٥.

٢٠. المنجد. ص٣٧.

٢١. سنن أبي داود. كتاب الزكاة. باب في زكاة السائمة:٢٣٢.

٢٢. نيل الأوطار:٤/١٤٨. لسان العرب:١٠/٤٩.

٢٣. المنجد: ٣٧.

٢٤. الجامع الصحيح. كتاب الحدود. باب وفي كم يقطع:١١٧٠.

٢٥. سورة لقمان:١٦.

٢٦. سنن أبي داود. كتاب اللباس. باب ما جاء في الكبر:٥٧٧.

٢٧. لسان العرب: ١١/٨٦. المصباح المنير: ٨٣. القاموس المحيط:٣/٢٢.

٢٨. أحكام السوق في الإسلام:١١٩.

٢٩. لسان العرب:١١/٢٨٥. المصباح المنير:٢٢٠.

٣٠. سنن أبي داود. كتاب الطهارة. باب ما يجري من الماء في الوضوء: ٢٤.

٣١. لسان العرب:١١/٢٨٦.

٣٢. مطالب أولي النهى:١/٤٦.

٣٣. المصباح المنير: ٢٣٠.

٣٤. الإيضاح والتبيان لابن الرفعة:٦٥.

٣٥. الإيضاح والتبيان لابن الرفعة:٥٦.

٣٦. المصباح المنير: ٢٣٠. لسان العرب:١١/٨٧.

٣٧. بحث في تحويل الموازين لشيخ عبد الله بن سليمان. مجلة البحوث الإسلامية:١٧٤.

٣٨. الأموال:٧٠٠.

٣٩. شرح صحيح المسلم: ١/١٣٥.

٤٠. زهرة الربى. ص٢٥.

٤١. لسان العرب:٥/١١٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٤/٣٠.
٤٢. سورة النساء: ٢٠.
٤٣. سورة آل عمران: ١٤.
٤٤. تفسير القرآن العظيم:٢/٢٢.
٤٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٤/٣٠.
٤٦. المسند للإمام أحمد:٢/٢٣٢. سنن ابن ماجه. أبواب الأدب. باب بر الوالدين: ٥٢٥.
٤٧. الصحيح للإمام المسلم كتاب الجنائز. باب فضل الصلاة على الجنازة:٣٨١.
٤٨. الجامع الصحيح. كتاب الإجازة. باب رعي الغنم :٨٦٠.
٤٩. نيل الأوطار:٤/٤١٩. تهذيب اللغة للأزهري: ١٥/٤٧٢.
٥٠. لسان العرب:١٣/٤١٩. تهذيب اللغة للأزهري: ١٥/٤٧٢.
٥١. تاج العروس: ٥/٢٠٣.
٥٢. لسان العرب:١٣/٤١٩.
٥٣. النهاية لابن الأثير:٥/٥٦.
٥٤. الصحيح للإمام المسلم. كتاب النكاح. باب الصدقة:٥٩٩.
٥٥. المصباح المنير:٦٠٦. النهاية لابن الأثير:٦٥.
٥٦. لسان العرب:٦/٣٥٣.
٥٧. سنن أبي داود. كتاب النكاح. باب قلة المهر: ٣٠٥.
٥٨. تاج العروس:١٠/٣٧٩.
٥٩. لسان العرب:٦/٣٥٣.
٦٠. تاج العروس:١٠/٣٧٩.
٦١. سنن أبي داود. باب قلة المهر: ٣٠٥.
٦٢. لسان العرب:١/٤١٦.القاموس المحيط: ١/٧٣.
٦٣. الصحيح للإمام المسلم كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى يسجر الفرات:١٢٥٤.
٦٤. الإيضاح والتبيان لابن الرفعة:٧١.
٦٥. المصباح المنير: ٣٥٢.
٦٦. الجامع الصحيح. كتاب الزكاة. باب صدقة الفطر على العبد :٢٤٥.
٦٧. مواهب الجليل:٢/١٦٥. المغني. لابن قدامة:٣/٥٩. المجموع شرح المهذب: ٦/١٢٨. الهداية للميرغيناني:٣/٥٩.
٦٨. الجامع الصحيح. كتاب كفارات الأيمان. باب صاع المدينة:١١٥٩.
٦٩. المحلى لابن حزم. ١/٢١٠.
٧٠. المصباح المنير: ٤٠٥.
٧١. فتح الباري:٤/١٩٩. الإيضاح والتبيان:٧٠.
٧٢. الإيضاح والتبيان:٧٠.
٧٣. النهاية لابن الأثير:٣/٤٣٧
٧٤. الجامع الصحيح. كتاب البيوع. باب إذا اشترى شيئًا لغيره:٣٥٣.
٧٥. النهاية لابن الأثير:٣/٤٣٧. الأموال: ٦٩١.
٧٦. لسان العرب: ١١/٥٦٥.
٧٧. النهاية لابن الأثير:٣/٤٣٧.
٧٨. الأموال: ٦٩٠.
٧٩. الصحيح للإمام المسلم. كتب الحج. باب الجواز حلق الرأس:٥٠٠.
٨٠. الأموال: ١٥٦. المغني لابن قدامة:١/٢٩٥.
٨١. عون المعبود:١/٩٧.
٨٢. أحكام السوق في الإسلام: ١٣٤.
٨٣. الإيضاح والتبيان: ٧٣.
٨٤. الإيضاح والتبيان:٧٢
٨٥. الإيضاح والتبيان:٥٦
٨٦. النهاية لابن الأثير:٣/٤٣٧. الأموال: ٥١٦.
٨٧. فتح الباري:١/٣٦٤.
٨٨. الأموال: ٦٨٨.
٨٩. لسان العرب:٥/٢٩٥.
٩٠. الصحيح للإمام المسلم. كتب الفتن. باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات:.١٢٥٤.
٩١. الأموال: ٨٨.
٩٢. الإيضاح والتبيان: ٧٣.
٩٣. النهاية لابن الأثير:٤/١٠٤.
٩٤. لسان العرب: ١١/٥.
٩٥. الجامع الصحيح: ١/٤٥٦.
٩٦. سنن أبي داود. أبواب الطهارة. باب ما ينجس الماء:٢١.
٩٧. جامع الترمذي. أبواب الطهارة. باب ما جاء أن الماء لا ينجسهُ شيء:١٨.
٩٨. تحفة الأحوزي:١/٧١.

مقارنة بين الموازين والمكاييل والمقاييس الشرعية مع المقادير المعاصرة

٩٩. المغني لابن قدامة: ١/٣٦.

١٠٠. النهاية لابن الأثير: ٤/١٦٢.

١٠١. القاموس: ٤/٣٤.

١٠٢. المصباح المنير: ٥٣٠.

١٠٣. لسان العرب: ٢/٣٥٢.

١٠٤. الأموال: ٦٩٣.

١٠٥. الأموال: ٦٨٨.

١٠٦. لسان العرب: ٣/٤٠٠.

١٠٧. النهاية لابن الأثير: ٤/٣٠٨.

١٠٨. الصحيح للإمام المسلم، باب قدر المستحب من الماء: ١٤٥.

١٠٩. شرح صحيح المسلم: ١/١٤٩.

١١٠. الإيضاح والتبيان: ٧٢.

١١١. الصحيح للإمام المسلم، كتاب الفتن، لا تقوم الساعة: ١١٥٤.

١١٢. الأموال/ رقم ١١١٦.

١١٣. لسان العرب: ١٠/٤٩١.

١١٤. صحيح للإمام المسلم، كتاب الحيض، باب قدر المستحب من الماء: ١٤٥.

١١٥. شرح صحيح المسلم: ١/٧٢.

١١٦. سورة يوسف: ٧٢.

١١٧. تفسير القرآن العظيم: ٢/٣١٢.

١١٨. لسان العرب: ١٠/٤٩١.

١١٩. لسان العرب: ١٠/٣٧٨.

١٢٠. الصحيح للإمام المسلم كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمسة، ص ٣٩٣.

١٢١. الأموال: ٥١٧.

١٢٢. سنن ابن ماجه، كتاب الزكاة، باب الوسق ستون صاعًا: ٢٦٢.

١٢٣. لسان العرب: ١٠/٨٠٥.

١٢٤. جامع الترمذي، أبواب اللباس، باب ما جاء في الحرير: ٤٤١.

١٢٥. شرح صحيح المسلم: ١/٢٤١.

١٢٦. الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي وروايته عن ربه: ١٣٠١.

١٢٧. القاموس: ١/٣٤٢.

١٢٨. فتح الباري: ١٣/١٥٤.

١٢٩. الجامع الصحيح، أبواب التقصير، باب في كم يقصر الصلاة: ١٧٥.

١٣٠. القاموس: ٢/٨٠.

١٣١. النهاية في غريب الحديث: ٢/٥١.

١٣٢. الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي وروايته عن ربه: ١٣٠١.

١٣٣. القاموس: ٢/٢٥٣.

١٣٤. شرح صحيح المسلم: ٢/٤٨.

١٣٥. القاموس: ٢/٦٦٥.

١٣٦. الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي وروايته عن ربه: ١٣٠١.

١٣٧. جامع الترمذي، أبوب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار: ٥٨٦.

١٣٨. القاموس: ٣/٤٦٩.

١٣٩. سورة طه: ٢٠/٩٦.

١٤٠. الصحيح المسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة: ٥٨٨.

١٤١. الصحيح للإمام المسلم، كتاب صلاة المسافرين: ٢٨١.

١٤٢. شرح صحيح المسلم: ٤/٢٠١. نيل الأوطار: ٣/٢١٨. عون المعبود: ١/٤٦٦.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. أحكام السوق في الإسلام، لأبي علي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض - السعودية.

٣. الأموال، لأبي عبيد القاسم، دار الكتب المعرفة، القاهرة، مصر، ١٣٥٣هـ.

٤. الإيضاح والتبيان، لابن الرفعة، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٥. الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ١٤٢٠هـ.

٦. الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، دار الكتاب

العربي للطباعة، ١٣٨٧هـ.

٧. **الجامع الصحيح للإمام البخاري**، دار السلام، ١٤٢٠هـ.

٨. **سنن ابن ماجه لأبي عبد الله القزويني**، دار السلام، ١٤٢٠هـ.

٩. **سنن أبي داود للإمام أبي داود السجستاني**، دار السلام للنشر والتوزيع.

١٠. **شرح صحيح المسلم للإمام النووي**.

١١. **عون المعبود**، لشمس الحق، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

١٢. **فتح الباري**، لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ١٣٩٣هـ.

١٣. **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٤. **لسان العرب**، لابن منظور الأفريقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٠هـ.

١٥. **المحلى**، لابن حزم، دار الطبعة عثمانية حيدر آباد الدكن، ١٩٤٥.

١٦. **المنجد للويس معلوف**، دار الشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

١٧. **مواهب الجليل**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٨. **نيل الأوطار للإمام الشوكاني**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٩. **النهاية في غريب الحديث لابن الأثير**، المكتبة العلمية، مصر، ١٣٨٣هـ.

٢٠. **الهداية للميرغناني**، مطبعة مصطفى البابي، الحلبي، القاهرة، ١٣٤٤هـ.

أبو عبد الله محمد بن علي ..
ابن عسكر الغساني المالقي (ت٦٣٦هـ) «حياته وآثاره»
دراسة وجمعًا وتحقيقًا

د. محمد عويد السابر
جامعة الأنبار - العراق

القسم الأول: أبو عبد الله محمد بن علي بن عبيد الله ابن عسكر المالقي (ت٦٣٦هـ)

(دراسة في حياته وأدبه)

حياته (الهوية والمكونات المعرفية):

هو محمد بن علي بن عبيد الله بن هارون الغساني، يكنى بأبي عبد الله، ويعرف بابن عسكر[١]. **أصله من مالقة، من قرية بغربيها**[٢]**. ولد سنة (٥٨٤هـ)**[٣]**، ونشأ بمالقة حيث أخذ عن شيوخها العلم والفقه والرواية**[٤].

ومثلما ذكرت مصادر ترجمته عددًا من شيوخه. فإنها ذكرت عددًا من تلامذته وممن أخذ عنه رحمه الله. إذ جاء في كتاب (الذيل والتكملة): (روى عنه أبو بكر: ابن خميس - ابن أخته-. وابن أبي العيون. وأبو عبد الله بن أبي بكر البُري. وحدّث عنه بالأجازة أبو عبد الله بن الأبار. وأبو القاسم بن عمران. وكتب بالأجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوها من أهل الأندلس)[٥].

توفي ابن عسكر وهو يتولى قضاء مالقة. ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة عام ستة وثلاثين وستمائة[٦].

لقد تنوعت علوم ومعارف ابن عسكر. إذ إنه كان متقنًا للقرآن الكريم ومن أصحاب الفقه. وله علم بالتأريخ والنحو والأدب. وهذا ما أيّده من ترجم له. فأعجبوا به. وذهبوا يتغنون في وصفه بالصفات العلمية الحسنة. ويذكرون جملة من شمائله وأخلاقه. يقول فيه ابن الآبار: "وكان فقيهًا. مجيدًا لعقد الشروط حافظًا للغة أديبًا بليغًا مشاركًا في العربية وقرض الشعر"[٧].

ويقول فيه ابن عبد الملك المراكشي: "وكان مقرئًا مجودًا، ونحويًا ماهرًا. متوقد الذهن متفننًا في جملة معارف. ذا خط صالح من رواية الحديث، تأريخيًا حافظًا. فقيهًا مشاورًا دربًا بالفتوى. متين الدين، تام المروءة. سُنيًا فاضلاً. معظَّمًا عند

الخاصة والعامة. حسن الخلق. جميل العشرة. رحب الصدر. مسارعًا إلى قضاء حوائج الناس. شديد الاحتمال. محسنًا إلى من أساء إليه. نفاعًا بجاهه. سمحًا بذات يده. متقدمًا في عقد الوثائق. بصيرًا بمعانيها. سريع القلم والبديهة في إنشاء نظم الكلام ونثره. مع البلاغة والإحسان في الفنّين)[٨].

ويقول فيه القاضي البناهي: كان من أهل المعرفة بالأحكام. والقيام على النوازل. إلى الشعر الرائق. والكتب الفائق[٩].

أما عن منصبه: فقد مارس ابن عسكر الإفتاء. وولي قضاء مالقة نائبًا عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجذامي مدة على عهد دولة أبي عبد الله بن هود[١٠]. ثم تولى القضاء مستقلاً بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر. يوم السبت لليلتين بقيتا من رمضان خمس وثلاثين وستمائة[١١]. (فأشفق من ذلك وامتنع منه. وخاطبه مستعفيًا. وذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخطة تورعًا منه. فلم يعفه. فتقلدها وسار فيها أحسن سيرة. وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها. ونفذ الأحكام. وكان ماضي العزيمة مقدامًا مهيبًا جزلاً في قضائه. لا تأخذه في الله لومة لائم. واستمر على ذلك بقية عمره)[١٢].

مؤلفاته:

ترك ابن عسكر كثيرًا من المؤلفات والتصانيف في مختلف العلوم التي تعلمها ومارس العمل فيها. ولكن. للأسف. يبدو أن عوادي الزمن أتت على هذه التصانيف. فضاع أغلبها. ولم يبقَ إلا عنواناتها التي تدل على علم كبير. ونتاج غزير. فمنها:

١) الإكمال والإتمام في صلة الأعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام. وهو بتسمية أخرى: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار. وتقييد ما لهم من المناقب والآثار. وهو كتاب أعلام مالقة[١٣].

٢) المشروع المروي في الزيادة على غريبي الهروي[١٤]. وهو في غريبي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

٣) أربعون حديثًا. التزم فيها موافقة اسم شيخه اسم الصحابي[١٥].

٤) نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر[١٦]. وقد ألّفه لأحد أصفيائه من أسرة بني سعيد.

٥) الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر[١٧]. ألّفه لصاحبنا أبي محمد بن أبي خُرص الضرير الواعظ. كما يذكر ابن عبد الملك المراكشي.

٦) رسالة ادخار الصبر في افتخار القصر والقبر[١٨].

وغير هذه التصانيف مما ذكره أصحاب التراجم[١٩].

أدبه (دراسة تحليلية):

أ) الشعر:

١- الأغراض والسمات الموضوعية:

إنَّ الناظر في شعر أبي عبد الله ابن عسكر الغساني أول مرة. ليرى أنَّ أكثر شعره قد نُظم في الإخوانيات[٢٠]. فمن المُلاحظ على افتتاح أشعاره أنها نُظمت ردًا لجواب. أو إجابة لسؤال. أو قولاً في إجازة... وما إلى ذلك. وهذا ما جعل أغلب نظمه يكون بشكل المقطعات التي تراعي الفكرة البسيطة. ولا تستغرق أبياتًا كثيرة. وتكون مستملحة المعاني سهلة الألفاظ.

أبو عبد الله محمد بن علي.. ابن عسكر الغساني المالقي (ت٦٣٦هـ) «حياته وآثاره» دراسة وجمعا وتحقيقا

وبعد الإخوانيات: يأتي غرض الوصف. وهو يتمحور - في الغالب - والمقطعات أيضًا[21]. خلا نصًا طويلاً - نسبيًا - قاله يصف عشية أُنس[22]. ونصًا آخر يخرج عن المقطوعة وصف به سيلاً دخل على أمير المؤمنين أبي العلاء في وادي رية[23].

وله في المديح قصيدة[24] يمدح بها الأمير المذكور آنفًا. وهو يسير نحو مدحه بما تعارف عليه الشعراء في ممدوحيهم من كرم وشجاعة وخُلق. وهو لا يجانب التقليد في معاني نصوص المديح ولا شكل هذه النصوص. إذ يبدأ النص برحلة صعبة شديدة. ويصف راحلته التي كانت قوية شديدة تتحمل تلك الصعاب والمشاق في سبيل الوصول إلى الممدوح. وهذا جانبٌ من البناء الهيكلي التزمه الشعراء المدّاحون. ليبينوا لممدوحيهم عظمتهم. وشدّة الصعاب في الوصول إليهم.

وله في الرثاء أطول قصيدة قالها ابن عسكر[25].. ومع هذا الطول فهي لا تمثل كل النص إذ إنَّ الراوي قال فيها بعد البيت الثامن والتسعين الذي توقف عنده... وهي طويلة. وهي تتكون من لوحات عدّة. إلاّ أنَّ سمات الوحدة الموضوعية للنص الشعري (الطويل) بادية عليها. فأغلب هذه اللوحات ترتكز على ذم الدنيا وفنائها. كما أنَّ الشاعر جلب فيها الموعظة والتسلية لأهل المرثي من خلال التأسي بأحداث الماضين. وتذكر الموت. ثم خصص أبياتًا كثيرة من النص ليقدم لنا شمائل المرثي، وصفاته وخلائقه.

وفي الغزل[26]. فإنَّ ابن سعيد - صاحبه وتِرْبَه - أثبت له نصًا يظهر أنه تغزل بشخص ما. ولو أنَّ هناك نصًا شعريًا آخر يتحدث عن الغرام والعشق. ونظرات العيون والأحداق... وما إلى ذلك من معاني الغزل.

وأما عن الشعر الديني: فله مقطوعة في الزهد وذم الدنيا. وشكوى الذنوب التي كثرت وطالت مدّة به وببني البشر من حوله... يقول:

(الطويل)

إلى الله قومٌ قد تعرَّضت الدُّنى
لهم ورمتهم كي تصيب فَراغُ

وتبًا لنفسي إنها عن طريقهم
تميلُ لقوم بالجهالةِ راغو

أهابُ ذنوبًا صيَّرتني لميتةٍ
إهابًا وما إلاّ المتابُ دَباغُ

تقسمت الأعضاءَ مني بطالةٌ
فللهو قلبٌ والرُّقادُ دماغُ[27]

فانظر إلى عظمة هذه المعاني. وهذه الأحاسيس من رجل يخاف المصير. ويفكر في العاقبة. على الرغم من كل تلك الأخلاق والصفات الحميدة التي وردت عنه. وتكلّم بها مترجموه. وعدّوها في ميزان حسناته وأعماله.

وأمّا عن شعر المديح النبوي. الذي نشط وكبر في هذه الحقبة من تأريخ العرب في الأندلس. فابن عسكر لم يرحلْ إلى المدينة المنورة. ولم يشاهدها عن كثب. ويصفها عن قرب. إلاّ أنه لم يكبح جماح مشاعره. ورغبته- كأيِّ مسلم - في رؤية المقام. والنزول بالكعبة... فما أن سمع أنَّ ابن سعيد يشدُّ رحاله نحو تلك البقاع حتى حمّله ما ينشده عند الروضة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[28].

٢- خصائص شعره الفنية:

أما فيما يخص البناء الفني للنص الشعري، فقد نظم ابن عسكر المالقي في أنواع هذا البناء جميعًا. فقد وردت في شعره النتفة والمقطوعة والقصيدة. وفي كلٍّ استوفى ابن عسكر مظاهر هذه

الأشكال البنائية. وما تحتاج إليه من عرضٍ لفكر مبسطة ولفظ سهل في النتفة. أو تكون الفكرة أكثر اتساعا. والألفاظ أكبر شمولية في المقطوعة. ومن ثمَّ القصيدة التي تستوعب أفكارًا عدّة. وتكون متداخلة الألفاظ كثيرة اللوحات والدلالات.

وقد تكررت بعض المعاني والألفاظ. ولاسيما في تلك المقطعات التي قيلت في الإجازة. أو الإجابة لإجازةٍ أو ردّ دعوة...وغير ذلك . إذ حملت المعاني نفسها من سلام وتحية. وإشادة بدور العلم وأثره. وأثر تناقله بين الإخوان.

وفي القصائد كانت البنية الفنية (البناء الشكلي) محكمة جدًّا. لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا. وحتى قصائده الطوال. كمرثيته[illegible]. فقد كانت مرتكزة على وحدة موضوعية وفيها ما فيها من انسجام بين اللوحات وتلاحم. فأنت تنتقل بينها بلا ملل أو ضجر.

أما البنية المضمونية (المعاني) فقد اعتورها بعض التكرار. وبعض الإعادة مما جعل أكثر الأبيات بيّنة المعنى. واضحة الدلالة مما لا يجتهد القارئ في تحصيله أو يسعى لفكّ تأويله أو كشف غموضه.

وفيما يخص صوره الفنية. فابن عسكر - على قلة ما وصل إلينا من شعره - شاعر مصور. وقلنا آنفًا إنَّ المظاهر الطبيعية كانت أكثر أغراضه التي نظم فيها من حيث أصالتها في النظم. وتميّزها وانفرادها بالنتفة والمقطوعة والقصيدة. أو من حيث تداخلها مع الأغراض الأخرى التي وردت في شعره كالمديح والإخوانيات: وهذا ما يجعل صورة بسيطة مألوفة مرئية تستغرق تصوير المشهد المرئي. وتسبغ عليه الخيال لإبرازه إلى المتلقي بأحسن وجه وأكماره.

وأحيانًا يستأثر المكان بصور ابن عسكر كتلك القصيدة التي وصف بها سيلاً[illegible]. إذ لجأ إلى إبراز هذا المكان وأهميته. ومن ثمَّ ربطه وصورة الممدوح وشجاعته. فتكاملت الصورة رسمًا ومعنىً ودلالة.

ولاحظت أنّ أكثر أنواع البيان رسمًا لصوره. هو التشبيه لاسيما الحسي بالحسي. في حين وردت الاستعارة بشكل أقل. وكذلك الكناية. وقد وردت الحواس في تشكيل صورة بشكل ملفت للنظر. وهذا ما يؤيد قولنا السابق: إنّ شعر ابن عسكر حسي الصور. بسيط الألفاظ. بعيد عن التأويل والغموض المعيب. أو التمثيل. أو الموازنة بين صورة وأخرى. وظاهرة وغيرها.

وفيما يخص الموسيقى والأوزان. فالطويل كان في مقدمة البحور التي نظم عليها ابن عسكر ثم تلاه السريع. فالبسيط. فالكامل. فالوافر. فالمتقارب.

وفي خصوص القوافي وحركاتها: فقد نظم ابن عسكر في نوعي القوافي المقيدة[illegible]. والمطلقة[illegible]. ولم ألحظ عيبًا في قوافيه يسيء إلى النص ويثير اشمئزاز المتلقي. وكانت أغلب حروف الروي التي استخدمها ابن عسكر من الحروف الشائعة في الاستعمال عند كبار الشعراء كحروف : الراء. واللام والعين والميم. وربما شاب النقص (في الموسيقى) نصَّه (مقطوعة) الذي قاله في أحدب إذ جاء على حرف الصاد. وعلى القافية المقيدة ما جعل المقطوعة تنتهي بنبرة عالية. وحادّة قد لا تناسب غرض الوصف (الكاريكتوري) الذي جاءت المقطوعة لأجله.

وفي خصوص الإيقاع الداخلي ومكوناته. فقد ورد في نصوصه التكرار[illegible]. والجناس[illegible]. والتصدير[illegible]. ولزوم ما يلزم[illegible]. وغيرها. كلها ساعدت في رسم ضربات موسيقية جميلة تكافت

والموسيقى الخارجية، والصور، والبنى الفنيّة لتخرج نص ابن عسكر على وفق ما يريده النقاد، ويعمل على نظمه الشعراء والأدباء.

ب- النثر (ميزاته وابتكاراته).

تعدّت آثار ابن عسكر المالقي المنظوم (الشعر)، لتصل إلى المنثور أيضًا، فله قطعات نثرية أوردها له مترجموه، ومدوّنوا آثاره، وأغلب تلك المقطعات التي وصلت إلينا جاءت على أسلوب الرسائل، وهو فنّ أدبي (نثري) عُرف عند الأدباء العرب من قبل الإسلام، شاع وكثر ووصل كل الأصقاع التي حلّ فيها العرب والمسلمون حتى وصل إلى الأندلس، وكانت موضوعات هذه الرسائل - شأنها شأن شعره - تدور في الإخوانيات، والإجازة، كما أنَّ بعضًا منها جاء ليكمل هذه الصبغة الاجتماعية لأدب ابن عسكر المالقي، فكان في التهنئة بزواج، أو الكتابة في عزاء... وما إلى ذلك.

وعن سمات رسائله (أو نثره)، الفنية فقد كان هذا النثر مثقلاً بالزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية، وكذلك بلغ العناية فيه بالسجع والفواصل عناية كبيرة أخرجته من السهولة إلى الغموض، ومن الاهتمام بالألفاظ وجمالها إلى الاهتمام بالمعاني وتزويقها.

كذلك برزت في هذه الرسائل - على شكل ملحوظ وواضح - ثقافة ابن عسكر الأدبيّة والتاريخيّة والدينيّة؛ إذ رأيناه يستشهد بالشعر[٣٧]، ويعرض حوادثه[٣٨]، وكذلك يقتبس من الآيات القرآنية الكريمة[٣٩]، والأحاديث النبوية الشريفة، ويعود إلى حوادث العرب كقصة ندماني جذيمة وغيرها[٤٠]، ويسخرها لخدمة الرسائل والمقطعة النثرية، وما يريده من الاقتباس والتضمين، والاستنارة بحوادث الماضين وقصصهم.

ولم يكثر ابن عسكر من الدعاء في صدور رسائله، وهو أمر محمود عند أهل هذه الصنعة كما يقول الكلاعي (القرن السادس الهجري): "الإكثار من الدعاء في الرسائل من أكبر الدلائل على ضعف البضاعة في الصناعة"[٤١]. وإنما أكثر من المصنوع الذي يقول فيه الكلاعي: "المصنوع لأنه نُمِّق بالتصنيع، ووشح بأنواع البديع، وحُلّيَ بكثرة الفواصل والأسجاع، واستجلب له منها ما يلذّ في القلوب ويحسن في الأسماع"[٤٢].

وبعض رسائله زانها المُغصّن، الذي هو ما تقابل فيه سجعتان اثنتان، كل سجعة موافقة لصاحبتها[٤٣].

وبعضها جاء بنوع آخر من أنواع الترسيل، وهو ما سمّاه الكلاعي بـ (المفصّل)، وهو ما جمع بين المنظوم والمنثور في رسالة واحدة[٤٤].

هذا ما يؤكد تفوق ابن عسكر في النظم والنثر، ومن قبلُ في التأليف والتدوين والأخبار ويجعله في مقدمة أعلام الأندلس في عصر الموحدين. ولئن ضاع أكثر شعره ونتاجه الأدبي، فإنَّ ما تبقى منه ليضعنا أمام شخصية أدبية وفكرية فذّة، أسهمت في خدمة التراث الأدبي والفكري والعلمي الأندلسيّ، ودوّنت بعض آثاره، وأخباره في النظم، والنثر، والتأليف.

القسم الثاني: منهج المحقق في بحثه

هذه أول مرة - فيما أعلم - يُجمع شعر ابن عسكر المالقي ونثره، إذ لم أسمع من قبل عن جمع لنتائج هذا العلم والمفكر والأديب والأخباري والشاعر الأندلسي. وقد يعود الفضل في الكثير من هذا المجموع، كما هو واضح من الدراسة والتخريجات إلى ظهور كتاب (أعلام مالقة) إذ

أورد طائفة كبيرة من شعره ونثره سهّلت عمل المحقق في جمع نتاج ابن عسكر الأدبي، ووضع دراسة مفصّلة عنها.

أما عن عمل المحقق في هذا الجمع، فكان على وفق الخطوات الآتية:

١. جمعت نتاج ابن عسكر الأدبي (الشعر والنثر)، من شتيت المظان وكتب الطبقات والتراجم التي ترجمت لحياته. وأوردت شيئًا من نتاجه.

٢. رتبتُ الشعر على وفق التسلسل الهجائي (للقوافي)، ومن ثمَّ رتبتُ حركة الروي داخل هذه القوافي بحسب قوتها: الضمة، الفتحة، الكسرة، السكون، ثم الموصولة بالألف وبالهاء.

٣. أعطيتُ لكل نص شعري رقمًا يُسهِّل من عملية الرجوع إليه في التخريج والدراسة.

٤. أثبتُ البحر الشعري لكل نص شعري، ليتكامل المنهج ويتم بصورة صحيحة ودقيقة.

٥. فيما يخص كتاب أعلام مالقة: فإنه صدر بتحقيقين وتحت عنوانين، فقد اعتمدت طبعة الدكتور الترغي المرابطي ثم أحلت على طبعة الدكتور صلاح جرار التي جاءت تحت عنوان أدباء مالقة وأوردت الاختلافات والزيادات في الهامش.

٦. فيما يخص النثر وفقراته، كذلك أعطيتُ لكل فقرة رقمًا خاصًا بها، وأحلت على الهامش في اختلاف قراءة، أو غلط، أو تخريج لحادثة، أو شعرٍ، أو ترجمة لأعلام، أو أحاديث...وما إلى ذلك، وكذلك فيما يخص شعر ابن عسكر الذي أورده في هذه الفقرات النثرية فقد أبقيته فيها لتناسب الغرض الذي نُظمت من أجله، ولتكامل الفقرة والمضمون الشعري فيها.

وأخيرًا، أتمنى أن أكون أديت ابن عسكر حقه من الدرس والتخريج والتحقيق، فأسعدت بذلك أهل الأندلس والمهتمين بتراثها، إذ قدمت لهم عَلَمًا وأديبًا يستحق التقديم والإنصاف بالنسبة لعصر الموحدين الذي مازال بحاجة إلى الكثير من الدراسة والتنقيب والتوثيق والتحقيق.

وآخرا: فإني أهدي ثمار هذا الجهد المباركة الطيبة - بإذن الله - إلى أستاذي الكبير، وشيخي الفاضل الأستاذ الدكتور خلف رشيد نعمان - حفظه الله - الأب الروحي للمحقق، وأشكره على دعمه ووقفته مع الباحثين لإنجاز أعمالهم وأبحاثهم، فقد أبدى النصيحة، وقدّم هدايا مباركة لهذا الجمع، تنمُّ عن علمٍ أصيلٍ، وخلق عظيم، قلَّ أمثاله في الوقت الحاضر. فالله أسأل أن يمدّه بأسباب العناية والرعاية، والصحة والأيمان لخدمة الباحثين ومساندتهم في كل زمان ومكان.

والله أسأل أن يلهمني السداد في القول والعمل، إنه سميع الدعاء

والحمد لله أولاً وآخرًا.

القسم الثالث: آثار أبي عبد الله محمد بن علي بن عسكر.

أ. الشعر.

(قافية الأف)

(١)

ومن شعره، وقد سأله بعض الطلبة أن يجود عليه فكتب إليه مع جملة دراهم أعطاها له: (مخلع البسيط)

١. عــذرًا فــإنَّ الحســامَ يــنــبــو

إنْ لم تســاعــدهُ شــفــرتــاهُ

٢. والصقر إنْ لم يكنْ بريش
لم تستطعْ نهضةً قُواهُ
٣. ورُبَّ ذي مُنْيةٍ ولكنْ
باعَدهُ الفقرُ مِن مُناهُ
٤. فاقبلْ - فُديتَ - القليلَ ممنْ
لم يستطعْ غيرَهُ يَداهُ

(١) التخريج: أعلام مالقة:١٩٢؛ أدباء مالقة: ١٨٣

٢. في أدباء مالقة :..................

باعدها الفقر من هواهُ

(قافية الباء)

(٢)

وقال متغزلاً، وقد سأله في ذلك ابن سعيد، فأنشده، وقال له: (حسبك مني واكتمه بفضلك في بلدي عني): (السريع)

١. أهواكَ يا بدرُ وأهوى الذي
يعذلني فيكَ وأهوى الرقيبْ
٢. والجارَ والدارَ ومن حولها
وكلَّ من مَرَّ بها من قريبْ
٣. ما إنْ تنصَّرتُ ولكنني
أقولُ بالتثليثِ قولاً غريبْ
٤. تطابقَ الألحان والكأس إذ
تَبْسم عُجبًا والغزالُ الربيبْ

(٢) التخريج: اختصار القدح المُعلى:١٣٠-١٣١؛ المغرب في حلى المغرب:٤٢٢/١ (البيتان الأولان). نفح الطيب:٣٥٢/٢، وفيه زيادة البيت الذي يقول:

٥. وكلُّ مبدٍ شبهًا منكمُ
وكلُّ من يلفظُ باسم الحبيبْ

وفي: ٢١١/٣ من النفح الأبيات الأربعة فقط.

٢. في المغرب والنفح:

والجارَ والدارَ ومن حولَها

(قافية الحاء)

(٣)

ومن شعره في أحدب:

١. وقالوا: أتهوى أحدبًا، فأجبتهم:
أرى حبَّه للقلبِ أسلى وأروحا
فقالوا: فصِفْهُ، قلت: غصنٌ تحدبتْ
كمامته من قبل أنْ تتفتَّحا

(٣) التخريج: أعلام مالقة:١٨٥؛ أدباء مالقة:: أدباء مالقة:١٧٥.

٢. في أدباء مالقة: فقالوا: فصفهُ، قلت: غصنٌ تجددتْ.

(قافية الدال)

(٤)

ومن شعره في ناعورة: (السريع)

١-ودائرٍ يسرقُ من مائِهِ
كواكبًا فهُو بها صاعدُ
٢-حتى إذا قامَ بها واستوى
وقلت: هذا فلكٌ زائدْ
٣-أهوتْ إلى الأرض كما قد جَرتْ
نيازكٌ لاحَ لها ماردْ
٤-فعادَ من حَليتها عاطِلاً
وهو إلى حالتهِ عائدْ

(٤) أعلام مالقة:١٨٤؛ أدباء مالقة:١٧٤.

(٥)

ومن شعره وقد استدعي أن يجيز: (الطويل)

١.أجبتُ على حكم التواصل والودّ
سؤالك لما لم أجدْ منه من بُدّ
٢.مُقرًا بأني لستُ أهل إجازةٍ
وما كلُّ مشمومٍ وإن طاب كالنَّدّ
٣.وما كلُّ ماءٍ للصدي وإنما
كتبتُ كما واسى المُقِلّ من الجهدِ
٤.فأسألُ ربي أن يَمُنّ بعطفهِ
تُقرّبُ للقُربى وترشدُ للرشدِ

(٥) التخريج: أعلام مالقة: ١٧٨: أدباء مالقة:١٦٨.

٢. في أدباء مالقة: وما كلّ ما أُهدي.. وإنّما

(٦)

ومن شعره وقد حمّلها لابن سعيد لينشده عند الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلوات والسلام: (الوافر)

١.علـيّ إذا أتيتُ ثرى محمدْ
صلاةُ الله لا تعدوه سرمدْ
٢.فقبّلهُ وقلْ صَبٌّ غريبٌ
بأقصى الغرب أمّكَ وهو مُقعدْ
٣.أرادَ زيارةً فثناهُ عذرٌ
وكم سيفٍ جُرازٍ وهو مُغمدْ
٤.فإنْ مُنِعَ المسيرَ أتاكَ منهُ
سلامٌ طيبٌ أبدًا يُردّدْ
٥.ومدحٌ لا يزالُ بكلّ حينٍ
من الآدابِ كالدرّ المُنضّدْ
٦.أقمْتُ وأنتَ ترحَلُ يابن موسى
لقد نلتَ السرورَ وظلْتُ مُكمدْ

(٦) التخريج: اختصار القِدح المُعلى: ١٣٠.

(قافية الراء)

(٧)

قال يرثي يحيى بن الحسن بن محمد بن أحمد... ابن صفوان: (البسيط)

١.أما الحمامُ فمحتومٌ ومَقدورُ
فالصبرُ أَولى ومن ينفثْ فمصدورُ
٢.دعْ عنكَ زُخرفَ عيشٍ لا بقاءَ لَهُ
كأنّهُ فوقَ ظهرِ الماءِ تصويرُ
٣.واخلعْ ثيابَ الأماني فهي كاذبةٌ
دُنُوها -وإنِ امتدَّ المدى- زورُ
٤.لا يتركُ الموتُ ذا عزٍّ لعزّتهِ
ولا الذي هو مذلولٌ ومحقورُ
٥.سيّانِ للموتِ أسادٌ وغيدٌ فلا
وذو التواضعِ منّا والجبابيرُ
٦.من لم يُصِبهُ غدًا وافاهُ بعدَ غدٍ
فما يفيدُ ذلكَ تقديمٌ وتأخيرُ
٧.دعِ التعمقَ في فعلٍ وفي كلمٍ
فذو البلاغةِ عندَ الموتِ محصورُ
٨.والموتُ لا يعرفُ الإعرابَ عاملُهُ
فيستوي فيه مرفوعٌ ومجرورُ
٩.سَلا خبيرًا بهذا الدهرِ إنّ لَهُ
عجائبًا هي للألبابِ تذكيرُ
١٠واستنطقا أثرَ الماضي ففيه، وإنْ
لم يستطعِ النطقَ، تعريفٌ وتعبيرُ
١١فهل غدا الموتُ عادًا عندما كثروا
فلم تُفِدْ قوةٌ فيهم وتكثيرُ
١٢وعن ثمادِ ثمودٍ هل تحيّنها
من حادثِ الدهرِ تعطيلٌ وتعذيرُ

١٣وأذكر أخا العضر إذا أمسى بقُنَهِ
فَمـا تصبَّحَ إلا وهـو مَحْشورُ
١٤وسَلْ معافرَ إذ طالتْ سنُوهُ أمَا
غَدا بشُربِ المنايا وهـو مَعْـورُ
١٥واستفهما لُبدًا عن طُول مُدَّتهِ
أخلَدتهُ فأمسى وهـو منظورُ
١٦وعن ربيع وما يغشاهُ مِن مَطرٍ
ومِنْ رياحٍ أسفتهُ الدَّهاريرُ
١٧وعن لبيدٍ وقد أبدى السأمة مِنْ
طُولِ الحياةِ، ألم يلحقهُ تغييرُ
١٨وعن جديسٍ وطسمٍ كم تطمَّس مِنْ
آثارِها فهي إنْ أبصرتَها بُورُ
١٩وعن مَعدٍّ وما عدُّوهُ مِن ولدٍ
لَهُ، أمِنْهُمْ مع الأحياء مَذكورُ
٢٠كم قد أشادُوهُ من قصرٍ وكم عمروا
فمنهم اليوم بطنُ الأرض معمورُ
٢١قد مات منهم لعمرُ اللهِ منتجَهُ
إنَّ الجميعَ بسهم الموت مقهورُ
٢٢أعدْ أحاديث هذا الموتِ فهي لنا
أنسٌ، وهُنَّ لذي السلوان تكديرُ
٢٣وهونِ الأمرَ، إنَّ الموتَ من عَظمٍ
معروفُه في نُفُوسِ الخلقِ مَنْكورُ
٢٤فأذكر فقيدًا أتتنا كلُّ فادحةٍ
بفقده فنظامُ الأنسِ مَنْثورُ
٢٥وقابلتنا وجوهُ العيشِ فاسدةً
وأبصرتنا عيونُ للمها عُورُ
٢٦وأضرمتْ بلهيب الشوق واتقدتْ
صدورُنا فهي تشبيهًا تَنانيرُ
٢٧وأرسلتْ سحبُ الأجفانِ أدمُعها
فكُلُّ خدٍّ بماءِ الدمعِ مَمطورُ
٢٨على الذي إنْ يَطل وصف الرثاءِ لَهُ
فإنما هو في التحقيق تقصيرُ
٢٩على المقدَّمِ في الأمرِ الجليلِ، لَهُ
في المشكلاتِ إذا أشكلنَ تصديرُ
٣٠على الذي انتثرت شهبُ السماءِ لَهُ
وَدُكَّ في الأرضِ من أرزائهِ الطورُ
٣١على الصفي ابن صفوان ومن شَرُفتْ
بهِ اليراعُ بَهاءً والمحابيرُ
٣٢أيه أبا بكرٍ الأعلى وكم طَمعتْ
نفسي بما لو تُؤتيها المقاديرُ
٣٣ألفُ عنكَ قضيبِ المجدِ في كفنٍ
عليه كلُّ حنوطِ الطيبِ مذرورُ
٣٤ما كان أغناكَ عن هذا وذاكَ فمنْ
ثناكَ تُربٌ ومن رَيَّاكَ كافورُ
٣٥قد أظلمت بعدكَ الآفاقُ من وَلَهٍ
كأنما اتَّصلتْ فيها الدَّياجيرُ
٣٦إذا ذُكرتَ فأنفاسٌ مُصعَّدةٌ
كأنَّ ذاكرك الملهوفَ مهجورُ
٣٧من المؤمَّلِ، أمَّا ذو الدُّنى فَلَهُ
شُغلٌ وذو الدين في دنياهُ مَقهورُ
٣٨ما كنتَ كالناس لكنْ إنْ يَقُلْ بَشرٌ
ففضَّةٌ قد حكاها اللونُ قزديرُ
٣٩لو كان صفُوك للماءِ القُراحِ لَمَا
بدا بصفحتيهِ للوُرَّادِ تكديرُ
٤٠أو كان عندكَ للسيفِ الحُسامِ لَمَا
بَدا به من قراعِ الهندِ تأثيرُ

٤١أو كانَ جودكَ في زهرِ الرياضِ لما
حمى جنى الوردِ من شوكٍ سنانيرُ

٤٢بنى لك اللهُ بينَ الخلقِ منزلةً
لها العلاءُ أساسٌ والتقى سورُ

٤٣يا مُخلصًا وضعَ اللهُ القبولَ لَه
حتى استوى منهُ منهيٌّ ومأمورُ

٤٤لو بعض حبك بينَ الخلقِ كلهم
مقسَّمٌ لم يكنْ في الناسِ مهجورُ

٤٥ما زلتَ تُحسنُ حتى في المماتِ فقدْ
أصبحتَ والكلُّ منَّا فيك مأجورُ

٤٦أقمتَ بالعدوةِ القصوى وأنفسنا
لها من الذُّعرِ تسبيحٌ وتكبيرُ

٤٧حليفَ حصرين إمّا من سيوفِ عدىً
محصَّرٌ، ومن الأمراضِ محصورُ

٤٨وكل ذلكَ إنْ حقَّقتَهُ عَرَضٌ
قد انقضى، وهو عند الله مذخورُ

٤٩جَرَتْ ودائرةُ الأفلاكِ تحسرُها
في اليمِّ تحملُكَ الفلكُ المواخيرُ

٥٠ومَنْ لها بكَ بدرٌ لو تسيرُ به
لم يَعقُبِ الشمسَ في الأفلاكِ ديجورُ

٥١لو يعلم الفُلكُ ما يحويهِ من كَرَمٍ
لم تستطعْ سيرَهُ الفُتْخُ الكواسيرُ

٥٢سُلَّتْ عليكَ ضلوعٌ منهُ فانقضتْ
حُزنًا، وفارقَ جنبيهِ الدساتيرُ

٥٣وقد بدا منه إشعارٌ. فمنْ ولَه
أنينُهُ وهو عند الله تصويرُ

٥٤وكنت مجتمعَ البحرينِ فاجتمعتْ
ثلاثةٌ هي في الأرضِ المشاهيرُ

٥٥فاثنانِ ماؤهما ملحٌ لشاربهِ
وثالثٌ منهُ ماءُ المزنِ معصورُ

٥٦عذبٌ يفيضُ على العافي عوارفُهُ
دَرًا، وكلُّ نوالِ البحرِ منزورُ

٥٧إنّي أظنّهما جارا به حسدًا
وكلُّ ذي حسدٍ لاشك مدحورُ

٥٨كأنَّ زورقَهُ الجاري بصفحتِهِ
جَفْنٌ قد استُلَّ من إنسانِهِ النورُ

٥٩لمّا انحدرتُ إلى شطِّ المجازِ وقدْ
تقدَّمتْكَ التهاني والتباشيرُ

٦٠وهبَّتِ الريحُ طيبًا عندما فُضلتْ
به الركائبُ في البيداءِ والعيرُ

٦١فطارَ فينا سرورٌ لو يخوضُ بنا
في لُجةِ البحرِ أضحى وهو معبورُ

٦٢فمن مُقيمٍ إلى لُقياكَ مُرتقبٌ
ومدلجين لهمْ جِدٌّ وتشميرُ

٦٣فبينما نحنُ في أُنسٍ وفي فرحٍ
والكلُّ منا بقربِ الدارِ مسرورُ

٦٤وافى المُصابُ بباكٍ وهو مبتسمٌ
وهائمٌ منهُ في الضدينِ تكفيرُ

٦٥يبكي ويضحكُ لا عقلٌ يُنبهُهُ
كما تحرَّقَ دونَ القصدِ مغدورُ

٦٦.يا واصلاً لم يَصِلْ والناسُ قد وصلوا
كأنّما هو طيفٌ. زارَ، مذعورُ

٦٧.أستودعُ اللهُ منكَ القبرَ أيَّ فتى
على الفضائلِ والآدابِ مفطورُ

٦٨.مُباركٌ لو ينيلُ التُّربُ سائلَهُ
لعادَ تبرًا تُساويهِ الدنانيرُ

٦٩.لـهُ مـنَ الجنِّ تسـخيرٌ يُـخـلـصُـهُ
ومــن تــنــاولــهِ الميـمــونِ إكسيرُ
٧٠.حسـيبُ زيَـةَ مـن قـوم لـهم شَـرفٌ
تُـزهـى الـدَّواويـنُ مـنـهُ والـدَّفـاتيرُ
٧١.سـيوفُهُمْ فتَّحتُـهـا وهـي مغلقةٌ
حتى اشتفى الدينُ منها وهو موتورُ
٧٢.قيسٌ وما القيسُ إلاّ سادَةٌ نُجُبٌ
تَـزهـى الـقـبـائـلُ منهُم والعشائيرُ
٧٣.تـوارثـوا المجدَ مـن جَـدٍّ إلى ولـدِ
يــأتــي أكــابــرُ إن مــرّتْ أكـابيرُ
٧٤.حـتـى أتيتَ أبا بكر قد أجتمعتْ
لكَ الـفـضـائـلُ مــنـهــم والمآثيرُ
٧٥.فَـرْدٌ تـفـتَّـقُ عـنـه كـلُّ مكـرمـةٍ
كـمــا تَـفـتَّـقَ في الـروضِ الأزاهيرُ
٧٦.يـبـكيكَ كُلُّ طريـدِ الدارِ مُنتزحٍ
عــن الأقــاربِ أعـيـتْـهُ المعاذيرُ
٧٧قـد كـانَ مـنك إلى ظـلٍّ ومُـسـتـنـدٍ
يـأوي، ويـعـقـبُـهُ، المعسـورُ، ميسـورُ
٧٨يـبـكـيك طـالبُ حـاجـاتٍ مُـعذَّرةٍ
لَــهُ لــبــابِــكَ إدلاجٌ وتــهــجيرُ
٧٩فـالآنَ يُـرجـعُ لا مَـا رامَ أدركـهُ
منـهـا فحـبـلُ رجـاءِ الحاجِ مـبـتـورُ
٨٠إنّـي لأبـكـيك عَـن خُـبرٍ ومعـرفـةٍ
فـأنت عـنـدي مـعـلـومٌ ومخبـورُ
٨١إنْ يؤثرِ الفضلُ في الأقوامِ عن فَرَقٍ
شتَّى، فعنكَ جميعُ الفضلِ مَذخورُ
٨٢أو يـوصـفُ الـنـاسُ أفـرادًا بمكـرمـةٍ
فـأنت بـالـكـل مـوصـوفٌ ومشـهـورُ
٨٣قد أقفرتْ أرْبُعُ الأكرامِ منهُ وقد
سَفَتْ عـلـيـهـا لأرواحِ البـلـى مُـورُ
٨٤وعندما كانَ غُصنًا مثمرًا كرَمًا
هبَّتْ عليه مـن البـلـوى أعاصيرُ
٨٥ومُـــدَّ في الـــقـبر لـــكــن.......
لأنَّـهُ فـيـه حـتـى الحشرِ مَقصورُ
٨٦.يـا روضـةً بـاهـرَ الأفضالِ نـابَ بـهـا
عـن الـبـهـارِ وعـن خيريِّـهـا الخيرُ
٨٧.تيهي على الدهر طولَ الدهرِ والتزمي
إعظامَ أعْظُمِ من في التربِ مقبورُ
٨٨.فـقـد تـأنسَ سـكـان الـقـبـورِ بـهِ
كـمـا تـوحَّش مـن في الـدورِ والـدورُ
٨٩.بينَ المعـزَّيـنَ كـأسُ الحزنِ دائـرةٌ
فـالـنـاسُ مخمـورةٌ: سكرى ومخمورُ
٩٠.عُزّيتُ فيك لأنَّ الناسَ قد علموا
أنّي إذا مِـتُّ وجـدًا فـيكَ: مـعـذورُ
٩١رَجَوْا عن الغمضِ منكَ الجفنَ وانتربوا
فـالـكـلُّ مـنـهـمْ مـن الأرزاءِ مَـوفـورُ
٩٢هـذا شـقـيـقُـك لا صبرٌ يـؤنِّـسـهُ
كــأنّــه لــســمــاعِ الحزنِ مصـدورُ
٩٣وذا خـلـيـلُـك فوق التربِ مُنحفرٌ
كـأنَّـهُ بسـيـوفِ الحـتـفِ مَـعـقـورُ
٩٤فـيـا بَـنِـيـهِ اخْـلُـفوا فينا مَراتبَهُ
فـالـزهـرُ تَجلو الدجا والبدرُ مستورُ
٩٥ولْـتَـلـزمـوا كـلَّ فـعـلٍ كـانَ يـلـزمُـهُ
مــن المعــالي فسيروا مـثـلـهُ سيروا
٩٦حَـيّـى ضـريـحًـا حَواه،كُلُّ مـنـهـمـرٍ
ولا تَـعْـداهُ تــقــديسٌ وتــطــهيرُ

٩٧وحلَّ روضة خلد لا زوالَ لها

تغدو عليه بها الولدانُ والحورْ

٩٨إنَّ القلوب إليه الدهر مائلةٌ

وأعينُ الناس وجدًا نحوهُ حُورْ

(٧) التخريج: أعلام مالقة: ٣٦٨-٣٧٢. أدباء مالقة:٣٩٧-٤٠١.

٥٨. في أدباء مالقة: كأن زورقه الجاري.......

٨٥. في أدباء مالقة حصل الطمس ذاته.

٨٩. في أدباء مالقة: من المُعزى وكأسُ الحزنِ دائرةٌ.

٩١. في أدباء مالقة: جاف عن الغمض منك الجفن والهَنَا

٩٧. في أدباء مالقة.........................

تغدوا عليها له الولدان والحور

٩٨. في أدباء مالقة.........................

وأعينُ الناس وجدًا نحوهُ حور

(٨)

وله قصيدة كتب بها جوابًا لبعض إخوانه: (البسيط)

١.أطلْ على الدهر في عتبٍ أو اقتصرِ

فلست منهُ على حالٍ بمنتصرِ

٢.ودَع بنيه ففيهم من شمائله

ما قد تضمَّنَ من مستقبحِ السيرِ

٣.حازوا التليدين من لؤمٍ ومن حسدٍ

إلى الطريفين من عيٍّ ومن حصرِ

٤.كم قد تنكر لي من قد محضتُ لهُ

ودّي وما جئتُ من شيءٍ لهُ نُكُرِ

٥.وظلَّ يوثرُ أفراسَ العداوةِ لمْ

ينفعهُ وعظٌ ولم أغدرْ ولم أتِرِ

٦.لما توهم أن يقوي بقدرته

على المضرة لم أصرفْ لهُ بصري

٧.وكلتُ لله آمالي فأعجزهُ

وقلتُ بالجبر لما قال بالقدرِ

٨.إيه فديت بأرواح الغداة أبا

محمد وفداك الدهرُ بالنفرِ

٩.أتشتكي حسدَ الحساد وقولَهمُ

كالنار تعرف فيها نكهة القطرِ

١٠.إنْ كنت تطلبُ منهم مثلَ نفسك قدْ

طلبتَ معجزةً من غير مقتدرِ

١١عذرًا لهم فلقد راموا بجهلهمُ

شأو امرىء فوق أوجِ الشمس والقمرِ

١٢مهما مشى نحو قصد. للعلاء سعَوْا

وإنْ سعوا خلفهُ في غاية يَطِرِ

١٣تجري اليراعُ بيمناهُ فتبلغُ ما

يعيي من سمهريٍّ في يمين جري

١٤وصفتني بصفات أنتَ مالكُها

لكن تكسيتَ منها ثوبَ مُفتخرِ

١٥فالريحُ تخطرُ بالأزهار جاريةً

فتكتسي من شذاها الطِّيبِ العَطِرِ

١٦كأنما كنتَ في المرآةِ تبصرُ منْ

وصفتَه. فلديها العكسُ للصورِ

١٧حقًا دعيت بزهريٍّ فإنك قد جمعت

في الطرس بين الزَّهرِ والزُّهرِ

١٨وقد برعتَ زهيرًا في القريض ومن

تقارب اللفظ. خصّوا ذاك بالصغرِ

١٩إيه تكلفني رَدَّ الجواب وقدْ

علمتَ أنّي لا أستطيعه. فذرِ

٢٠لمّا بعثتَ رياضًا منكَ مثمرةً

سرقتُ منها، وليسَ القطعُ في الثمرِ

٢١فإنْ نطقتُ فعن علمٍ بصفحِكَ لي

وان سكتُّ فإنّي بالسكوتِ حَرِ

(٨)

التخريج: أعلام مالقة: ١٩٠-١٩١: أدباء مالقة: ١٨١-١٨٢.

١. في أدباء مالقة :

أطِلْ على الدهرِ في عتبٍ أو اقتصرِ

٥.في أدباء مالقة :

وظلَّ يُوتِرُ أقواسَ العداوةِ لي

(٩)

ومن شعره وقد طرقه همٌّ:

(مخلع البسيط)

١.واصبرْ لما يعتريكَ تغنمْ

غنيمةً منتهي راحةٍ وأجرِ

٢.فإنَّ همَّ الخُطوبِ ليلٌ

لابُدَّ يجلوهُ ضوءُ فجرِ

(٩) التخريج: أعلام مالقة: ١٧٨: أدباء مالقة: ١٦٨: تأريخ قضاة الأندلس:١٢٣: بغية الوعاة:١/ ١٨٠.

٢. في بغية الوعاة:

فإنَّ كلَّ الخطوبِ ليلٌ

(١٠)

ومن شعره: (المتقارب)

١.ولمّا أذاب الهوى مُهجتي

فأصبحتُ منها كرسمٍ دَثَرْ

٢.ولم يبقَ عينٌ تراهُ العيُو

نُ مِنّي ولا أثرٌ من أثَرْ

٣.تعرّضتُهُ قاصدًا كي يرى

شحوبي فيُشفق أو يعتبرْ

٤.وناديتُ رفقًا! فقال: أعجبوا

أمن دونِ جسمٍ يُلامُ البشرْ

٥.وقال أتبصرني هازلاً

فإنكَ لست تُرى بالبَصَرْ

٦.فقلتُ لقد صدق القائلون:

أُريها السُّها وتريني القمرْ

(١٠) التخريج: أعلام مالقة:١٨٤: أدباء مالقة:١٧٤.

(١) في أدباء مالقة:...

فأضحتُ كطاسمِ رسمٍ دَثَرْ*

*الشطر الثاني من البيت أُخذ عن المثل أُريها السما وتُريني القمر "ينظر: جمهرة الأمثال:١/١٤٢. والسهى كوكب خفي في بنات نعش الكبرى، والناس يمتحنون به أبصارهم وفيه جرى المثل المذكور . ينظر: أدب الكاتب:٧٢.

(١١)

وكتب إلى محمد بن يوسف بن عمّار المُكتب❖. لما حدق❖❖ ابن أخته- ابن خميس - في سورة فاطر على يديه أبيات شعرٍ يستعذرُ له فيها:

(مجزوء الكامل)

١.عُذرًا أبا عبدِ الألهِ

فإنَّهُ نَزرٌ يسيرْ

٢.واقبلْ قليلَ أخٍ لَهُ

في وَدِهِ العددُ الكثيرْ

٣.لو كان يهدي قدرَ ما

يُخفي من الودِّ الضميرْ

٤.لم يـرضَ ثـهـلانـا ولـم

يـقـنـعْ بـوزنـتـهِ ثـبيرُ

٥.دامتْ بـكُـمُ تحيـى الـنفـو

سُ فـدًى فـتـنشـرحُ الصـدورُ

٦.ثـمّ السَّـلامُ عـلـيك مـا

لاحتْ بـأفـاق بـدورُ

(١١) التخريج: أعلام مالقة :١٥٨: أدباء مالقة:١٤٦.

❖ (يكنى أبا عبد الله... كان يرحمه الله - فاضل الخلق، حسن العشرة، مُوطّأ الأكناف مشفقًا(...)، وكان كاتبًا بليغًا، وشاعرًا مطبوعًا). ينظر في ترجمته وأشعاره: أعلام مالقة: ١٥٨-١٥٩: أدباء مالقة: ١٤٥ -١٤٦.

❖❖ الحدقة أو الحذقة في الأندلس هي الاحتفال بإتمام الصبي قراءة القرآن أو جزء منه - وتلقى فيها القصائد التي تعبر عن هذا الاحتفال وتنشد أمام المعلم أو في المسجد. وهي من الأعراف الاجتماعية الأندلسية. ينظر ابن الجياب الغرناطي (حياته وشعره): ١٨٨.

❖❖❖ثبير: أعلى جبال مكة وأعظمها. ينظر الروض المعطار في خير الأقطار:١٤٩.

ثهلان: جبل باليمن، وقيل بالعالية، والعرب تضرب به مثلا في الثقل، فنقول: أثقل من ثهلان.

يُنظر: الروض المعطار في خبر الأقطار :١٥١.

في أدباء مالقة :

يـعـود بـالـعـددِ الـكـثيرُ

في أدباء مالقة زاد البيت الأخير وهو:

٧-لـلـه درّك مـن أخٍ قـد

جـلَّ قـدرًا عـن نـظيرُ

(١٢)

ومن شعره في ناعورة:

(السريع)

١.وسـابـحٍ في الماءِ أعـجبْ بـه

لـمْ يـعـرفْ السـبـحَ ولا أنـكـرا

٢.يـجري مدى الدهرِ ومازال عن

مـوضـعـهِ يـومًـا ولا أقصـرا

٣.ويـنـتـقـي مـن مـائـهِ فضةً

يـسكبُـهـا مـن حـيـنـهِ جـوهـرا

(١٢) التخريج: أعلام مالقة: ١٨٤: أدباء مالقة: ١٧٤.

(١٣)

ومن شعره يصف سيلاً دخل على أمير المؤمنين أبي العلاء في رياضه بوادي ريّة:

(الكامل)

١.يـا أيـهـا الملك الـذي قـد أشرقت

أقـطـارُ ريّـةَ مـن سـنـاهُ ونـورهِ

٢.يا مَنْ يُرينا الشمس فوق جبينه

حُسنًا، وليث الغاب فوق سريرهِ

٣.وإذا الـزمـانُ رأى رجـاحـةَ عـقـلـهِ

صـرفـتْـهُ عـن ثـهْلانـه وثـبيرهِ

٤.عُـذرًا لـوادٍ أمَّ قصـدَ مـقـامِـكُـمْ

كـدرًا، وحسـنُ الـزورِ في تـكـديـرهِ

٥.عـجـلانَ محمَـرُ الأديم كـأنما

غلبَ الحياءُ عـلـيـهِ عـنـد خـطـورهِ

٦.يحكي الحواملَ باضطرابِ فؤاده

قـلـقًـا، وعـدو الأيم عـنـد مسيرهِ

٧.سيُريكَ متنَ السيفِ عندَ صفائهِ

جَـريًـا، وسردَ الـدرعِ عـنـد فـتـورهِ

٨.وافى يقبّلُ في الثرى إذْ لم يُطقْ

تقبيل كفٍّ تزدري بنميرِهِ

٩.ويرومُ يقضي بعضَ حقكم الذي

عجزتْ أُلُو الأفهامِ عن تعبيرِهِ

١٠.مُنعَ الكلامَ وقد تعيَّنَ شكرُكمْ

فأتاكَ يعربُ عنه صوتُ خريرِهِ

(١٣) التخريج: أعلام مالقة:١٩٢؛ أدباء مالقة: ١٨٣-١٨٤.

❖ أبو العلاء: هو أدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، لُقب بالمأمون. من خلفاء دولة الموحدين بمرّاكش. يرتفع نسبه إلى قيس عيلان من مضر. وصف بالشجاعة والاضطلاع في الأدب والفقه والحديث، وقد كان جبارًا فاتكًا ... قال السلاوي في حكمه: كانت أيامه شقاءً وعناء ومنازعة، وكان محقُّ دولة الموحدين واستئصال أركانها وذهاب نخوتها على يده.

يُنظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ٤/٢٦٣-٣٠٦؛ الإحاطة في أخبار غرناطة: ١/٢٦٧؛ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى: ١/١٩٧-٢٠٠.

❖❖ رية: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة نزلها جند الأردن من العرب، وهي كثيرة الخيرات. يُنظر: الروض المعطار في خبر الأقطار :٢٧٩-٢٨٠.

في أدباء مالقة:

ويروح يقضي بعضَ حقكم الذي

(قافية السين)

(١٤)

وله في قارئ يقرأ ما يكتب له تحت أثوابه باللمس من غير أن يعاين ما في الطِّرس مكتوبًا:

(السريع)

١.وقارئٌ ما تحت أثوابه

كأنما ينظرُ في طِرسِهِ

٢.نوريةٌ فاضت بأعضائه

فانقلبت فيه إلى حسِّهِ

٣.كأنما قُوَّةُ إبصارِهِ

قد نُقِلتْ منه إلى لمسِهِ

٤.كأنما الحرفُ لَهُ نابضٌ

وهو كجالينوسَ في جَسِّهِ

٥.لا تعجبوا من أمرِ إدراكِهِ

ينفذُ ما يعلوهُ من لبسِهِ

٦.فالأفقُ الأعلى سماواتُهُ

لا تحجُبُ الإدراكَ عن شمسِهِ

٧.لمثلهِ كان سليمانُ قد

تفقَّدَ الهُدْهُدَ في نفسِهِ

٨.فيها لَهَا منْ آيةٍ أعجزتْ

عن مثلها كُلَّ بني جنسِهِ

(١٤) التخريج: أعلام مالقة:١٨٨؛ أدباء مالقة: ١٧٩.

٢- في أدباء مالقة:

مزية فاضت بأعضائه

(قافية الصاد)

(١٥)

وله في أحدب:

(السريع)

١.يا أوقصَ الخلقةِ بُعدًا فقدْ

شوَّهكَ اللهُ بهذا الوقَصْ

٢.وزادكَ اللهُ، ولكنَّها

زيادةٌ أكثرُ منها نقصْ

٣.كـأنّـهُ في حـمـلـهـا صـائـدُ
يـحـمـلُ مـن دون طـيـورٍ قـفـصْ
(١٥) التخريج: أعلام مالقة:١٨٥؛ أدباء مالقة:١٧٥.

(قافية العين)

(١٦)

وكتب إليه الفقيه أبو علي الأستبحي❖ بقطعة شعرية، فجاوبه عليها مسرعًا: (الكامل)

١.يا سيدي قد أفحمتني أحرفٌ
ألفيتُ فيها كلَّ سحرٍ مُودعا
٢.وافتْ وعهدِ أخيك عن أتبالها
قد طلَّ مَنْ نهب السرور ووَدَّعا
٣.ذكَرت عن قمرين لاحا عندنا
ولعلَّ عندك أشرقا وتطلّعا
٤.سَكرا بأفلاك جرتْ بهما لنا
فتآلفا في أفقنا وتجمّعا
٥.فلعلَّ إظلامًا لدينا ينجلي
بهما، وأُنساً قد مضى أن يرجعا
٦.ولقد غنيت بنورِ وجهك عنهما
وبنور ذهنك إذ بدا وتشعشعا
٧. ولئن تغبْ عنا فإنك حاضرٌ
فاعجبْ لمفترقين قد حضرا معا
٨.فإذا تمتّع ناظري حسناً فقدْ
لاحَ الجمالُ للحظكم فتمتّعا
(١٦) التخريج: أعلام مالقة:١٩١؛ أدباء مالقة:١٨٢-١٨٣.

❖ أغلب الظن أنه الاستبحي المالقي محمد بن عبد الله بن محمد الحميري، شاعر وأديب، كان حيًا سنة ٦٣٩هـ.... يُنظر: أعلام مالقة:٢٢٤-٢٢٥، وله شعر في ص٢٤٠. وقد أورد كنيته الأخرى وهي أبو عبد الله.

أدباء مالقة:٢٣١، وحين أورد الشعر كنّاه بأبي علي. يُنظر: ٢٦٤. والأبيات والكنية في ترجمته وشعره في: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها:٢١١-٢١٢.

٢. في أدباء مالقة:
وافت وعهد أخيك عن أمثالها
٥. في أدباء مالقة:
فلعل ظلاً ما لدينا ينجلي
٧. في أدباء مالقة:
ولئن يغب عنا فإنك حاضرٌ

(قافية الغين)

(١٧)

ومن شعره: (الطويل)

١.إلى الله قومٌ قد تعرَّضت الدُّنى
لهم ورملتهمُ كي تصيب فراغْ
٢.وتبًا لنفسي إنها عَن طريقِهمْ
تميلُ لقومٍ بالجهالةِ راغوا
٣.أهابَ ذنوبًا صيَّرتني لميتةٍ
إهابًا وما إلا المتاب دباغْ
٤.تقسَّمت الأعضاءَ مني بطالةٌ
فللّهو قَلبٌ، والرُّقاد دماغْ
٥.وبيني وبينَ النفس في كلِّ حالةٍ
دفاعٌ، فتُردي مرَّةً وتُراغْ
٦.عجزتُ فما وسمُ الجلادِ بلائحٍ
عليَّ، ولكن للوسادِ صُداغْ
٧.وأخلدتُ للرَّاحاتِ، والموتُ يستوي
أولو.ضنكِ عيشٍ عنده ورباغْ

أبو عبد الله محمد بن علي.. ابن عسكر الغساني المالقي (ت٦٣٦هـ) «حياته وآثاره» دراسة وجمعًا وتحقيقًا

(١٧) التخريج: أعلام مالقة:٢١٧٧: أدباء مالقة:١٦٧.

(قافية القاف)

(١٨)

ومن شعره يصف عشية أُنس رحمه الله:

(الطويل)

١. أأنسى من الأزمان أُنسَ عشيَّةٍ
أجلنا بها الأحداقَ بينَ الحدائقِ

٢. حدائقُ بيض بالأزاهر وسطها
جداولُ كالأسطار وسطَ المهارقِ

٣. كأن على تلكَ الأباطح جُرِّدَتْ
صوارمُ لمّا خيفَ من كلِّ طارقِ

٤. صفتْ وصفًا فيها الحصا فكأنها إل
مجرَّةُ حُفَّتْ بالنجوم الشَّوارقِ

٥. وقد أودعَ الأرواحَ عندَ هبوبها
عليها يديْ داودَ ربُّ الخلائقِ

٦. يصوغُ دروعًا فوقها كلما جرَتْ
فيالك من حسنٍ لِلَحْظِكَ رائقِ

٧. وغنتْ بها الأطيار وهي تُجيبها
فيا عجبًا من حسنِ أخرس ناطقِ

٨. أقمنا عليها بعضَ يومٍ كأنه
لبصره في العمر لمعةُ بارقِ

٩. مع أبناءِ صدقٍ طاهرينَ كأنهم
نجومُ سماءٍ أشرقتْ بالمشارقِ

١٠. حسانُ الذي يبدو فويقَ جُيوبهم
أعفةُ ما قدضُمَّ تحتَ المناطقِ

١١. أقرَبنو الدنيا جميعًا بأنهم
شياهٌ وكلُّ الناسِ مثلُ البيادقِ

١٢. يديرونَ في وصف العلوم كُؤُسَهمْ
وليسَ سوى الآدابِ خمرًا لذائقِ

١٣. رأتْ أُنسنا شمسُ النهار فلم تزلْ
تُسارعُ نحو الغربِ سير السوابقِ

١٤. وغارت بنا فأصفرَ للناسِ وجهها
كما اصفرَ من خوفِ النوى وجهُ عاشقِ

١٥. عجبتُ لهَا قدْ أبصرتنا ولم تقفْ
وقد وقفتْ قِدمًا لقتلِ العَمالقِ

١٦. فهلاً أقامتْ كي يدومَ وصالُنا
ولو قدْرَ ما ترتدُّ مقلةُ وامقِ

١٧. فتبًا لدهرٍ لا يدومُ نعيمهُ
لقد قُطِعَتْ الأمنِ منهُ علائقي

١٨. تطولُ على الحُرِّ اللبيبِ صروفُهُ
كليلِ سَليمٍ أو عذابِ منافقِ

١٩. وتقصرُ ساعاتُ الوصالِ إذا أتت
كخُلّبِ برقٍ أو كغفلةِ سارقِ

٢٠. فيا الزمان بالورى مُتقلِّبٌ
خلائقهُ للخلقِ شرُّ الخلائقِ

٢١. كأنَّ بني الدُّنيا لوقعِ صروفِها
عصافيرُ تُرمى عن قسيِّ البنادقِ

٢٢. فما منهم من يستطيعُ تحصُّنًا
لأصماءِ سهمٍ للمنيةِ راشقِ

٢٣. سواءٌ عزيزُ القومِ مثل ذليلِهمْ
لديه، ومن في السفح أو في الشواهقِ

٢٤. فما عمرت عمرو بن هندٍ جنودُهُ
ولا أنعمَ النعمانَ قصرُ الشقائقِ

٢٥. كأنَّ جميعًا إذ سقاهُ حِمامُهُ
بكأسِ حقاقٍ خَرّ من رأسِ حالقِ

٢٦.أطعتُ الهوى حتى خُدعتُ ومن يطعْ

هوى النفس يخدعْهُ كخدعِ المآذقِ

٢٧.فيا نفسُ كفيّ قد بلغتِ بي المدى

أمالكِ بعد الشيبِ توبةُ صادقِ

٢٨.ويا ربِّ عفوًا إنني منكَ واثقٌ

فمَنْ على عبدٍ بجُودِكَ واثقِ

(١٨) التخريج: أعلام مالقة: ١٨٨-١٨٩: أدباء مالقة:١٧٩-١٨٠: الذيل والتكملة: ٤٥١/٦: الإحاطة: ١٠٥/٢-١٠٦.

٢٦- في ادباء مالقة........

هوى النفس يخدعْهُ كخدعِ المُماذقِ

٢٧- في ادباء مالقة........

بمَنْ على عبدٍ بجُودكَ واثقِ

(١٩)

وله قصيدة ألتزام إطّراح الراء في جميعها. أولها

١.عذلُ العذولِ على الهوى العُشاقا

عَذلٌ يهيّجُ منهم الأشواقا

(الوافر)

ومنها:

٢. وإذا الشبابُ إلى المشيب أضفتَهُ

عادَ المشيبُ لدى الشبابِ مُعاقا

٣. والشيبُ أوعظُ واعظٍ عاينتَهُ

للناس يفضلُ صمتُه النُّطاقا

(١٩) التخريج: بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس: ١٥٤/١.

(قافية اللام)

(٢٠)

ومن شعره وقد أُستدعي أن يجيز: (الطويل)

١. أجبتُكَ لا أني لما رُمتَهُ أهلُ

ولكنْ ما أحببتَ محتملٌ سَهْلُ

٢. وكيفَ أراني أهلَ ذاكَ وقد أتى

عليَّ الميتانِ: البطالةُ والجهلُ

٣. وما العلمُ إلاّ البحرُ طابَ مَذاقُهُ

ومَالي غلٌّ في الورودِ ولا نهلُ

٤. فأسألُ ربي العفوَ عني فإنَّهُ

لما يرتجيهِ العبدُ من فضلهِ أهلُ

(٢٠) التخريج: أعلام مالقة:ص ١٧٨: أدباء مالقة:ص١٦٨: الذيل والتكملة: ٤٥١/٦: الأحاطة: ١٠٥/٢-١٠٦.

٣. في أدباء مالقة..........

ومَالي محلٌّ في الورودِ ولا نهلُ

(٢١)

وله قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين أبا العلاء إدريس:

(الطويل)

١.إليك تركتُ الأرضَ والمال والأهلا

لأسمعَ من داعي قبولِكَ لي: أهلا

٢.وفيك هجرتُ العيشَ أخضرَ ناعمًا

بها ونسيمَ الأرضِ أعطرَ مُعتلاً

٣.ركبتُ إلى لقياك كلَّ مطيّةٍ

مُبراةٍ أنْ تعرفَ الأبَ والنسلا

٤.إذا نسبُوها فالتنوفةُ أُمُّها

ووالدُها ماءُ الغمامِ إذا انهلاً

٥.وما علمت يومًا غذاءً وإنما

أعارَ لها الأعضاءَ سائسُها فَتْلا

مقالات

٦.وقد ضمرتْ حتى اغتدت من نُسُوعها

فلو عرضتْ للشمسِ ما أسقطتْ ظِلاً

٧.وما في قداها قدرُ مقعدِ راكبٍ

ولكنها ساوتْ مساحتها الرِّجْلاَ

٨.لتبليغها المضطرَ تُدعى ببلغةٍ

وإنْ قستَ بالتشبيهِ سمَّيتها نعلا

٩.سأشكرها جُهدي وأثني بفضلها

فقد بَلَّغتني خيرَ من وطئ الرَّملاَ

١٠.مليكاً كأنَّ الشمسَ فوقَ جبينِهِ

وليث الثرى في درعِهِ حاملاً شِبلاً

١١.إذا رام أمرًا لم يخف فيه من عسى

وإنْ قال كُنْ لم يخشْ في غرضٍ من لا

١٢.وما ذاك إلاَّ أنَّ في اللهِ همَّهُ

فيُجرى له في ذلك القول والفعلا

١٣.له فتكات في العدى وعزائم

تسدُّ رُعبًا في قلوبهم السُبلا

١٤.نعدهم أسرى وهم في ديارهم

ونحسبهم ما بين أهليهم قتلا

١٥.همامٌ إذا ما الحرب شبَّتْ تقدَّمتْ

به هِمَّةٌ، حسبُ الشجاع بها فضلا

١٦.إذا أوعدَ الأعداءَ لم يعرفوا البقا

وإن وعد العافين لم يعرفوا المَطْلا

١٧.ولا غروَ إن لاحت نُحيلة باطلٍ

فَعجِّلْ بها، فالحقُّ يعلو ولا يُعلى

١٨.ألم ترَ مُوسى حين ألقى عصاهُ لم

يطقْ ساحرٌ يُلقي عِصيًا ولا حبلاً

١٩.وما ابن لبونِ الحربِ يسطيعُ صولةً

إذا هُو قد رام القناعيس والبُزلا

٢٠.تُقابلُهُ سيفًا، ومنك تسابقًا

حُسامٌ مُحلّى أو دهاءٌ قد استعلى

٢١.طلعت بأُفقي إمرةٍ وخلافةٍ

كما اشترك النوران واتحدا فِعلاً

٢٢.وإنَّ امتزاج الطيب بالطيب مكسبٌ

لهُ قوَّةً ما كان يعرفُها قبْلاً

٢٣.رضيتُ بتغريبٍ يُصحِّفُ لفظَهُ

لديَّ بتقريبٍ إليك، فما أحلى

٢٤.وبالشوقِ للأحبابِ إذ أنت مؤنسي

وكم وحشةٍ صارتْ طريقًا لما يُسْلي

٢٥.وبالبين عنهُم خائفًا مُترقبًا

وإذ سارَ مُوسى خائفًا لحقِ الرُسلا

ومنها:

٢٦.جهولٌ يرى أنَّ السيادةَ شِرعةٌ

فقل: سامريٌّ صاغَ من عسجدٍ عجلا

٢٧.وما زلتُ أُوليهِ من البِشْرِ والرِّضا

نصيبًا، ويولي من إساءتهِ كيلا

٢٨.إلى حين أصْمتني سِهامُ قسيِّهِ

فأوقعن بي عيبًا وسبُبن لي نَغْلاً

٢٩.وسرتُ طريدًا في البلاد كأنني

لأحمدَ سمعًا قد حملتُ به عذلا

٣٠.فأحمدُ ربي إذْ مُنيتُ بغربةٍ

ولم يرني صانعتُ وغدًا ولا رذلاً

٣١.ورُبَّما ماتتْ من الجوعِ حُرَّةٌ

ولم ترضَ أن تختارَ من ثديها أكلاً

٣٢.فمن مبلغ الأعداءِ أنِّيَ آمِنٌ

وأنَّ أذاهُمُ عادَ مُمتنعًا سَهْلاً

٣٣.وإني بحيث الدهرُ قد صار خائفًا

لإضراره بي أنْ أحمِّلَهُ الثُكلاَ

٣٤.وأنيَ منكم في جوار وأرتقي

لـه البدر. ما شان المحاق له شكلا

٣٥.أما علموا أني بآخر آية

من اقتربت، سحرًا يورثهم خبلا

٣٦.فدمتُ بكم أجني السرور ويجتني

عدوّي من فرط الحسادة لي ثكلا

(٢١)التخريج: أعلام مالقة: ١٨٦- ١٨٨: أدباء مالقة: ١٧٦- ١٧٩: الذيل والتكملة: ٦/٤٥١: (الأبيات ٣-١٢)..

٢- في أدباء مالقة.......

بها ونسيمُ الأنس أعطر مُعتلا

٧- في أدباء مالقة.

وما في سواها قدرُ مقعد راكب

....

في الذيل والتكملة:

وما في قراها قدرُ مقعد راكب

٢٨- في أدباء مالقة.......

فأرّقتي غشًا ويثمني بُخلا

(قافية الميم)

(٢٢)

قال ابن خميس: (وقد نُعيتْ إليه نفسُه. حين آنَ آنْ تغرُبَ من سماء مغاربه شمسه فمن شعره ذلك. {الطويل}

١.ولمّا انقضت إحدى وخمسون حجّةً

كأني منها ما تذكرت أحلُمُ

٢.ترقّيت أعلاها لأنظر فوقها

إلى الحتف مني علّني منه أسلَمُ

٣.إذا هي قد أدنتْهُ مني كأنّما

ترقّيتُ فيها نحوهُ وهي سُلّمُ

(٢٢) التخريج: أعلام مالقة: ١٧٧: أدباء مالقة: ١٦٧: الإحاطة: ٢/١٠٥. تاريخ قضاة الأندلس :١٢٣.

٣- في أدباء مالقة

إذا هي قد أدنتْ إليه كأنّما

لترقيه فيها نحوه وهو سُلّمُ

في الأحاطة:

إذا هو قد أدنتْ إليه كأنّما

....

(٢٣)

ومن شعره في قوس: {السريع}

١.ألا يا ناظرًا رميي تعجّبْ

كأني في الإصابة لحظ ريمِ

٢.أسرُ بحُسن ريْشي من رمى بي

كأني قد رميتُ على الهمومِ

٣.إذا أرمي السهام يقالُ: هذا

هلال الأفق يرمي بالنجوم

٤.فلو أرمي على الشيطان يومًا

سبقتُ إليه من قبل الرُّجُوم

(٢٣) التخريج: أعلام مالقة: ١٨٤: أدباء مالقة:١٧٥.

في أدباء مالقة :

أسرَ بحسن رميي من رماني

(٢٤)

وقال مجاوبًا أبا عمرو سالم بن صالح الهمداني: {البسيط}

١.مالي يدٌ بالذي أوليت من نعم

ولا أُطيقُ حياتي شكرها بفمي

٢.ولستُ أسطيع وصفَ بعضها أبدًا

حتى أُؤلّفَ بين الماء والضَّرَمِ

٣.صحيفةٌ قد أتتني منكَ مُحكمةٌ

كأنها راحةٌ تُهدى إلى سَقَمِ

٤.بَدا بها عندما عاينتُ أحرُفَها

لاحتْ كمسكٍ على الكافور منتظمِ

٥.شعرٌ مصوغٌ من الشعرى ومرزمِها

ومن عقيقٍ ومن دُرٍّ ومن حِكَمِ

٦.شتّى، وألفها السحرُ الحلالُ به

كأنَّ هاروتَ بين الفكرِ والقلمِ

٧.كأنما كوكبٌ في كل قافيةٍ

ما أحسنَ الشُهبَ في الألفاظِ والكلمِ

٨.إنْ كان زهرًا فمن يمناك منبتُهُ

وإنما تنبُتُ الأزهارُ بالديَمِ

٩.أو كانَ دُرًّا فأنتَ البحرُ في أدبٍ

وعادةُ البحرِ قذفُ الدرِّ للأُمَمِ

١٠.وافتْ بخطٍّ لو أنَّ الواشي أبصرَه

أقرَّ بالفضلِ للأقلامِ في القلمِ

ومنها:

١١.أكرمْ بمُرسلِها من ماجدٍ ورعٍ

حلوِ الشمائلِ والأخلاقِ والشيَمِ

١٢.قد رقَّ طبعًا وقد راقتْ شمائلُهُ

فهُو الوجودُ وكلُّ الناسِ كالعدمِ

ومنها:

١٣.وصاغهُ اللهُ من فضلٍ ومِنْ أدبٍ

حتى اغتدى فوقَ أنفِ المجد كالشممِ

١٤.مِن آل سالمٍ من قومٍ لَهُم حَسَبٌ

يُضيءُ كالبدرِ جَلّى ليلةَ الظُّلَمِ

١٥.العاملون علوم الدين إنْ تُركتْ

والحاكمون صروفَ الدهر بالحكمِ

١٦.فلو رآهم زُهيرٌ لانثنى لَهُمُ

بمدحِهِ وتعدّى القولَ عن هرمِ

١٧.فيا أبا عمرو الأعلى، نداءَ أخٍ

لم يرمِ في شُكرِ ما أوليتَ بالسَّأمِ

١٨.توهمت باسمي في شعرٍ بعثتَ بهِ

حتى رأيتُ الثريّا فوقها قدمي

١٩.ألزمتني فيه حَقًّا لا أُفارقهُ

عُمري كما أُلزمَ التأكيدُ للقَسَمِ

٢٠.لئنْ مدحتُ فلي قُربى شَرفتُ بها

ما إنْ يفي خاطري عن ذكرها بفمي

ومنها:

٢١.أرضعتني بلبان العلم مُغتذيًا

به: فحسبي مِنْ قُربى ومن رحمِ

٢٢.بعثتَ لي ببناتِ الفكر مُحكمةً

حرائرًا، فلذا وجَّهتُ بالخَدَمِ

٢٣.وما قصدتُ، وحاشا، أنْ أماثِلَها

ومَنْ يماثلُ بينَ السيفِ والزَّلمِ

٢٤.وإنْ تكنْ صفةٌ للشعر تجمعُها

فليس حمرةُ خَدٍّ كاحمرارِ دَمِ

(٢٤) التخريج: أعلام مالقة:٢٣٩-٢٤٠؛ أعلام مالقة:٣٦٣- ٣٦٤.

❖ (كان من جملة المحدثين والأدباء والنبهاء، حافظًا للغات على الرواية، كثير الضبط والإتقان (...). وكان رحمه الله- أديبًا شاعرًا فاضلاً لوذعيًا متواضعًا، حسن الصحبة، جميل العشرة، حسن العقيدة...).

أعلام مالقة :٣٣٧؛ أدباء مالقة: ٣٦١. وللمزيد عن أخباره وأشعاره. ينظر: برنامج شيوخ الرعيني:١٠٥-١٠٧؛ المغرب في حلى المغرب: ٤٢٣/١؛ الذيل والتكملة:٢/٤-٦.

٩- في أدباء مالقة:

أو كان بحرًا فأنت البحرُ في أدبٍ

(٢٥)

وقد رغب منه الفقيه الكاتب أبو الحسن الرعيني أن يجيز أولاده: فكتب إليه: {السريع}

١. أصوَح النبتُ فيُرعى الهشيمْ
عذرًا فما برقي ممًا يشيمْ

٢. فصارمُ العجز لديّ اغتدى
ضلبًا وعضبُ العلم في الجهل شيمْ

٣. حسبُ المعيديّ سماعٌ فما
له إذا ينظرُ مرأىً وسيمْ

٤. إن تطلب الرؤية منهُ فقدْ
كلّفَ من ذلكَ خسفًا، وسيمْ

(٢٥) التخريج: أعلام مالقة: ١٧٨؛ أدباء مالقة:١٦٩.

١- في أدباء مالقة:

أصرَحَ النبتُ فيُرعى الهشيمْ

٤- في أدباء مالقة:......

كُل حتى ذاك خلقًا، وسيمْ

(٢٦)

كتب يجيز جميع ما رواه والّفه لأبي بكر بن حُبيش ❖ وأخيه أبي الحسن وضمن هذه الإجازة ثلاثة أبيات هي: {الطويل}

١. أجبتكما لكن مقرًا بأنني
أُقصّر فيما رمتُما عن مداكما

٢. فإنكما بدرانِ في العلم أشرقا
فسلّم إذعانًا وقسرًا عداكما

٣. فسيرا على حكم الوداد، فإنني
أجودُ بنفسي أن تكونا فداكما

(٢٦) التخريج: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة:٢/٨٨.

❖ راجع في أخبارهما وثقافتهما: ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة:٢/٨٣- ١٢٦؛ مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها:٤٨-٤٩؛ وله شعر في :٩٥ -١٤٢؛ بغية الوعاة:١/٩٢؛ نفح الطيب: ٤/٢١١ -٢١٢.

(٢٧)

ومن شعره في أحدب:

(السريع)

١. وأحدبٍ تحسب في ظهرهِ
حبابةً في نهرٍ عائمَهْ

٢. مُثلّثُ الخِلقةِ لكنَّها
في ظهرهِ زاويةٌ قائمَهْ

(٢٧) التخريج: أعلام مالقة: ١٨٤ -١٨٥؛ أدباء مالقة: ١٧٥؛ الإحاطة: ٢/١٠٥.

١- في الإحاطة:...........

جاءَ بهِ في نهرٍ عائمَهْ

(قافية النون)

(٢٨)

ومن شعره: {المتقارب}

١. ويقصرُ مُهدي النعاج العجافِ
عنِ السمنِ البُدْنِ والبُدُنِ

٢. أمثلي يُعرضُ في حلبةٍ
تُباري السوابقَ بالكودني

٣. ومن ذا الذي في رواة العلوم
فأثبتني بَعْدُ أو عدَّني

٤. ولو زمتُ إلحاقَ نفسي بهم
لطاردني العجزُ أو ردَّني

٥.وإنـي وإن أنـا عـنـهـم خـطـىً

لأرجـو، وحسـبـي أنْ أدّني

٦.ومـن لي بـإدراك قـوم سـروا

إلى أشـرف الـفـعـل والـديـدن

٧.وقـد قـصَّـر السـنُّ بـي والسـنا

ءُ عـن ذلك الـعـتـق الأهـدن

٨.ولمّا تـبـسّـم عـزف الـعـرا

قِ حـرّكـنـي الشـوق واعـتـدّني

٩.ووالى ارتـيـاحًـا لـمـن خـلّـه

كـعـهـدك بـالـغـصـن الألـدن

١٠.أنـاسٌ بـهـا الـعـلُ بـيض غـدوا

يـلـوحـون في الـزمـان الأكـدن

ومنها:

١١.تـنـصُّ المعـالي عـلـى مجدكُم

كـنص عـلـيّ عـلـى المُدْني

١٢.ولمّا عـلـمتُ بـهـم لم أُبـال

بـمـن سـدّتـه بـعـد أو سـدّني

١٣.وكـلّـفتُ ردّ الجواب لـهـم

فـحـمّـلتُ مـن ذاك مـا أدّني

١٤.فأصبحتُ فيهم قصيرًا كمنْ

يـقـيس الـرّديـنـي بـالمِرْدَن

١٥.فـعـذرًا لمظـهـر سُـوقـهُ

يـروم مـعـارضـة الصـيـدنـي

(٢٨) التخريج: أعلام مالقة: ١٧٩ - ١٨٠: أدباء مالقة: ١٦٩ - ١٧٠.

١- في أدباء مالقة: ويقصد هذي النقاد

الـعـجـائب عـن يمن البرقِ المُدْني

٥- في أدباء مالقة: ....خُطًا

لأرجو لنحسي أن أدّني

٨- في أدباء مالقة:

ولمّا تـبـسّـم عـزف الـعـراق

حـرّكـنـي الشـوق واعـتـادني

٩- أدباء مالقة:

ودلتْ ارتـيـاحًـا لمن خـلّـه...

١٥- أدباء مالقة:

فـعـذر المطـهـر في سـوقـه...

ب - النثر

(١)

وكان قد كتب إلى أبي الحسن الرعيني، وقد كتب إليه أن يجيز أولاده، شعرًا ثم أرفقه بهذا النثر بعد صدور الإجازة:

(وبعد: فإنه لمّا دعا لهذه الإجابة أكرم داعٍ، وجبَ الفعلُ بالاتباع لا بالابتداع، فكم إلى عليّ أن أبرُزَ في منصة العجز سعالتي، وأُطرِّزَ من العُذرِ ما أحتملُ به على علالتي، فلعلَّ هذا المُكلّفَ قصدَ أن يجمعَ إلى الخزِّ المَشوب، أو أظنهُ طلبَ أنْ ينظمَ إلى الدُّرّ المخشوب، فلو لم يأخذِ القوسَ إلاّ الباري، ولا دخلَ الحلبة إلا السّابقُ المُباري، لَمَا عُلمَ الأرفعُ من الأنزل، والرّامح من الأعزل، ولَرُميتْ أدواءُ الجهل بالتعطيل، وعريتْ أفعل عن صفةِ التفصيل، لكن اقتضت الحكمة أن يباين النِدُّ ندّه، ويُلاين الشيءُ ضدَّه، حتى يعرف العذب بالأُجاج، ويشرفَ الدُّرُّ بمُقايسه الزُّجاج، ولمّا علمتُ أنيّ إذا امتثلتُ، ونثرت كنانتي ونثلتُ، فإنما أكون من بين سبق الجوادِ بعيره، وزيَّن بهدره بلاغة غيره، فأحببت، بعد أن تَستَّرت من الحياء واحتجبت، فكتبتُ والقلم عاثر، والعجزُ لما أرومُ نظمه من الكلام ناثر، وبعد أن وقفت على هذا الاستدعاء الذي طلعت من المطالع العراقية شمسُه، وحُسرَ اليومَ بهذه البلاد عليهِ

أمسَّه. وكسا هذا الأفق من حال التشريف والتنويه. ما لم يكن يحتسبه ولا ينويه. وتأهَّلَ لأنْ يحملَ من أهلِه العلم حيثُ قطبُهُ الذي عليه مداره. ويروي عنه بالمكان الذي هو محله وداره. فيا عجبًا للبحار كيف استمدت أوشالها. واستعدَّتْ لطلب المكاتبة. وقد كان يجب أن تقصدَ ويُمشى لها. فيا لها نفحاتٌ مسكية. ولمعات نيرةٌ ذكية. أوجبتْ للأجابةِ حقًا. وصيرت كل سامعٍ مسترقًا ومستعفًا .....وهي طويلة).

(١) التخريج: أعلام مالقة:١٨٠. أدباء مالقة: ١٧٠-١٧١.

(٢)

وكتب معزيًا:

(مثل سيدي. أجزل الله أجره. وأطلع في ليل مصابه فجره. في متصبَّره. من الفضل الذي ملك زمامه. والعلم الذي أصبح إمامه. والزهد الذي رداهُ رداءَ الورع. والمجد الذي فاق فيه نُظراءه فبرع. لا تزعزعُه النوائب. ولا تهزّهُ ولا تروعُه المصائب. ولا تستفزُّهُ جريًا على سنن الفضلاءِ الأكابر. وأخذًا بما ذخر الله تعالى للصابر.

وفي فصلٍ منها: ولستُ. أعزّك الله ووقاك. بأوّل من أفردهُ الدهرُ من حميمهِ. وجرَّعَهُ كأس حميمه. فشيمُ الزمان. وعدم الأمانِ. وسجايا الدهر. رزيا العلماءِ في البر والبحر. ألم يفجع متممًا بمالك*. وصيرهُ يبكي القبور لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك**. وأصاب الخنساء بصخرٍ***. فلم يحجبه ما يَسَّرَتْهُ له من الثناء والفخرِ. وفرّق بين ندمانَيّ جذيمة. فأفقد كل واحدٍ منهما نديمه. وملأ قلب سيبويه أحزانًا. حتى أنشد (عن) أخوين كانا: (الرجز)

كــل أخٍ مــهــمــا غــدا

أخٌ لــه مــفــارقــه

لا بـــدُ أنْ يـــطـــرقُـــهُ

مـــن الحمـــام طـــارقـــه****

وسوف يلحق الفرقدين العناء. فلا ينفعهما الاستثناء. فإذا علمَ المرءُ أنّهُ إلى الموتِ مآله. وقد درج عليه سلفهُ وآله. فما ينفعه الوَلهْ. وسوف يُفني آخره كما أفنى أوّلَهْ:

(الطويل)

ومـا المرءُ إلاّ هـالكٌ وابـن هـالك

وذو نـسـبٍ في الـهـالـكين عـريـق*****

وكتب معها: (المتقارب)

عـزاءً. فـمـثـلُـكَ مـن يـؤتـسـى

بـه في الـعـزاءِ إذا الخطبُ لـمْ

ومـن كـان قـلـبُـكَ في صـدره

محا الصبر مـا خـطَّ فـيـه الألمْ

ولـلـعـلـم بـدرٌ بـه يـجـتـلـي

إذا مـا أدلـهـمّتْ دياجـي الـظـلـمْ

ومن يـدرِ أنَّ الـورى مـنـتـهـاهُ

فـلـيـسَ مـفـيـدًا لـه: لـيـت لمْ

ومـن أمَّـلَ الخُلـدَ في دهـرهِ

فـمـنْ جـهـلـه نـفـسـهُ قـد ظـلمْ

(٢) التخريج: أعلام مالقة: ١٨٠ -١٨٢: أدباء مالقة: ١٧١ -١٧٢.

* مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي. قصتهما ورثاء بعضهما لبعضٍ مشهورة في كتب التراجم والأدب والمراثي.

والنص هنا يشير إلى أبيات متمم يرثي مالكًا:

لـقـد لامـني عـنـد الـقـبـور على البكا

رفـيـقـي لـتـذرافِ الـدمـوعِ الـسوافكِ

فـقـال: أتـبـكـي كـل قـبـر رأيـتـهُ

لـقـبـر ثـوى بين الـلـوى فـالـدكـادكِ

ينظر: مالك ومتمم أبنا نويرة اليربوعي:١٢٥.

** اللوى: مسترق الرمل ومنقطعة. الدكادك: موضع في بلاد بني أسد. يُنظر: معجم ما استعجم: ٢/٥٥٤.

*** مراثي الخنساء في صخر أشهر أن تذكر، فلم تعد خلقًا أو حسنًا إلا وسمته بصخر، كقولها:

{الطويل}

أعيني هَلا تبكيان على صخرِ
بدمع حثيثٍ لابكيٌ ولا نزرِ

ديوانها:١٢٧.

وقولها:

أعيني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى

ديوانها: ١٤٢، وينظر: ٢٩٠، ٣٧٨، ٣٨٥، ٣٨٦.

**** الإحالة على الكتاب لسيبويه، وشاهده:

وكل أخٍ مفارقه أخوه
لعمرُ أبيك إلاّ الفرقدانِ

ينظر: الكتاب:١/٢٧٥.

***** البيت لأبي نواس من مقطوعة في الزهد، مطلعها:

أيا رُب وجه في الترابِ عتيقِ
ويا رُبَّ حسن في الترابِ رقيقِ

ديوانه:٦٢١.

(٣)

وكتب مهنئًا بزواج فقال بعدما تقدم جزءٌ من الرسالة:

(فيا لها خطبةً ما أسعدها وأسناها، وبغيةً تنيل مبتغيها عظمى المقاصد وحُسناها. فهنيئًا له بقرينةٍ يفوز منها بوسطى سلك الحسب والعد، وزهرة رياض العُلى والمجد. ودُرَّة لم تنشق عن مثلها الصدف، وزهرةٍ طلعتً في سماءِ المجد والشرف. قسمًا لقد جلت قدرًا عن كلّ محاول. وقصّرت عن إدراكها يد المتطاول. فلو صنعت من قرص الشمس دنانير مهرها. وطبعت دراهمه من نيرات الكواكب وزهرها. وبذل الوجود في نقد صداقها، وسُلبت لها الجوزاء عن تاجها ونطاقها. وأُجري من بَرّها إلاّ ما قصر عنه كل بحر. وسيقت لخدمتها الثريا في ملاءة الفجر: لما بلغ لها بحق. ولقصر عن الأوجب والأحق).

(٣) التخريج: أعلام مالقة:١٨٢؛ أدباء مالقة ١٧٢. ونهايته: (انظر هذه البلاغة رحمه الله).

(٤)

وكتب يومًا:

(مثل سيدي تذكر بعد أُمّة، ورعى الأمانة وواجب الذّمة: فالفضل يتعلّم من أخلاقه، والعلم من جملة ذخائره وأعلاقه. وما أظنُّ سيدي إلاّ أنَّ النسيان المركب في طباع بني آدم، غلب عليه حتى طال العهد وتقادم، ولا غرو فإن البشر بذلك أنسوا. ونسي أبوهم فنسوا. إلا أني قد تذكرت سيدي غير مرّة، وأعلمتُ من المخاطبة كلّ طمرة. فتارة وعد بالتوجيه، فقلتُ: لا تنكر نجابة من آل الوجيه. وأُخرى جعلتُ فيه العتاب. للمتوجه بالكتاب. فقلتُ: لعلَّه لم يكن أهلاً لأدائه، فلا أرمي غيري بدائه. والآن يصلُ به إن شاء الله فلان. وهو من أهل الأمانة والثقة. وممَّن يختص مني بالمودة والمقة. وأرجو إن وصله إلى ناديكم. فليكن الأسعافُ من أياديكم، إن شاء الله. وإن كان محتقرًا قدرًا، ومن سقط المتاع الذي يستخفُّ به ويزرى. ففي علمك أنّ الطالب يقنعُ بورقه. ويراها أعظم من بدر النهار ورقّه والسلام).

(٤) التخريج: أعلام مالقة: ١٨٢ -١٨٣: أدباء مالقة:١٧٢ - ١٧٣.

(٥)

وكتب يومًا:

(وصل الله بقاء الفقيه أبي الحجاج*، مؤملاً لقبول الشفاعة وقضاء الحاج. قد علمت، أدام الله عزتك، وجعل للمكارم ارتياحك وهزتك، أن حق الجار مرعي، وذمامه شرعي، فينبغي أن يلاحظ ويرتقب، فهو كما قال عليه السلام: (أحق بالصقب)** وإن كان خامل المقدار، فيرعى له قرب الدار.

وحسبك من هذه المرتبة المنيفة، قصة أبي حنيفة***، حين استعمل قدمه في إكمال الشفاعة، وما أهل جاره ولا أضاعه، وأن رجلاً خديمًا تعرفه إن شاء الله من قبل موصلها، وهو ... جار لي بيت بيت، فحركني للشفاعة بعد أن أبيت، فوصلتني الآن رغبة في أن أشفع له شفاعة حسنة، وأفوز بنصيب من هذه الحسنة، وذكر أن مقر الوزارة العظمى، لا ينحى من لاذ به ولا يظما، أعلى الله مقداره، وأجرى بأفق مراده أقداره، سجنه لأمر سببه، وأدب أوجبه، ويرجى إن شاء الله أن يكون الأدب قد أقامه، وألزمه الاستقامة، فالغرض منك أيها الصَّفي الوفي في إحراز هذه الفضيلة، وتبليغ هذه الوسيلة، لعل الشفاعة تتقبل، فيكون حق المجاورة قد رعي ولم يهمل، لازال محل الوزارة قابلاً شفاعة الشافع، مواصلاً على الجميع أشتات الأيادي والمنافع، ولا زلت أعزَّك الله ساعيًا في خير، جاريًا بمقاصدك أسعد يمن (وطير..) بمنة، والسلام)

(٥) التخريج: أعلام مالقة: ١٨٣؛ أدباء مالقة: ١٧٣ - ١٧٤.

* الذي يبدو من الرسالة أنه صاحب وزارة وفقيه، وكان من أتراب ابن عسكر ولداته، ولشدة متانة العلاقة فيما بينهما فهو يشفع عنده لجار له ارتكب ذنبًا وإثمًا، وهو من مشايخ ابن عسكر، ينظر: أعلام مالقة:١٩ (مقدمة المحقق).

** الحديث في مسند الإمام أحمد:٤٠٦/٤؛ وفي:٣٢٠/٧ بسقبه، وينظر: سنن أبي داود: ٢٨٦/٢ (بسقبه)؛ سنن ابن ماجه (ت٢٧٥هـ):٨٣٤/٢.

والصقب: القرب، والصاقب القريب، ينظر: معجم مقاييس اللغة (صقب):٢٩٦/٣، تاج العروس من جواهر القاموس: (سقب): ١٩٨/٣.

*** هي قصة أبي حنيفة النعمان مع جاره الشاعر العرجي، (عبد الله بن عمر ت ١٢٠هـ)، الذي شفع له الإمام أبو حنيفة النعمان عند عيسى ابن موسى بعدما حبسه فأطلق سراحه وسراح كل من حُبس في تلك الليلة إكرامًا لشفاعة أبي حنيفة فيهم وفي جاره.

ينظر: الأغاني: ٤١٣/١ - ٤١٤.

ولم أعثر عليها في ديوانه المحقق.

(٦)

وكتب وقد استدعيت منه أقلام :

(سيدي الأرفع، وسندي الأمنع، الذي أفتخر بولائه، وأذخر وده لأزمات الدهر، ولأوائه، ما زال للأدب يُدير أفلاكه، ويسر أملاكه، وينظم عقودهُ وأسلاكه، وصلت أحرفُك المُشرقة، وغصون أدبك المورقة، تعبر عن براعة، وتعرب في العبارة عن طلب يراعة، فلله أنت، لقد أبدعت في وصفك، وصدعت بالحق في نظمك ورصفك، فحليتها من ألفاظك بدُرر، وأعليتها فوق الشمس والقمر، حتى تمنى الوشيج أن يكون يراعا، وتحققتِ الصوارم أنها لم تزل للأقلام اتباعا، وأشرت أن يكون مما خرجته أناملي، وصرفته عواملي، فكيف وهو في يميني لا يكادُ يمشي خجلاً، وفي يمينك ينشئ حُللاً، وعندي يُريد أن يعرب فيعجم، وعندك ينبئ

عن البيان ويترجم. فخفت أن يعدي على خطك الأغرب. كما يُعدي الصحيح الأجرب. لكنّي سأوجه إليك إن شاء الله بابنة حزن. وغدية مزن. نابتة في الحجر الصلد. ومستويةً كاستواء المد. وقد امتدت لأنا بيها أمتداد القداح. وطالت في دوحتها طول الرماح. وامتنعت لمدى من الأوراق. واجتمعت وإنما تصلح بالافتراق. فحينئذ تُبرى وتُعطُّ. وتكتب وتخط فتبدي إذا صبحت يمينك سحرا. وتخرس من آدابك الرائقة بحرًا. والله تعالى يبقي إخاءك ويديم ولاءك . بمنه.

وكتب محبك الأشكر . محمد بن عسكر . والسلام)

(٦) التخريج: أعلام مالقة:١٨٥: أدباء مالقة:١٧٦.

(٧)

قال ابن سعيد:

(وبينه وبين والدي مخاطبات. منها هذه الرسالة في حق طالب قصده للتطرف فيما قلده من الجهات :

{مجزوء الرمل}

يا ابن عمار بن ياسر

أولاً طبت وآخر

لست تحتاج لتن

بيه على كسب المآثر

وصل الله لسيدي. وأسنى ذخيرة في يدي؛ ما عوّد من جاهٍ قائم. وثناء ملائم. يرد لذلك الوارد ويصدر بهذا الصادر العائد. تشيّع معظّم بينكم. ومادح حيكم. ومؤبن ميتكم. عنده من حسن الظن والأمل فيكم. ما يحمله على إسعاف مرجيكم: ثقة بما يصدر عن تلك الأوامر. وما يليق بالأوائل منكم والأواخر. وإن الفتيه النبيه الناظم الناثر أبا فلان

- بلغه الله ساحتكم الجابرة. وألثمه راحتكم الزاخرة - لم يزل يرتاح متى ما ذكرتكم إلى لقائكم. ويدعو الله أن ينعم عليه بالمهلة في بقائكم. إلى أن ارتفعت عوائقه. واستقامت على الطريق طرائقه: فقصد جهتكم المحروسة بقلبٍ ملآنٍ من الآمال. وخاطر إلى محل محلى بمحط الرحال: وقد أرسلت منه ظامئًا إلى نهر زلال. ووكلته إلى ما حباكم الله من كرم الخلال).

(٧) التخريج: اختصار القدح المُعلى:١٢١.

(٨)

ولما كان أبو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء متقدمًا على أعمالها من قبل ابن هود. وصله كتاب من الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد ابن عسكر قاضي مالقة مع أحد الأدباء. منه:

{الطويل}

(أفاتح من قلبي بعلياه واثقُ

وإن كانت الأبصارُ لم تنسخِ الودَا

وثقت بما لي من ذمام شيعتي

بآلِ سعيد فابتغت به السَّعدا

وبالحُبّ يدنو كلُّ من أقصتِ النوى

برغم حجاب للنوى بيننا مُدَا

يا سيدي الذي حملني ما آمال أسماعي من الثناء عليه. أن أهجم على مفاتحته شافعًا في موصلها إليه. واثقًا بالفرع لعلم الأصل. مؤملا للإفضال بتحقيق الفضل. إن لم تقض باجتماع بيننا الأيام. فلا تجزئ من المشافهة بيننا ألسن الأقلام. ويوحي بعضنا إلى بعض بسور الوداد. والحمد لله الذي أطلعك في ذلك الأفق بدرًا. وأدناك من هذه الدار فصرنا لقرب من ردّ عنك لا نعدم لكَ ذكرا. فكلٌّ يثني بالذي علمت سعد. ويصف من خلالك ما يقتضي ذلك المجد. ولما كان

إحسانك يبشرُ به الصادر والوارد. وليس له وسيلة ولا بضاعة إلا الأدب وهي عند بيتك الكريم رايحة. وهو من شتّتَ خطوب هذا الزمان شمله. وأبانت نوائبه صبره وفضله. وما طمح ببصره إلاّ إلى أفقك. ولا وجّه رجاءه إلا نحو طرفك. والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه، وأعنقت من الحمد ركائبه. دُمت غرةً من الزمن البهيم، مخصوصًا بأفضل التحية والسلام. انتهى).

(٨) التخريج: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢.

(٩)

قال القاضي أبو عبد الله ابن عسكر. وقد ذكر في كتابه من سلفي فلان بن فلان. ما نصُّهُ:

وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابرًا عن كابر. أستقصى جدَّه المنصور ابن أبي عامر. وقاله غيره وغيره. وبيدي من عهود الخلفاء وصكوك الأمراء المكتتبة بخطوط إيديهم من لدن فتح جزيرة الأندلس. وإلى هذا العهد القريب ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد. والمنة لله وحده. وإن كانت الإشارة للغير من الأصحاب في الوقت - حفظكم الله. فكل واحد منهم إذا نُظر إليه بعين الحق وجد أقرب منكم نسبًا للخطط المعتبرة. وأولى بميراثها بالغرض والتعصيب أو مساويًا على فرض المسامحة لكم. قال رسول الله ﷺ - : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. حرام دمه وماله وعرضه*).

(٩) التخريج: نفح الطيب:٥/ ١٢٠. من رسالة البناهي إلى لسان الدين بن الخطيب.

* الحديث في صحيح مسلم: ٤/١٩٩٦م.

•••

الحواشي

١. ينظر أعلام مالقة:١٧٥. أدباء مالقة: ١٦٤. التكملة لكتاب الصلة: ٢/ ١٤٠ (ترجمة ٣٦٤). الذيل والتكملة: ٦/ ٤٤٩ (ترجمة ١٢١٨). الإحاطة في أخبار غرناطة: ٢/ ١٠٣. تاريخ قضاة الأندلس: ١٢٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:١٠٠/ ١٧٩ - ١٨٠ (ترجمة ٣٠٢): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:٢/ ٣٥٣. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية:١٨١ (ترجمة ٥٩١). عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس: ٦٧٤.

٢. ينظر: التكملة لكتاب الصلة: ٢/ ١٤٠: الذيل والتكملة:٦/ ٤٤٩.

٣. ينظر: التكملة لكتاب الصلة: ٢/ ١٤٠ الذيل والتكملة: ٦/ ٤٥١. شجرة النور الزكية:١٨١.

٤. ينظر: أعلام مالقة (مقدمة التحقيق): ١٨.

٥. الذيل والتكملة:٦/ ٤٤٩.

٦. ينظر الهامش رقم (١).

٧. التكملة لكتاب الصلة:٢/ ١٤٠.

٨. الذيل والتكملة:٦/ ٤٥٠.

٩. تاريخ قضاة الأندلس:١٢٣.

١٠. ينظر: الذيل والتكملة:٦/ ٤٥٠. الإحاطة:٢/ ١٠٣ - ١٠٤. تاريخ قضاة الأندلس:١٢٣. الأعلام: ٦/ ٢٨١.

١١. ينظر: الذيل والتكملة:٦/ ٤٥٠. الإحاطة:٢/ ١٠٤. تاريخ قضاة الأندلس:١٢٣.

١٢. الذيل والتكملة:٦/ ٤٥٠.

١٣. طبع مرتين: الأولى في دار الغرب الإسلامي - بيروت. ١٩٩٩. بتحقيق د. عبد الله الترغي المرابطي. والأخرى: في دار البشير - عمان- ١٩٩٩م. بتحقيق د. صلاح جرار.

١٤. ينظر التكملة لكتاب الصلة:٢/ ١٤٠. الذيل والتكملة:٦/ ٤٥٠. الإحاطة:٢/ ١٠٤. تاريخ قضاة الأندلس:١٢٣. بغية الوعاة:١/ ١٨٠. شجرة النور الزكية:١٨١. عصر المرابطين والموحدين:٦٧٤. الأعلام:٦/ ٢٨١.

١٥. ينظر: التكملة لكتاب الصلة:٢/١٤٠، الذيل والتكملة:٦/٤٥٠، الإحاطة:٢/١٠٤، تاريخ قضاة الأندلس:١٢٣، بغية الوعاة:١/١٨٠، شجرة النور الزكية:١٨١.

١٦. ينظر: التكملة لكتاب الصلة:٢/١٤٠، الذيل والتكملة:٦/٤٥٠، الإحاطة:٢/١٠٤، عصر المرابطين والموحدين:٦٧٤.

١٧. ينظر: التكملة لكتاب الصلة:٢/١٤٠، الذيل والتكملة:٦/٤٥٠، الإحاطة:٢/١٠٤، تاريخ قضاة الأندلس:١٢٢، بغية الوعاة:١/١٨٠، شجرة النور الزكية:١٨١، عصر المرابطين والموحدين:٦٧٤، الأعلام:٦/٢٨١.

١٨. ينظر: التكملة لكتاب الصلة:٩/١٤٠، الذيل والتكملة:٦/٤٥٠، الأحاطة:٢/١٠٤.

١٩. ينظر: الهامش رقم (١).

٢٠. ينظر: النصوص الشعرية ذوات الأرقام: (٨، ١٦، ٢٤، ٢٥، ٢٦).

٢١. ينظر: النصوص الشعرية ذوات الأرقام: (٣، ٤، ١٢، ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٧).

٢٢. ينظر: النص الشعري رقم: (١٨).

٢٣. ينظر: النص الشعري رقم: (١٣).

٢٤. ينظر: النص الشعري رقم: (٢١).

٢٥. ينظر: النص الشعري رقم: (٧).

٢٦. ينظر: النص الشعري رقم: (٢). وانظر النص رقم (١٠).

٢٧. ينظر: النص الشعري رقم: (١٧).

٢٨. ينظر: النص الشعري رقم: (٦).

٢٩. ينظر: النص الشعري رقم: (٧).

٣٠. ينظر: النص الشعري رقم: (١٣).

٣١. ينظر: النصوص الشعرية ذوات الأرقام: (٢، ٦، ١٠، ١١، ١٥، ٢٥، ٢٧).

٣٢. ينظر: النصوص الشعرية ذوات الأرقام: (٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٨).

٣٣. ينظر: النص الشعري رقم: (٢٠).

٣٤. ينظر: النص الشعري رقم: (٢١). وكذلك (٢٢).

٣٥. ينظر: النص الشعري رقم: (١٥).

٣٦. ينظر: النص الشعري رقم: (٩). وكذلك (٢٥).

٣٧. ينظر: القطعة النثرية ذات الرقم: (٢). وكذلك (٥).

٣٨. ينظر: القطعة النثرية ذات الرقم: (٢). وكذلك (٥).

٣٩. ينظر: القطعة النثرية ذات الرقم: (٢). وكذلك (٥).

٤٠. ينظر: القطعة النثرية ذات الرقم: (٢). والقصة وتفاصيلها في: المفضليات: ٢٦٧.

٤١. إحكام صنعة الكلام:٧٢.

٤٢. ينظر:م.ن.: ١١٤-١١٥.

٤٣. ينظر:م.ن.:١٤١.

٤٤. ينظر:م.ن.:١٤٤.

المصادر والمراجع

- ابن الجياب الغرناطي (ت٧٤٩هـ) - حياته وشعره-:د. علي محمد النقراط. الجماهيرية العربية للكتاب - طرابلس، ط١ .
- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، شرحه وضبطه وقدم له: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- إحكام صنعة الكلام: لذي الوزارتين أبي القاسم محمد ابن عبد الغفور الإشبيلي (القرن السادس الهجري)، تح. د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة - بيروت، ١٩٦٦م.
- اختصار القدح المُعلى في التاريخ المحلى: ابن سعيد أبو الحسن علي ابن موسى (ت ٦٨٥هـ). تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- أدباء مالقة المسمى (مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار). تأليف أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس عليه السلام ت بعد سنة ٦٣٩هـ). حققه وقدم له : د. صلاح جرار. دار البشير - عمّان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت ٢٧٦هـ) حققه وضبط غريبه: محمد محيي الدين عبد

الحميد، مطبعة السعادة - القاهرة ، ط٤، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس أحمد ابن خالد الناصري (١٣١٥هـ). تحقيق وتعليق ولدي المؤلف: جعفر ومحمد الناصري. دار الكتاب - الدار البيضاء، ١٩٥٥م.
- الأعلام: لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين - بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.
- أعلام مالقة: تأليف أبي عبد الله بن عسكر، وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق: د. عبد الله المرابط الترغي. دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ). دار إحياء التراث العربي - بيروت، مصورة عن طبعة دار الكتب في القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- برنامج شيوخ الرعيني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي (ت٦٦٦هـ). تح. إبراهيم شبوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، ١٩٦٢م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى ابن أحمد ابن عميرة الضبي (ت٥٩٩هـ). تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٠م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي(٩١١هـ). تح. محمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٨٤، ١٩٦٤م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذاري المراكشي (ت بعد سنة ٧١٠هـ)، ج٤، تح. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)ج٢. عبد الكريم الغرباوي، المطبعة الحكومية، الكويت، ١٩٦٥م.
- تاريخ قضاة الأندلس، للبناهي المالقي(ت بعد سنة ٧٩٣هـ) ، منشورات الأفاق الجديدة بيروت، ط٥، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٥م.
- التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار البلنسي (ت٦٥٨هـ). تح. د. عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥، ١٩٩٥م.
- جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري (ت٣٩٦هـ). دار الجيل - بيروت ، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ). (ت١٩٥هـ). حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م.
- ديوان الخنساء (تماضر بنت عمرو). بشرح الإمام اللغوي أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)، تح. د. أنور أبو سويلم، دار عمّار - عمان - الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٢هـ). السفر السادس، تح.د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٧٣م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت٨٦٦هـ) تح. د. إحسان عباس، مكتبة لبنان- بيروت ١٩٧٥م.
- سنن ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ). حققه ورقم أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- سنن أبو داود (ت٢٧٥، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا،بيروت
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي اللبناني، بيروت، ١٣٤٩هـ.
- صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ). حققه وصححه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث - القاهرة.
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- الكتاب: لسيبويه (ت ١٨٠هـ) مطبعة بولاق - مصر، ١٣١٦هـ.
- مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي: د. ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الإرشاد - بغداد، ط١، ١٩٦٨م.
- مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها، مجهولة المؤلف. خرّجها وحققها إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦-١٩٨٦م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ). المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت، ط١،

١٣٨٩هـ. ١٩٦٩م.

- معجم ما استعجم : أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي البكري (ت ٤٨٧هـ) . تح. مصطفى السقا. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة. ١٣٧١هـ. ١٩٥١م.
- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٦هـ) تح. وضبط : عبد السلام محمد هارون. دار الكتب العلمية ، بيروت.
- المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي(ت٦٨٥هـ)، تحقيق وتعليق : د. شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط٢. ١٩٦٤م.
- المفضليات: المفضل الضبي (ت١٧٨هـ). تح وشرح أحمد محمد شاكر. عبد السلام محمد هارون. دار المعارف - مصر. ط٥. ١٣٦١ -١٩٤٢م.
- ملءُ العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة: تقييد: أبي عبد الله محمد بن عمر ابن رشيد الفهريّ السبتي (ت٧٢١هـ).تقديم وتحقيق: د.محمد الحبيب ابن الخوجة. الدار التونسية- تونس . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) تح. د. إحسان عباس . دار صادر - بيروت . ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

د. جمال شوالب
جامعة الأمير عبدالقادر - قسنطينة - الجزائر

إذا كان الحديث عن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هو حديث عن مجموعة من الكتاب سموا "بجيل ١٩٥٢"، فإنه من الضرورة بمكان، أن نتكلم عن أسباب إرساء هذا الأدب الشاب، في ذلك الوقت، والجديد بالنسبة للحياة الأدبية في شمال إفريقيا بصفة عامة.

ولعلنا ندرك أشد الإدراك أهمية ربط أسباب ظهور ونشأة هذا الأدب الجزائري الشاب بالأحداث الأدبية التي كانت سائدة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، والتي كانت قد أحكمت قبضتها بوساطة مجموعة من الأدباء الفرنسيين الذين نشأوا في أرض الجزائر، وترعرعوا فيها، أو أتوا إليها من البلد الأم فرنسا، من أمثال إيمانويل روبلاس (Emmanuel Robles)، وروني جون كلو (Rene Jean Clot)، وكلود فريمانفيل (Claude De Freminville)، ومارسال موسي (Marcel Moussy)، وجون بليغري (Jean Pelegri)، وجول روا (Jules Roy)، وقد أنشأوا - بعد الحرب العالمية الثانية - ما يسمى بمدرسة الجزائر (L'Ecole d'Alger)[1]، التي كانت تنشر في صفحاتها القيم الإنسانية، وتدافع عنها بكل شراسة، وفي المقابل، كانت تحارب القيم العنصرية، وكل ما له صلة بالتفرقة واللاإنسانية، كما كانت تدعو أيضا إلى الوحدة بين الشعبين الجزائري والفرنسي.

وقبل الخمسينيات بقليل، ونظرًا للنجاح الباهر الذي حققته هذه المدرسة في نشر الأدب عبر صفحات مجلاتها، أُعجب بها مجموعة من الأدباء الجزائريين، وهرعوا إليها راغبين في نشر ما يجول في خاطرهم من مشاعر، وأحاسيس، وعواطف جياشة تلطخت بالجوع والألم والفقر،

فوجدوا في صدر هذه المدرسة الرحب ما كان يشفي غليلهم، ويطفئ نار حرقتهم. فيا له من ترحيب! وأي ترحيب! بل مفاجأة أو قُل هبة نزلت من السماء. فطفقوا يكتبون باللغة الفرنسية، لغة المحتل، نظرا لما كانت تقوم به السلطات المحتلة من محو وطمس للهوية عن طريق التضييق على مجالات استعمال اللغة العربية، إلى درجة منعها من المؤسسات العامة. بالإضافة إلى كون المجتمع الجزائري، آنذاك، يعيش درجة عالية من الأمية، حيث بلغت نسبتها حوالي ٨٥٪ حسب ما جاء في دراسة للباحث مصطفى الأشرف[١] إذاً، عبر هذا المحور - أي محور اللغة - يكون الكاتب الجزائري بصفة عامة، قد مرّ بمجموعة من المراحل المتعمدة والمدروسة من قبل نظام الاحتلال لغاية في نفسه، ومن هذه المراحل نذكر:

١- مرحلة تعلم اللغة الفرنسية.

٢- مرحلة المثاقفة السلبية: لأنّ الكاتب الجزائري هنا يأخذ فقط ولا يعطي في أول الأمر، بمعنى أنه مضطر للعيش في عالم جديد تحكمه ضوابط خاصة تخدم المحتل، وتضرّ بصاحب الأرض.

إن هذا الاكتشاف للعالم الجديد بثقافته الأجنبية، وقيمه الحضارية الغربية، جعلت الكاتب الجزائري مبهورًا، وفتحت له الباب واسعًا للدخول فيه، والتغذي ببعض توابله.

٣- مرحلة الاندماج في الآخر: حيث نجحت فرنسا في احتضان الكتاب الجزائريين ذوي الثقافة الفرنسية - للأسباب المذكورة آنفًا- فأصبحوا عناصر مميزة في المجتمع بحكم تقربهم إلى المحتل، وصاروا بذلك يقلدونه في المأكل والمشرب والملبس وكيفية التفكير. أو كما قال العلامة ابن خلدون في مقدمته: بأن المغلوب محكوم بتقليد الغالب في جميع صفاته وحركاته.

٤- مرحلة الوعي والتقييم:

على الرغم من أنّ الكاتب الجزائري قد عاش هذه الامتيازات مجتمعة تحت مظلة المحتل، لكنه في المقابل، وجدها امتيازات مسمومة ومحفوفة بالمخاطر. تضر صاحبها أكثر مما تنفعه. ولاحظ أنه لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن أبناء مجتمعه الأصليين.

الآن، وقد اكتسب بكل قوة واعتزاز سلاح التخاطب المتمثل في اللغة، وهو سلاح ذو حدين:

- حد للأدب والجمال.
- حد للدفاع عن الهوية الجماعية.

فإنه يستطيع الوقوف الند للند في وجه الاحتلال، على الرغم من التمزق الذي صار يعيشه من الجانبين النفسي واللغوي، أضف إلى ذلك سياسة فرنسا العنصرية تجاه الشعب الجزائري (فرّق تسد)، وكذلك مختلف الوقائع الدامية التي حدثت وسجلها الشعب الجزائري في ذاكرته الجماعية بأحرف من دم، وخاصة منها ما وقع بتاريخ ٨ مايو ١٩٤٥م.

إنّ هذه الأحداث المختلفة في تاريخ الجزائر دفعت بالكاتب الجزائري إلى طرح سؤال واحد في غاية الأهمية، في ذلك الوقت، ألا وهو: " من أنا"؟

لذلك، فإنّ ساعة الحسم قد حانت، وبالتالي أُعطيت الأولوية للاختيار، فاختار الكاتب الجزائري وطنه الأم، وأصبح من أبرز المدافعين عنه، رافضًا الاحتلال الفرنسي، ومناديًا بالشخصية الجزائرية والهوية الوطنية.

وفي هذا الإطار العام، نلاحظ أن الولادة الحقيقية للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية جاءت بعد الحرب العالمية الثانية، وفي

حدود سنة ١٩٤٥ ذاع صيتها على مستوى واسع وبخاصة في فرنسا البلد المحتل. لأسباب موضوعية سنتطرق إلى ذكرها وشرحها في ثنايا هذه الدراسة.

من هذه الكتابات الأدبية الأولى بدأت ترتسم خارطة الطريق. حيث أراد أصحابها أن تكون كتابات اثنوغرافية (Litterature ethnographique) تبحث في الأصول والجذور. و موجهة بالخصوص إلى قارئ واحد معروف وبيّن. وهو القارئ الفرنسي أو الأوروبي بصفة عامة.

غير أنّ الحال لم يبق على حاله. فقد تغيرت الأوضاع وبخاصة السياسية منها. مما أدّى إلى تغيير مجرى الكتابة الأدبية لدى الكتاب الجزائريين. وقد حركت هذه الأحداث السياسية في نفوسهم الأحاسيس والمشاعر التي كانت كامنة ومطموسة في أعماقهم. وراحوا يستغلونها كعنوان لموضوعاتهم المقبلة في الدفاع عن الشرف.

ووعيًا بالدور الذي يقومون به. فإنّ الكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية قد فهموا أنّ الزمن الآن ليس زمن الكتابة عن العادات والتقاليد وما شابه ذلك، وإنما حان الوقت للكتابة عن الكفاح و المعركة المصيرية. والدفاع عن الذات والشرف.

(Litteratures de lutte et de combat) من هذه الزاوية. انطلق الكتاب في أعمالهم مصورين الواقع الاجتماعي المزري الذي لا يطاق. منددين بالحياة تحت نير الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي لا يحترم صغيرًا. ولا يرحم كبيرًا. ولا يفرّق بين رجل وامرأة. ويهدم كل ما يراه منافيًا لصليبه. فتعالت صيحات الكتّاب في هذا الاتجاه المعاكس، محاولة منها الحفاظ على عادات وتقاليد الآباء والأجداد. وكل ما هو فلكلور باعتباره الوعاء الحافظ لكل هذه الأمور العريقة. ومنددين بالمثاقفة السلبية التي لا تعترف بشخصيتهم كجزائريين لهم حق الأرض. وحق الهوية.

ومن هنا. بدأ الوعي ينمو ويكبر مع مرور الزمن وتعاقب الأحداث السياسية والاجتماعية. وبدأ الأمر يتضح أكثر فأكثر. إلى أن دفع بالكاتب الجزائري. باعتباره الناطق الرسمي على لسان شعبه. إلى التفكير فيما اعتوره من عائق. والتدبر في المخرج. ولاحظ أنه محكوم بثلاثة أمور:

أولها: إنّ ممثل النظام الاستدماري الفرنسي هو واضح في حقيقته كنظام استدماري مهين.

ثانيها: إن ساعة المحاسبة والتقييم قد بدأت: غير أن مشاكل كثيرة قد نجمت عن ذلك وأهمها: العنصرية. والمنفى الجماعي والفردي. والمثاقفة السلبية. والنظام الاجتماعي الاقتصادي المتدهور ...الخ.

ثالثها: إنّ هذه النتيجة قد أثقلت كاهل الكاتب الجزائري. ودفعت به رويدًا رويدًا إلى استرجاع وعيه. والأخذ بزمام السلاح كأساس للتحرر.

ويلاحظ من خلال هذا العرض السريع لتراكم الأحداث وتفعيلها في الوسط الاجتماعي الجزائري، أنه توقف صوت الكتاب الجزائريين. وأفل إلى الأبد تاركًا وراءه صراخًا عنيفًا في حجم عنف الثورة المسلحة التي احتضنها الشعب الجزائري كله.

وهنا تكبر مهمة الكاتب الجزائري. ويكبر دوره في تصوير الآلام والأوجاع وحالات الفقر التي لا يطيقها أحد، ومن ثم نقلها إلى العالم الخارجي، وكان المتلقي الأول و الأساس لهذه الكتابات باللغة الفرنسية هو بالضرورة المواطن الفرنسي. لتطابق لغته الأصلية بلغة الكتابة الأدبية. ولأنّ الأمية كانت ضاربة أطنابها في المجتمع الجزائري آنذاك.

فاللغة الفرنسية؛ وهي لغة الكتابة لدى معظم الكتاب الجزائريين. كانت تعتبر المتنفس الوحيد لهم، وكانوا يستعملونها لأغراض شتى، حسب ما تقتضيه الحاجة، سواء أكانت هذه الأغراض نفسية أم اجتماعية أم أدبية أم اقتصادية أم للشهرة والتفاخر.

وفي أواخر الحرب العالمية الثانية، بدأت بعض الأسماء تخرج إلى الظهور وتبين عن أنيابها، محاولة كشف الحقيقة من منظورها الخاص، نذكر منها، مراعين في ذلك، التسلسل الزمني لهذه الروايات:

1942: Zehar Aissa : "Hind a l'ame pure ou l'histoire d'une mere".
1945:Zenati R.et A.:"Bou el Nouar. le heune Algerien"
1947: Amrouche Marie-Louise:"Jacinte Noire"
Debeche Djamila:" Leila Jeun Fille Algerienne"
1948: Bennabi Malek: "Lebbik, Pelerinage des Pauvre"
1950:Feraoum Mouloud: " Le File du Pauvre"
1952: Dib Mohamed: " La Grande Oubliee"
1954: Dib Mohamed: "L'Incendie"
1955: Mammeri Mouloud:" Le Sommeil du Jiste"
Debeche Djamila:" Aziza"
1956: Kateb Yacine: "Nedjma"
Ouary Malek:" Le Grain dans la meule"
1957:Dib Mohamed :"Le mÈtier a tisser"
Feraoum Mouloud: Les Chemins qui montent"
Djebar Assia:" La Soif"
1962: Bourboune Mourad: "Lw mont des Genets"
Djebar Assia:"Les Enfants du nouveau monde"
Dib Mohamed:" Qui se souvient de la mer"

إشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

إنّ من بين إشكاليات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية التي يمكن الوقوف عندها: هي تساؤلنا عن مجموعة من الأمور أهمها:

- اللغة المستعملة في الكتابة.
- الحقائق التي يحملها هذا الأدب.
- الهدف أو الغاية من الكتابة.
- الالتزام في الأدب أو أدب الالتزام.

إنّ اللغة المستعملة في الكتابة هنا هي اللغة الفرنسية، ولكننا لسنا مطالبين بدراسة اللغة من جانبها الثقافي الأيديولوجي، لأنّ الحديث عن هذا العنصر يكون من جانب آخر من البحث، وإنما ندرس هذه اللغة من حيث هي لغة عارية من مضمونها.

ومن خلال هذا الشرط المفترض، يمكننا أن نحكم على الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على أنه أدب يوضع في خانة الأدب الفرنسي العام، وذلك عملاً بمقولة النبي(ﷺ) : "من تكلم العربية فهو عربي".

وقياسًا على هذا الاستنتاج، نقول: "من تكلم الفرنسية فهو فرنسي". وبالتالي، فإن جنسية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هي بحكم المنطق والقياس، جنسية فرنسية، لا شك فيها.

أما إذا خضنا أغوار هذا الأدب، وتعمقنا فيه قليلاً، نلاحظ أن مضمونه يحمل حقائق المنطقة التي ينتمي إليها الكاتب، فعندما نتصفح رواية "الدار الكبيرة أو البيت الكبير"(La Grande Maison) للكاتب محمد ديب، أو رواية "الطرق الصاعدة" (Les Chemins qui moment) للكاتب مولود فرعون، أو رواية "رقاد العادل".

(Le Sommeil du Huste) للكاتب مولود معمري، أو رواية "نجمة" (Nedjma) للروائي كاتب ياسين، أو غيرها من الروايات، نلاحظ أن خيوطها نُسجت من قماش جزائري الأصل.

إن طريقة سرد الأحداث لدى الكاتب الجزائري تختلف عن طريقة السرد لدى الكاتب الفرنسي مثل: أندري جيد (Andre Gide) أو فكتور هيجو (Victor Hugo)، واختلافيهما يكمن في موضوعيهما الرئيس أولاً، أي فيما تطرحانه من إشكالية اجتماعية تخص الإنسان بالدرجة الأولى.

فطموحات المجتمعين الجزائري والفرنسي آنذاك، لا يمكن لها أن تكون متقاربة بحكم عدم توازن الكفتين. أضف إلى ذلك اختلاف الرؤية المستقبلية لكلا الجانبين.

وعلى الرغم من أن البطل في الروايتين الجزائرية، والفرنسية، في تلك الحقبة من الزمن، هو بطل ذو طابع تحرري، فإنّ الغاية من التحرر تختلف أيضًا من جانب إلى آخر. لذلك فإن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، قبل وبعد الاستقلال بقليل، جاء كله أدبًا تحرريًا، بل أريد به ذلك، لأنّ الأديب كان محكومًا عليه أخلاقيًا، وآيديولوجيًا، واجتماعيًا، أن يكون كذلك، أي ملتزمًا بأوامر الثورة التحررية ومتطلبات الكفاح، فهو أدب التزامي في غالبيته، جاء لمجاهدة العدو بسلاح الكلمة والفكرة، مكمّلاً النقص الذي كان يعتري المجاهد بسلاح البندقية، محدثًا بذلك التوازن بين الجهادين المذكورين.

ولعلنا نخلص بالقول: بأن إشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ما كان لها أن تُطرح بهذا القدر من الإلحاح، فطرحها شكلي وسطحي بقدر ما يساوي شكلية وسطحية اللغة المكتوب بها هذا الأدب، باعتبار أنّ هذه اللغة "المستعارة" هي وسيلة للوصول إلى غاية منشودة.

اللغة الفرنسية: وسيلة أم غاية؟

تعتبر اللغة عنصرًا مهمًا من عناصر التواصل والتفاهم بين الأمم والشعوب، فهي سلاح ذو حدين: سلاح للبناء، وسلاح للهدم.

أما سلاح البناء: فيتمثل في كون هذه اللغة جزءًا لا يتجزأ من عملية التحرر والكفاح، وأما سلاح الهدم: فعندما تكون اللغة وسيلة لغزو الآخر واستدماره.

فماذا عن الأديب الجزائري وتجربته مع اللغة الفرنسية؟

أ - مأساة لغوية:

في الوقت الذي اتخذ الكاتب الجزائري اللغة الفرنسية وسيلة للتخاطب ونقل أفكاره ومشاعره إلى الآخر (المحتل بالدرجة الأولى)، أصبح يعيش نوعًا من المأساة النفسية والاجتماعية بسبب التمزق الذي أحدثته هذه اللغة "المحتلة في نفس الكاتب، وقد ازداد هذا التمزق حدّة، خاصة عندما أحسّ الكاتب الجزائري أنه صار يبتعد أكثر فأكثر عن مجتمعه الذي يجهل هذه اللغة، ولا يحسن الكلام بها - إلا من دخل المدرسة الفرنسية بطريقة أو بأخرى، وهم قليلون - فاستعمال الكاتب الجزائري لهذه اللغة، مع اللغة الأم، هي بمثابة مشاركته في مملكتين: نفسانية وثقافية.

وبمرور الزمن، تفقد اللغة الأم مكانتها وقيمتها لدى الكاتب، فاتحة المجال لسيطرة وظهور لغة المحتل. إنها مأساة لغوية"[١].

إنّ اختيار اللغة الفرنسية كوسيلة للكتابة، قد زاد الجرح تمزقًا وإيلامًا، لأنّ هذا الاختيار لم يكن عن طواعية، بل جاء مجبرًا بحكم الظروف التي كان يعيشها الكاتب الجزائري آنذاك، مما يدل على أنه كان "جالسًا بين مقعدين"، على حد قول بطل كاتب ياسين[٢]، أو كونه "جالسًا بين لغتين"[٣]، كما قال بطل مراد بوربون.

وعليه، نستطيع القول بأن اللغة الفرنسية من هذه الوجهة، هي لغة فوق المشاعر والأحاسيس لغة غازية، احتمى بها الكاتب الجزائري لأغراض أخرى، حيث استعملها بالطريقة التي أرادها.

ب- غنيمة لغوية:

بعد ما كانت اللغة الفرنسية عنصرًا سالبًا

لدى الكاتب الجزائري في أول الأمر، أصبحت ذلك العنصر الإيجابي المحرك للعواطف والأحاسيس. لأن الكاتب الجزائري قد احتضنها للدفاع عن قضيته العادلة، فهي وسيلة لتثبيت صوت البندقية في الداخل من جهة، ونقل صدى الكفاح إلى الخارج عبر المحافل الدولية من جهة أخرى.

لقد اشتدت الرغبة في استعمال اللغة الفرنسية، حتى صارت ذلك المخبأ الحصين الذي يختبئ بداخله الكاتب الجزائري، مما دفعه إلى التعمق فيها إلى درجة التلاعب بتراكيبها كالعجين، من حيث النحو (Syntaxe) والفونيتيك (Phonetique) والموفولوجيا ....(Morphologie) الخ، أو تضمينها ببعض من العنف"[1]، ومن ثم تحويلها حسب متطلباته السياسية للتعبير عن قضايا جزائرية محضة، ولتصوير الواقع الجزائري على حقيقته، منددًا بالمحتل.

إنّ هذه التغييرات التي أحدثها الكاتب الجزائري على مستوى اللغة الفرنسية من خلال الصوت والنبر والمفردات، لدليل قاطع على تمرده، لأنّ التعامل مع اللغة الفرنسية بهذه الطريقة هو بمثابة الكسب الثمين باعتبارها أداة للتحرر، قبل كونها أداة للتواصل مع العالم الآخر، بل هي أداة للمطالبة بالهوية وتأكيد الذات، وخير دليل على هذا، ما ذكره الكاتب مولود معمري في حوار مع الباحث الجزائري عبد الله مازوني: "أرى أنّ اللغة الفرنسية تترجمنا أكثر مما تخوننا"[٧].

وهذا ما يذكرنا به أيضا الروائي كاتب ياسين في إحدى رواياته - والفكرة ذات معنى عميق- مع وصية الأب لابنه، يقول: "إنّ اللغة الفرنسية محتلة، فيجب عليك أن تحتلها"[٨].

الدين والأيديولوجيا في أدب نبيل فارس:

لا يوجد شك إذا قلنا أنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ عام ١٨٣٠، يعدّ من أشهر وأقوى أنواع الاحتلال التي عرفها التاريخ على وجه الأرض، من حيث الهيمنة والتضليل من جهة، ومن حيث تبعية المغلوب للغالب في حركاته وسكناته، وفي خصائصه وأساليبه، من جهة أخرى.

ولعلّ أهم قناة محورية كاد الاحتلال الفرنسي، من خلالها، السيطرة على عقول الجزائريين، والتحكم النسبي في مجال تفكيرهم هي اللغة.

تعتبر اللغة عنصرًا من عناصر التواصل والتفاهم بين الشعوب والأمم، فعن طريقها يستطيع الإنسان أن يفهم قرينه الآخر، فيشارك إمّا في بنائه وتقويته وهو ذروة الصلاح، وإمّا في هدمه وتضعيفه وهو ذروة الفساد، ولا يتأتى ذلك إلا إذا توفرت المعادلة على شروط البناء أو الهدم، ومن ثمّ القوة أو الضعف.

لا يختلف في الأمر اثنان، على أنّ فرنسا المستعمرة قد فشلت في سياستها في تركيع الجزائريين على المستوى العسكري لأسباب داخلية وخارجية معروفة، على الرغم من التفاوت الكبير بينهما، إلا أنها قد نجحت في المقابل، في إخضاعهم (وبخاصة المثقفين منهم) على المستوى الثقافي، فالحلقة متكاملة، والهدف واحد، وإن تعدّدت الأشكال والصيغ.

لقد رحلت فرنسا بجيشها وعساكرها، ولكنّها عادت بحلة جديدة يلبسها جزائريون عاشوا في دفء كنفها ورضعوا من ثديها، فكيف يتسنى لهم نسيانها؟! إنهم بعض من كتبوا باللغة الفرنسية، وأخصّ منهم بالذكر الروائي الجزائري نبيل فارس: وهو من مواليد (١٩٤٠) بالقل منطقة القبائل الصغرى.

ينتمي نبيل فارس إلى جيل المثقفين الجزائريين: وهي طبقة نشأت وعايشت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر. ويعتبر واحدًا من الذين عرفوا تجربة المدرسة الفرنسية. حيث عاشها قلبًا وقلمًا. فلا غرو. إذ كانت أغلب كتاباته ورواياته تصبّ في نهر الثورة التحريرية. باعتبارها المحور العام للإبداع الأدبي آنذاك.

انتقل الكاتب إلى فرنسا وهناك. التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني. فطفق يكتب عن آلامه وآماله وأحلامه. عن حرب التحرير. عن اغتصاب فرنسا لحقوق الجزائريين مثله. عن تمزّق شعبه وعذابه. عن المنفى الذي أجبر عددًا كبيرًا من بني وطنه على الرحيل إلى مواطن أخرى. وأخيرًا عن المطالبة بهويته.

اختار الكاتب مهنة التدريس في إحدى جامعات فرنسا. وله عدّة مؤلفات منها:

1 – Yahia pas de chance. Paris: Le Seuil: 1970

2 – Le Chant d'Akli: Honfleur. P.j. Oswald. 1971

3 – Un passager de l'Occident. Paris. Le Seuil. 1971

4 – Le champ des oliviers. Paris. Le seuil. 1972

5 – Mémoire de l'absent. Paris. Le seuil. 1974

6 – L'exil et le désarroi. Paris. Maspero. 1976

7 – La mort de Salah bey. Paris. L'harmattan. 1980.

إن المتمعن في مضامين بعض روايات هذا الكاتب. يقف عند نقطة هامة تميّز بها تتمثل في كون هذه الروايات جاءت مطبوعة بطابع التمرد والردة: تمرد على الواقع الاثنولوجي. بمعنى أن هناك رفضًا للانتماء إلى الحضارة العربية. وما تحمله من دلالات الكسل والغباء- في رأي الكاتب- مما يعطيه دفعاً شعورياً قوياً للمطالبة بهويته البربرية.

وردّة بمعنى أنّ هناك رفضاً للإنتماء إلى الحضارة الإسلامية. وما تحمله من دلالات التخلف واللاعقلانية- في نظر الكاتب أيضًا.

لقد كان نبيل فارس واضحًا وجليًا فيما أراد أن يقوله أو ينطق به في بعض رواياته. خصوصًا في روايته: "Un passager de l'Occident" و "Le Champ des Oliviers".

يقول في رواية "عابر من الغرب" في شبه جزيرة ولدتُ. محفوفة بالماء. في القبائل الصغرى بالقل.

«Dans une presqu'île je suis ne, entourée d'eau, en petite Kabylie, a Collo»(1)

ليس من باب الصدفة أن نرى ظرف المكان (في شبه جزيرة) قد استعمل في بداية الجملة. فمن خلال هذه الصيغة. يبدو كأن الكاتب يريد أن يؤكد على اختلاف شخصيته عن شخصية العربي. وبالتالي تنافر الطباع بينهما.

إنّ جملة (محفوفة بالماء) قصد بها الكاتب تعميق الهوة بين ما هو عربي وما هو بربري. وهي صيغة لها دلالات انتمائية جغرافية. وكأن الكاتب أراد بها أن يفصل جغرافيته (البربرية) عن باقي الجغرافيات الأخرى. والتي يرى من خلالها حماية له من غزو أجنبي ألا وهو (العنصر العربي).

لقد تشبّع الكاتب بسياسة فرنسا الاستعمارية القائمة على مبدأ "فرّق تسد". كما نجده شديد التمسك بجذور فلسفتها العنصرية المبنية على محور اجتماعي وإيديولوجي خاص ممثلاً في ظاهرة "الأسطورة القبائلية"(2). القائمة على أساس من التفرقة بين الأجناس والأعراق. والتي تقول بأن العنصر القبائلي أو البربري هو أقوى وأضخم جسمًا. وأحسن وأجدى عملاً. وأبهى وأجمل خلقة من العنصر العربي في جميع المجالات. وفي شتى

الميادين. وبالتالي فإنّ غلبة وسيطرة العنصر القبائلي على العنصر العربي هو من الضرورة بمكان في نظر هذه الفلسفة الفرنسية الاستعمارية.

وما هذا الوصف الدقيق الذي قيل على لسان هذه النظرية العنصرية. إلا دليلاً قاطعًا على وجهة نظر الكاتب المزعومة :

Les arbres sont paresseux. mous. lents en dedans. réveurs, froids et presque tristes. fanatiques. Le Berbére est un .pre travailleur. il est en dehors. énergique expansif. vif et gai (...) il est économe probe. curieux. au fond peu religieux... les Kabyles seraient l'élément colonisateur par excellence que nous devrions employer pour faire de líAlgérie une véritable France:" (3)

فمن خلال هذه الفقرة، نلاحظ أن الكاتب نبيل فارس كان شديد الحرص على استعمال هذه النظرية حرفيًّا وتنفيذها بدقّة على أرض الواقع الجزائري. وعندما نقرأ أيضًا:

«si vous dites. au-delá de la presqu'île. a l'Algérien que vous rencontrez: "je suis Kabyle". que croyez-vous qu'il vous répondra? ... il vous dira: "c'est faux. tu es Algérien avant d'étre Kabyle"»

إن هذه العبارات تدلّ بوضوح على أن ليس بمقدور الكاتب تقبل مثل هذه الفكرة، لأنها جاءت عامة أي (الجزائر) في حين لا بدّ أن تأتي في نظر الكاتب خاصة أي (القبائل)؛ لأنّ الانتماء الاثنولوجي (L'appartenance ethnique) يأتي أولاً وقبل الانتماء الجغرافي (L'appartenance geographique)، بحكم أنّ الجزائر. في رأيه تشكلت بعد القبائل. ومن هنا يرجع الكاتب أولوية السبق لمنطقته.

ثم يذهب الكاتب بعيدًا في فكرته. حيث أنّ مدلولها لا يقف فقط عند حدّ الجنس البشري والجغرافي. بل تعداهما إلى العنصر الإيديولوجي والديني. واصفا العرب الفاتحين بأنهم غزاة. وقد جنوا على منطقته الغابرة في التاريخ. يقول على حد تعبيره:

«Trompés par l'arrivée récente (je dis récente pour moi. Car ces cavaliers venus vers le VII éme. Puis vers le IX éme. Puis (enfin) vers le XI éme siécle. Ne peuvent étre d'une origine antérieure a la mienne) de quelques cavaliers venus de ces quelconques dunes d'un quelconque pays désertique ou existe une pierre noire quelconque (...)»(1)

إنّ الكاتب قد انخدع بمجيء هؤلاء الفرسان والخيّالة منذ القرن السابع إلى القرن الحادي عشر. وهو مجيء يعتبر في نظر الكاتب حديثًا، ويكون بهذا قد رسم الخط الفاصل بين جذوره العميقة في التاريخ. وبين هذا "الغزو" العربي القادم من أدغال الصحراء. من بلد يوجد فيه "حجر أسود"(١٠٢).

إنه تهجم واضح وصريح على معالم ديننا الإسلامي الحنيف المتمثل في الحجر الأسود. وهي إشارة مقصودة أراد بها الكاتب ضربًا في العمق، واستئصالاً لكل ما هو إسلامي.

إنّ حديث الكاتب الذي جاء بين قوسين، والقاطع للفكرة العامة، ينمّ حقيقة عن هذه الآهات التي تخالج نفسه وتقطع أمعاءه. فالربط بينها عسير وصعب: لأنّ الكاتب في الحقيقة يرفض هذه الصلة، ويرفض أيضا هذا التسلسل التاريخي. غير أنه. على الرغم من ذلك. لا يملك القدرة والقوة اللازمة لردع هذا الأمر ودفعه خارج الحدود الزمانية.

لذلك. نراه قد رضي عنوة وكرهًا بهذا الجديد الآتي. إنه يحس بضعف شديد أمام قوة الإسلام وتسامحه في الوقت نفسه، ثم إنّه لم يجد بدًا من أن يشفي غليله وكرهه وبغضاءه سوى الازدراء بما أنزل الله من أحكام وتعاليم دينية.

وبعد ما تهجّم على الحجر الأسود. نجده يصبّ تهكمه أيضًا على الكتاب المقدس، معتبرًا إياه

كتابًا نكرة صدر عن دار نشر اسمها الصحراء، ويقول بعبارات حادة:

Lelivre (un libre) paru aux Exditions du Desert.

نلاحظ في هذه العبارة أنّ الانتقال من صيغة المعرفة إلى صيغة النكرة له أكثر من دلالة في نظر الكاتب، حيث اعتبر المصحف الكريم كأي كتاب من الكتب الأخرى التي نقرؤها، وربما لا نفهم محتواها، ثم نضعها جانبًا غداء للغبار.

إنّ الكاتب، في هذه الفقرة، يريد عن قصد وإدراك أن يقلص ويقلل من قيمة ومكانة الكتاب المقدس، رمز النبوّة المحمدية ومنبع البلاغة العربية وإعجازها البياني.

فهو إذ أراد أن يشوه القرآن الكريم في أذهان الآخرين، إنما أراد أن يضرب لغة هذا القرآن، ويبعث الشكوك فيمن بعثه الله رحمة للعالمين، نبي الله محمد (ﷺ) واصفًا إياه بأنه تاجر دجّال، يقول:

«Je dis imposture. Car l'imposture prophétique se transformat en en imposture mercantile. Puis par la suite en imposture culturelle»

فبعد إثارة الشكوك، واختلاق الأكاذيب، ونشر الأوصاف والأقوال المغرضة تجاه المصحف الكريم وفي حق رسول الله (ﷺ)، ينتقل إلى الحديث عن إسلامية الجزائر، معتبرًا الأمر مجرّد حدث تاريخي ليس إلا بعيدًا عن قضاء الله وقدره ثم أنّ هذا الوصف لم يعد يريحه كثيرًا نتيجة البغضاء التي تسكن قلبه، بل ذهب إلى إعلان صرخته وتكهّنه برحيل هذا الدين الحنيف من أرض الجزائر، باعتباره غاصبًا لها مثله مثل

«L'islamisation de l'Algérie n'est pas un phénomene divin mais, comme tout phénoméne, historique». «Aprés la décolonisation française de l'Algérie viendra la colonisation islamique de l'Algérie».

الاستعمار الفرنسي الغاشم، يقول:

فكلا الحدثين عبارة عن عملية تصفية: الأولى تصفية للاستعمار الفرنسي، والثانية تصفية للدين الإسلامي، وخلاصة القول، فإنّ الكاتب نبيل فارس قد تأثر أيّما تأثر بالثقافة الفرنسية وفلسفتها الملحدة المبنية على الشك في كل شيء، في الإنسان، في الأنبياء والرسل، في الكتب المقدسة، وحتى في الله عز وجلّ.

وهذه نتيجة لا حتمية، ارتضاها نبيل فارس وطبقها على نفسه أولاً، ثم بعد ذلك على الوطن والدين ثانيًا، وكان من الضروري على كاتبنا أن يدعم بفكره وقلمه قضية العروبة والإسلام، ولا يترك لنفسه الانغماس في بحر اللانكية اللعينة، لأنّ الشمس لا يمكنها أن تسطع إلا من الشرق. ■

●●●

الحواشي

1. Les Littératures Francophones 1945. Bordas. Paris. 1986. p:175.
2. Lacheral Mustapha: L'Algérie: Nation et société. Maspero. Paros. 1965. P:313.
3. Memmi Albert: Portrait du Colonise. Ed Gallimard. Paris. 1985. p:126.
4. Kateb Yacine: Le Polygone étoile.
5. Bourboune Mourad: Le Muezzin. P.313.
6. Dejeu Jean: La Littérature algérienne contemporaine. Que Sais-je?. p.u.f.
7. 1975. p:123
8. -Kateb Yacine: Le Polygone étoile. p: 180
9. Dejeu Jean. op-cit. p: 122.
10. L'etat perdu. Le Paradou. Hubert Nyssen. Actes du Sud. 1982.
11. Albert MEMMI. Ecrivains francophones du Maghreb. (Anthologie)(p:134) بتصرف.
12. Nabil FARES: Un passager de l'Occident (p:31)
13. «Le Mythe Kabyle»
14. C.R.AGERON: Les Algériens musulmans et la France. (p. 276)
15. Un Passager de l'Occident. (p: 32)

١٦. حقل الزيتون (الرواية) (ص: ٨٦).

١٧. الحجر الأسود بمكة المكرمة. والمقصود به الكعبة والإسلام بصفة عامة.

١٨. حقل الزيتون (الرواية). (ص:٨٦).

١٩. المصدر نفسه (ص:٩٤).

٢٠. عابر من الغرب (الرواية) (ص:٧٥).

أ) المصادر

1) Nabil FARES: Un passager de l'Occident.(p:31).

2) Paris. Le Seuil. 1971

Nabil FARES: Le champ des oliviers. Paris. Le seuil. 1972.

ب) المراجع

1) Albert MEMMI: Ecrivains francophones du Maghreb, Ed. Seghers. Paris, 1985.

2) Charles Robert AGERON: Les Algériens musulmans et la France (1871 - 1919). P.U.F. Paris, 1968. T.1.

3) Guy DANINOS: Les Nouvelles tendances du Roman Algérien de langue française. Ed. Naaman. Sherbrooke. Québéc.. CANADA. 1979

المجتمع المحلي في عبري وتطوره من سنة ١٥٠٧م - ١٩٧٠م

محمد المريني
منوبة - تونس

تقع مدينة عبري اليوم في منطقة الظاهرة من سلطنة عمان، وتوجد في هذه المنطقة العديد من البلدان[1] مثل: ضنك والغبي والعراقي والعينين والسليف وبات وغيرها. وعاش سكان عبري خلال العصر الحديث على إنتاجهم ضمن نوع من الاستقلال الاقتصادي الذي يسمح بتوفير الاكتفاء الذاتي مثلما هي الحال بالنسبة إلى القرى العمانية بشكل عام، وسعى سكان عبري لحماية أمن بلدتهم داخل حمى تشرف عليه هياكل نفوذ محليّة[2].

وبناء على ما تقدم شغلت بلدة عبري، في أغلب مراحل العصر الحديث، دور الطرف من أطراف المركز السياسي الذي شغلته تباعًا مدن نزوى والرستاق ومسقط. ومهما كانت عاصمة البلاد، كان انتساب أفراد العائلات المالكة إلى التفكير المذهبي الإباضي عنصرًا أساسيًا في تبرير السلطة المركزية بعمان التي كانت عبري تابعة لها، سواء مع عائلة آل نبهان (حتى ١٦١٥-١٦١٦) أو عائلة اليعاربة (١٦١٥-١٧٤٤) أو أخيرًا عائلة آل بوسعيد (١٧٤٤ - إلى اليوم).

وتعد منطقة الظاهرة التي تنتمي إليها بلدة عبري، من أكثر أطراف البلاد تنوعا من ناحية فكر أهلها وثقافتهم، ويظهر ذلك من خلال انتساب بعض أهل المنطقة إلى المذهب الإباضي وبعضهم الآخر إلى المذاهب السنية. وهناك من أهل الظاهرة من ينسب نفسه إلى المجموعات القبلية المحلية بالمنطقة دائمًا على صلة وثيقة

بالسلطة المركزية بالبلاد مما دفع أهل عبري في مناسبات عدة إلى انتهاج نزعات استقلالية مشابهة لتلك النزعات المتخذة من قبل بعض المجموعات المحلية القبلية بالمنطقة...

وكانت عبري التي لا يفصلها عن بلدة البريمي وأبوظبي أي حاجز طبيعي[٤]. من أطراف البلاد المهددة من قبل القوى السياسية الخارجية الغازية؛ فلقد تم غزو عبري من قبل الفرس سنة ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) لما استنجد بهم سيف بن سلطان (١٧٢٧/١٧٢٨-١٧٢٨-١٧٤٤) ليضع حدًّا لإمامة منافسه بلعرب بن حمير اليعربي في نزوى[٥]. وكان الفرس يعتنقون المذهب الشيعي. ووقع غزو عبري أيضًا من قبل وهابية نجد الذين كانوا يعتنقون أحد المذاهب السنية[٦]. فاختلط حينئذ الصراع السياسي والعسكري بين أهل عمان بشكل عام والقوى الخارجية الغازية بالصراع الديني المذهبي الذي كانت عبري طرفًا من أطرافه.

لا مناص إذًا من طرح التساؤل التالي: كيف كانت علاقة بلدة عبري تحديدًا بالسلطة المركزية التي كانت تمثلها تباعًا العائلات الإباضية الحاكمة، آل نبهان واليعاربة وآل بوسعيد وترمز لها المدن التي شغلت وظيفة العاصمة بالبلاد، نزوى والرستاق ومسقط، خلال العصر الحديث. في ظل حاجة عبري إلى سلطة مركزية وحاجتها إليها في ظل النزعات الانفصالية التي ظهرت بمنطقة الظاهرة. وفي ظل الأخطار الخارجية المحدقة بالبلدة وبالبلاد عمومًا؟ وبم يمكن أن نفسر تلك العلاقة؟ وإن ما يبرز أهمية طرح هذه التساؤلات هو أن وضع عبري، في هذا الإطار، كان مختلفًا بالضرورة عن وضع المدن التي تشغل وظيفة عاصمة البلاد نزوى والرستاق ومسقط، إذ تكون الهياكل السياسية والإدارية في "المركز" متطورة ومكتملة فيما تكون في "الأطراف" غير ذلك.

وتتطرق هذه الدراسة إلى أهم خصائص المجتمع المحلي في عبري وعلاقته بالمجتمع العماني الكلي. ثم نعالج تطور المجتمع المحلي في عبري إلى تاريخ قيام دولة البوسعيدي. وندرس أخيرًا علاقة بلدة عبري بنظام البوسعيدي وتطورها.

المجتمع المحلي وعلاقته بالمجتمع الكلي

١- خصائص المجتمع المحلي في عبري:

مجتمع عبري مجتمع محلي، أنشئ في منطقة تزخر بآثارها القديمة من مبان أثرية في بات وقبور "أم النار" وغيرها[٧]. وتعرف إلى اليوم باسمها القديم "السر" ويذهب سليمان الخروصي إلى القول أن عبري كانت في التاريخ القديم عاصمة بلاد السر[٨].

وتفيد المصادر التاريخية العمانية والدراسات فيما يخص مميزات المجتمع المحلي بعبري أن منطقة الاستيطان تقع في مركز الواحة[٩]. ويعتمد أهل الواحة في ري أراضيهم على عدة أفلاج منها: فلجان كبيران: فلج المعوث، وفلج المنجور[١٠]. ويعد النخيل أهم إنتاج واحة عبري، وهو أكثر نظم الزراعة انتشارًا في عمان عامة[١١]. وتوصف عبري من جهة أخرى بأنها مدينة الخيل والإبل[١٢]. ويلاحظ عدد من الدارسين مكانة مدينة عبري الصناعية بالنسبة إلى منطقة الظاهرة، فيذكر روبرت جيران لاندن أن عبري كانت في الأربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر من القرى الداخلية التي كانت مركزًا لصناعات مهمة[١٣].

وتعدُّ عبري إلى اليوم مركزًا رئيسًا لغزل الأصواف، إذ تتوفر بأسواقها الأغطية والحقائب

المصنوعة من وبر الجمال والمزخرفة بالرسومات التقليدية الجميلة"[]. وظلت صناعة الأقمشة من الصناعات القديمة بعبري خلال القرن التاسع عشر. وكانت هذه الصناعة تستخدم المواد الأولية الأوروبية الصنع[]. وتعدّ صباغة الأنسجة بالنيلج صناعة محليّة أساسية بعبري. ويمكن العثور بعبري على حدادين وأرباب حرف فنية أخرى حتى صناعة الذهب أيضًا[].

وتحتوي مدينة عبري على سوق تجاري يوصف بأنه "كبير وجيد" متميز في وضعه وشكله عن بقية الأسواق في أغلب المناطق السكنية الواحية الأخرى. فتقام المحال التجارية مصطفة على جانبي طريق طويل مغطى بالحصير المصنوع من سعف النخيل المجدول. ويفقد المرء هنا وجود البوابات والتكوين البنائي المغلق للأسواق: ذلك الذي يمتد مباشرة ليتصل بالأحياء السكنية[].

وتعد سوق عبري ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى البدو المقيمين في المناطق المحيطة بها ولمعيشة القبائل والجماعات البدوية. وكانت مركزًا لتسويق بضائع تلك الجماعات . ويحتوي السوق على كل البضائع والمتطلبات. ويتم تصدير كل من التمر والمانجو والليمون الحامض والمشمش والخوخ والتين[].

وعمل سكان عبري خلال العصر الحديث، وحتى قبل ذلك بكثير. على رسم علامات للمجال الجغرافي الذي يعيشون عليه للتأسيس لحمى يضمن اكتفاءهم الذاتي وحماية أمنهم الداخلي[].

فبنوا عدّة حصون وقلاع وكثيراً من البروج. ويتوسط المدينة اليوم حصن عبري الرئيسي. ويوصف بأنه "حصن كبير" ويقع إلى جواره السوق المسقوف ومن الناحية الشمالية للحصن يوجد مسجد يضمّ محرابًا صغيرًا إلى جواره منبر[].

وتحتوي الفضاءات العامة والمجالات المنتجة - مثل الأفلاج - التي تشتمل عليها مدينة عبري على مؤسسات تشغلها عائلات عبرية وتتنافس على توليها.

الشيخ و/ أو الوالي

تعدّ مؤسسة الشيخ و/ أو الوالي أهم مؤسسة كان يحتويها حصن عبري الرئيس: لأنها كانت تحدد وضع المدينة الإداري والسياسي. ولما زار الملازم ولستيد الإنجليزي مدينة عبري في شهر مارس من سنة ١٨٣٥ (=١٢٥٠هـ) التقى هنالك بمن كان يشرف على إدارة الحصن ويتولى تسيير شؤون أهل البلد. ولم يوفق ولستيد في تحديد وضع من كان يتولى إدارة عبري. فعبر عن ذلك بقول "الشيخ و/ أو الوالي". ومن ثمَّ فإنه لم يوفق في تحديد وضع عبري من البلاد ككل[]. وتمّ مرور ولستيد بعبري وزيارته لها أثناء حكم سعيد بن سلطان (١٨٠٧-١٨٥٦). وهي فترة تأثرت خلالها الظاهرة بوجه خاص بنتائج الصراع بين السيد سعيد بن سلطان وعمّه قيس بن الإمام ثم مع بدر بن سيف والاضطرابات السياسية التي عرفتها عمان آنذاك[].

وقد حافظت عبري قبل ذلك على وضع "المشيخة" في عهد الإمام ناصر بن راشد اليعربي. وهو ما كانت عليه في عهد النبهانيين. في حين قام ناصر بن مرشد بتغيير وضع بلدتي الغبي وبات من وضع المشيخة إلى وضع الولاية: فعين ناصر بن مرشد الشيخ خميس بن رويشد واليًا في حصن الغبي. وعين والياً على حصن بات هو الشيخ محمد بن أحمد من أهل الرستاق وعين معه الشيخ محمد بن سيف الحوقاني[]. فأصبح يطلق عليهما لفظة "الواليان"[].

وتواصل نظام المشيخة في عبري خلال العهد البوسعيدي واتخذت منطقة الظاهرة في عهد دولة أحمد بن سعيد من حصن الغبي مقرًا لها[٥]. ثم انتقل مركز ثقل هذه المنطقة إلى العينين لما تمكن ناصر بن محمد من بناء حصن فيه وجعله مقرًا لسكنه[٦].

ويشير محمد بن شيبة السالمي أنّ الرئاسة في عبري كانت تنتهي إلى اليعاقيب، فيعين شيخ البلد "أو "شيخ عبري" من بين أولاد راشد بن عبد الله بن محمد اليعقوبي[٧]. ويذكر أيضًا أنه خلال إمامة محمد بن عبد الله الخليلي (=١٩٢٠-١٩٥٤) كان الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي، يشغل شيخ عبري، ويحمل لقب "أمير عبري". وكان من أولاد هذا الشيخ محمد وحمدان. وقد قتلا مع ثلاثة من مواليهم على يد الشيخ محمد بن سيف المنذري سنة ١٤٢٤ (= ذي الحجة ١٣٤٢)[١٠]. وحدثت بعد ذلك قلاقل في منطقة الظاهرة خلص بعدها أمر إمارة عبري إلى الإمام محمد بن عبد الله الخليلي الذي أرغم اليعاقيب على تسليمها إلى الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري الذي تولى الظاهرة بأسرها[١١].

جدول لبعض من تعاقب على السلطة المحليّة
في عبري خلال العصر الحديث

المؤسسة	اسم متوليها	التاريخ / الحكم
	محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري ناصر بن قطن (آل هلال)	٩٦٥هـ (١٥٥٧-١٥٥٨) قبل ١٦١٥-١٦١٦
"شيخ عبري"	علي بن ناصر اليعقوبي	بلعرب بن حمير اليعربي ١٧٢٧-١٧٤٤
"شيخ البلد"	من أولاد راشد بن عبد الله بن محمد اليعقوبي	إمامة محمد بن عبد الله الخليلي ١٩٢٠-١٩٥٤
"أمير عبري"	سلطان بن راشد اليعقوبي	توفي سنة ١٩٢٤
"أمير البلد"	الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي	١٩٤٠
"عامل عبري وتوابعها"	الشيخ محمد بن سالم الرقشي، مكلف بالقضاء والولاية	١٩٤٠
"عامل عبري"	زاهر بن سيف الفهدي (بني ريام)	١٣٦٣هـ
"عامل عبري"	الشيخ محمد بن سالم الرقشي	صفر ١٣٧٢هـ
"عامل عبري"	الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري	١٣٧٢ (١٩٥٢-١٩٥٣)
"والي عبري"	السيد سعود بن حارب بن حمد البوسعيدي	سعيد بن تيمور ١٩٣٢-١٩٧٠

وعين الإمام محمد بن عبد الله الخليلي الذي تواصلت مدة حكمه من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٥٤، الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي أميرًا على عبري سنة ١٩٤٠. وفي نفس السنة عُين الإمام الشيخ محمد بن سالم الرقيشي عاملا على عبري وتوابعها متكفلاً بوظفتي القضاء والولاية سنة ١٩٤٠. ونحن نفترض في ظل ما توفر لدينا من وثائق محليّة أنّ وضع الولاية في عبري بدأ في سنة ١٩٤٠. وتولى ولاية عبري بعد الرقيشي الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري في ربيع سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢). ويوصف بالعلامة إلى جانب صفة الشيخ التي يحملها. وتواصل العمل بمؤسسة الوالي بعبري في دولة سعيد بن تيمور (=١٩٣٢-١٩٧٠) فتولى تلك الخطة السيد سعود بن حارب بن حمد البوسعيدي. وكان من عقرنزوى.

سوق عبري:

تعدّ السوق بشكل عام من الفضاءات العامة، وسوق عبري من الأسواق التي قد ترجع إلى ما قبل العصر الحديث. ويقع في وسط المدينة إلى جانب الحصن والمسجد. فنحن أمام فضاء عام لا يقع في أطراف المدينة ولا خارجها مثلما هي الحال مثلاً في منطقة الساحل التونسي: حيث تلعب الأسواق دور التمفصل بين قرى متجاورة، وأحيانًا متصارعة. بل إنّ سوق عبري تحتويه المدينة وتحتضنه. فيختلط في رحابه أهل البلدة فيما بينهم على اختلاف انتماءاتهم ويختلطون فيه "بالآخر" سواء أكان هذا "الآخر" من التجار الوافدين أم من الحمالين وغيرهم. ويحتم هذا الاختلاط وجود سلطة داخل السوق وقوة سياسية تعنى بتصريف شؤونه.

ولم نتمكن من الحصول على وثائق تسمح بالتعرف على أعيان سوق عبري الذين حكموا فضاءه خلال الفترة التي تعنينا لتحديد مكانتهم من مكانة القوى السياسية الموجودة بالمدينة، لكننا نعرف، على الرغم من ذلك، أنه في عهد ولاية الشيخ محمد بن سالم الرقيشي على بلدة عبري، خلال إمامة محمد بن عبد الله الخليلي، حكم الشيخ الوالي على أموال الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي بدعوى أنه كان مستغرقًا في المظالم، وأدخل أمواله نتيجة لتلك الدعوى في بيت مال المسلمين. وإن كنا لا نعرف مصدر ثروة الشيخ اليعقوبي إلا أننا نفترض أن لها علاقة بسوق عبري[34].

وأثناء ولاية الشيخ الرقيشي نفسه، احتمى أحد شيوخ الدروع ويسمى سويدان بن علي بن حامد بتاجر من تجار عبري حين وجه له الشيخ، والي البلد، تهمة البغي. وأحرق الوالي حانوت التاجر العبري بهدف دفع الباغي للخروج من الحانوت. وحكم الشيخ الرقيشي على التاجر بدفع ضمانة لبيت المال. فعوقب كل من التاجر وشيخ الدروع على السواء.

ومهما يكن من أمر فإنّ سوق عبري لا تختلف في شيء عن باقي أسواق مدن عمان الأخرى، فلقد كانت تشرف على سوق نزوى وتحكمه مؤسسة تعرف بأهل سوق نزوى، تضم هذه المؤسسة كبار تجار سوق نزوى. وفي بداية فترة حكم ناصر ابن مرشد، لم يساند جانب من "أهل سوق نزوى" نظام إمامته ووقفوا إلى جانب البوسعيدي الذين يمثلون هياكل النفوذ المحلي بنزوى ويرمزون إليها، وهم أصحاب العقر. وخالفوا مشايخ العلم والدين بنزوى الذين شاركوا في عقدة الإمام ناصر ابن مرشد اليعربي[37].

وعليه يمكن القول أن سوق عبري كان يحكمه "أهل سوق عبري" على غرار "أهل سوق نزوى" ولعل التاجر العبري الذي احتمى به سويدان بن علي بن حامد الدرعي كان واحدًا من "أهل سوق عبري" في زمانه.

مسجد عبري:

لم نتمكن من الحصول على وثائق تاريخيّة تمكننا من الإطلاع على الحياة الدينيّة لأهل عبري خلال العصر الحديث. وتشير بعض الدراسات التاريخيّة إلى أن مسجد عبري كان مسجدًا إباضيا[٣٥]. ولم تخل منطقة الظاهرة بشكل عام ومدينة عبري بشكل خاص من مشايخ دين وعلم إباضية، فلقد برز من بين علماء الظاهرة الشيخ العلامة خلف بن سنان الغافري. وكان هذا الشيخ أحد قضاة الإمام سلطان بن سيف اليعربي (= ١٦٤٠ - ١٦٨٠). وقد حوت خزانته من الكتب على مخطوطات ما لم تحوه مكتبة علمية أخرى بعمان. ويقال إنه جمع سبعين وثلاثمائة وتسعة آلاف كتاب[٣٦].

وكان يشرف على شؤون مسجد عبري، مثلما هو الحال بالنسبة إلى مساجد الإباضية في عمان. ولدى المجتمعات المحلية الإباضية في الشمال الإفريقي عامة مؤسسة "جماعة المصلين". يتكفل أفراد الجماعة في المسجد بتعيين جميع العاملين بالمسجد من إمام وخطيب ومؤذن وغيرهم.

وأمكن لنا دراسة مؤسسة "جماعة المصلين" لدى المجتمع الإباضي المحلي في جزيرة جربة. وتبيّن أن المؤسسة كانت تجمع هيئة مشايخ العلم والدين بالمسجد ويشاركهم رجال المال الذين يترددون على المسجد. ونحن نعلم من جهة أخرى أنّ قدوة جماعة مسجد نزوى في عهد سعيد بن الإمام أحمد كان الشيخ العالم سعيد الصايغي. كان يجتمع حوله إلى جانب مشايخ العلم والدين "أكابر نزوى" من "أهل سوق نزوى"[٤٠]. ونحن نذهب إلى الاعتقاد أنه كان "لأهل سوق عبري" مكانة مهمّة داخل مسجد عبري.

جماعة الفلج:

توجد في عبري دفاتر خاصة بأفلاج المجتمع المحلي. لم نتمكن من الإطلاع عليها. ولكننا نعلم أنها تتضمن معلومات مهمّة عن أفلاج عبري من حيث الملكية والتصرف في مصادر الماء، وبخاصة المؤسسات التي تعمل على تصريف شؤون الأفلاج.

ومهما يكن الأمر. يكون الفلج عادة - في عبري أو في غيرها - تحت إدارة "جماعة الفلج". وتعين الجماعة الموظفين للفلج. ويختلف عددهم تبعًا لحجم الفلج نفسه وطريقة إدارته. وفي الأفلاج الكبيرة مثلما هو الحال بالنسبة إلى عبري خاصة فلج المبعوث وفلج المفجور تقسم المسؤوليات فيها بين عدد من الموظفين[٤١].

ويذكر هذا التنظيم بتنظيم المسجد الإباضي نفسه: حيث يعين "جماعة المصلين" بالمسجد عدد من "الموظفين". يشغل كل واحد وظيفة معينة: كالمؤذن والخطيب الإمام..

ومجمل القول: أسست مجموعة هذه المؤسسات التي شهدتها بلدة عبري خلال العصر الحديث. لوجود هياكل نفوذ محلي بالمدينة. ويذكر الدارسون أنه كان على رأس تلك الهياكل أولاد راشد بن عبد الله بن محمد من اليعاقيب[٤٢]. فذهب بعضهم إلى أن يجعل من عبري" عاصمة قبيلة اليعاقيب"[٤٣]. وكانت هياكل النفوذ المحلية تتخذ من حصن عبري مقرًا لها. وتبسط نفوذها

على الفضاءات العامة بالمدينة في السوق والمسجد والأفلاج وغيرها.

وكان أهل عبري في المقابل يطلبون هياكل نفوذ في المدينة ويعملون على دعمها. وليس من الصدفة أن يقع حصن عبري الرئيسي وسط البلدة. وأن تقع إلى جواره السوق حتى أنه يوجد مدخل من مداخل الحصن يفضي من السوق إلى داخل الحصن مباشرة. ويوجد في نفس الوقت مدخل في الحصن يفضي هو الأخر إلى المسجد الذي يقع في الناحية الشمالية من الحصن"(...)".

أفرزت هياكل المجتمع المحلي في بلدة عبري - تلك الهياكل التي كانت تحتويها العمارة التي اشتملت عليها البلدة من سوق وحصن ومسجد وأفلاج - مؤسسة "أهل عبري". يضطلع بالدور فيها أعيان البلدة لاسيما كبار اليعاقيب. ويشاركهم مشايخ العلم والدين مثلما هو الحال في جميع المجتمعات الإباضية. وكانت غاية أهل عبري ضمان الإقامة في المكان بما تتطلبه الإقامة من توفير الحاجيات. وبقدر ما كانت هياكل النفوذ للمجتمع المحلي في عبري خلال العصر الحديث تمكن من رسم ذاتية المجتمع في البلدة والحفاظ عليها وحمايتها بقدر ما كانت تشارك في التأسيس لمجتمع عمان الكلي. والسؤال الذي يطرح نفسه. كيف تم الاندماج العماني الكلي؟ وهل يمكن رسم بعض من ملامح ذلك الاندماج في المجتمع العماني؟

مراكز في عمان لقوى الغزو الخارجي على عبري



مراكز الظاهرة خضعت لها عبري

مراكز عمان التي خضعت التي لها عبري

المراكز الإدارية والعسكرية التي خضعت لها بلدة عبري خلال العصر الحديث

٢- مجتمع عبري جزء من المجتمع العماني الكلي:

وبالتوازي مع سعي أهل عبري لتعليم (= رسم علامات) المكان الذي يعيشون فيه ومن ثم امتلاكه بواسطة هياكل النفوذ المحلي، كانوا يشاركون في التأسيس لمجتمع عمان الكلي. فلقد كانت عبري مثلها مثل البريمي ونزوى مركزًا مهمًا بالنسبة إلى مناطق القبائل والمجموعات المحلية البدوية المقيمة في المنطقة المحيطة بها. فكانت سوقًا تروج فيها بضائع تلك المجموعات، وكانت عبري في نفس الوقت بمثابة هدف للقوافل التجارية، فتمثل مركزًا على الطريق الرابطة بين مدن داخل عمان وجنوبها مثل: نزوى وصحار الساحلية وغيرها من جهة البريمي ومناطق الخليج العربي في الشمال مثل أبو ظبي؛ ودبي والشارقة وغيرها من جهة أخرى[١٥].

وكانت عبري تصدر زائد إنتاجها من البلح والخضر والفاكهة، وتستورد الأسماك المجففة والبن والأرز والسكر والأقمشة، وهو ما يجعلها على صلة بالمناطق والأسواق المختلفة في البلاد[١٦]. وإذا سلمنا بما يذكره سليمان الخروصي من أن عبري كانت مدينة الخيل والبلح، فقد تكون هي واحدة من المصادر التي كانت توفر الجياد والبلح لمدينة مسقط، الميناء الرئيس للبلاد، لما دخلها البوكويرك الكبير البرتغالي في مطلع القرن السادس عشر[١٧].

وقد أشرنا أنه من بين أهم الفضاءات العامة بعبري خلال العصر الحديث: مساحة كبيرة من الأرض اتصلت بالسوق والحصن كانت تحط فيها القوافل المسافرة رحالها فيختلط فيها الناس في راحتهم، ويتبادلون فيها الأخبار، ويقومون إلى السوق. وكانت هياكل النفوذ بعبري تتكفل بتوفير الحماية المطلوبة لذلك الفضاء العام مثلما كانت تفعل في السوق والفضاءات العامة الأخرى، فتأسست لأهل عبري شبكات من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مع أفراد القبائل والجماعات البدوية في المناطق المحيطة بعبري والتجار وأصحاب القوافل من المناطق البعيدة[١٨].

ولم نتمكن من قياس مدى مساهمة الفضاءات العامة بعبري في ربط العلاقات بين سكان عبري ذاتها من جهة مع سكان الظاهرة والبلاد الأخرى من جهة ثانية. ويمدنا مثال " ميدان سباق النياق: (= الهجن) بالغبي بنموذج لتلك العلاقات التي قد لا تختلف عنها تلك التي كانت تؤسس لها الفضاءات العامة في عبري. فدون ابن زريق رواية شفوية كانت ترددها الذاكرة الجماعية لأهل عُمان تفيدنا أنّ أحمد بن سعيد البوسعيدي حضر (قبل أن يتولى الإمامة في عمان) من بلدة أدم إلى ميدان النياق بالغبي، وكان يجتمع في الميدان الأعراب مع الحضر، والمرأة مع الرجل، ورعية القوم مع كبارهم، وقبائل العرب مثل بني زفيت وبني سعيد.

ومكن ميدان النياق أهل الغبي حينئذ من التأسيس لعلاقات مع البوسعيدي قبل ارتقائهم إلى السلطة في البلاد محل اليعاربة، كما مكنهم ميدان النياق من التأسيس لعلاقات مع غيرهم من مناطق البلاد الأخرى.

وتمّ سباق النياق الذي حضره أحمد بن سعيد بالغبي في يوم عيد. يحتفل فيه المسلمون احتفالاً دينيًا. ويسبق ذلك الاحتفال صلاة العيد. التي تخللها خطبة العيد. فشمل احتفال سكان الغبي بالعيد على زمنين. كان الضمير الجماعي يسمح في الزمن الأول بالاختلاط بين الراعي والرعية. ولا يسمح في الزمن الثاني بينهما لما يمكن أن يحدث من الرعية من تجاوزات في مثل تلك الاحتفالات".

ولم تكن عبري تكتفي بذلك المستوى من العلاقات مع مناطق البلاد الأخرى. ويذكر مايلز الذي نشر كتابه في مطلع القرن الحالي (سنة ١٩١٩) أن أهم قبيلة تقطن عبري هي قبيلة اليعاقيب. وينتشر اليعاقيب أيضًا على الوادي الكبير". ويقدر عدد أفراد هذه القبيلة بأربعة آلاف نسمة. وإذا ما سلمنا بما جاء في كتابه عن قبيلة اليعاقيب. نستنتج أنّ أفراد هذه القبيلة ينسبون أنفسهم إلى الإباضية. فيما يصنف محمد مرسي عبد الله اليعاقيب في مجموعة القبائل التي ينتسب أفرادها إلى المذاهب السنية. فيعتنقون المذهب الشافعي". والملاحظ أن اليعاقيب ينسبون أنفسهم اليوم إلى الإباضية. ويترتب عن هذا الانتساب انتماء اليعاقيب إلى مستويات فكرية وثقافية مختلفة.

وقد أحصينا بالاعتماد على كتاب مايلز أربع عشرة قبيلة يحدد مايلز انتماءها إلى منطقة الظاهرة. فلا ينسب إلى الإباضية كليًا إلا اليعاقيب والعبريين. أما الدروع وبني كلبان وبني زيد فلا ينسبهم إلى الإباضية إلا جزئيًا. ويلتقي اليعاقيب من خلال انتسابهم إلى الهناوية والقحطانية. بقبائل الظواهر والصوافة وغيرهم. ويقدر مايلز عددهم بين ٤٣٠٠ و٥٣٠٠ نسمة مقابل ٥٧٥٠٠ نسمة ينسبهم إلى الغافرية.

وينسب مايلز اليعاقب من جهة إلى الهناوية والقحطانية. ويمكن ذلك الانتساب من تأسيس شبكات من العلاقات تتجاوز منطقة الظاهرة لتمتد إلى القبائل الهناوية والقحطانية في الداخلية والشرقية وغيرها من مناطق عمان.

والملاحظ أن عبري توجد في منطقة من أثرى المناطق بالبلاد من الناحية الفكرية والثقافية. فهنا من أهل الظاهرة من ينسب نفسه إلى الإباضية. وآخرون ينسبون أنفسهم إلى السنة مثل: بني قتب والنعيم وبال عمير وبني سعدة. وهناك من القبائل التي ينسب جزء منها إلى الهناوية وجزء ثان إلى الغافرية مثل: بني زيد وبني كلبان والدروع وغيرهم".

وليس لنا إمكانية تتبع تطور انتساب هذه القبائل في انتماءاتهم المذهبية والفكرية خلال الفترة التي تعنينا. إلا أننا نعلم من خلال الدراسات التاريخية المتعلقة بالشمال الإفريقي أن القبائل البربرية كانت تتنكر " لبربريتها. وتنتسب إلى "العروبة" عندما تأنس في نفسها القوة بالمقارنة مع القبائل المحيطة بها. وأن أفرادًا وعائلات من مجموعة مستاوة الإباضية بجزيرة جربة (بالبلاد التونسية) تتنكر لانتسابها المذهبي الأصلي. وتنتسب إلى الإباضية الوهبية لما تكون لهياكل النفوذ الإباضية الوهبية السلطة بجزيرة جربة". وعليه فإننا لا نستبعد أن يتميز الانتماء المذهبي والقبلي في عمان خلال العصر

الحديث بالليونة. خاصة من المذاهب السنية نحو المذهب الإباضي الذي كان أصحابه يتولون السلطة في أغلب فترات العصر الحديث. ومن الانتماء إلى الهناوية والغافرية.

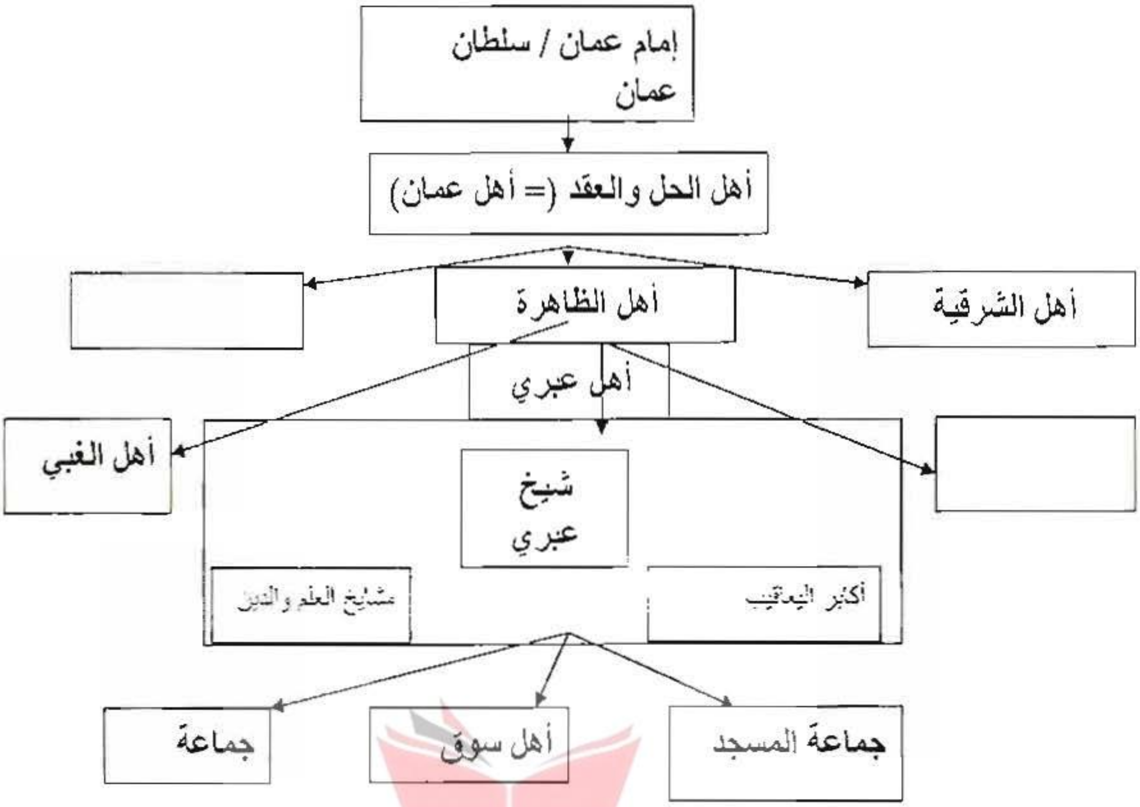
وكانت المصاهرات العائلية مثل الفضاءات العامة. والمبادلات التجارية تمكن من المساهمة في خلق شبكات على مستوى آخر من العلاقات بين عبري والمناطق الأخرى من البلاد.

ولم نتمكن من الحصول على وثائق تاريخية تتوفر من خلالها بعض الأمثلة للعلاقات التي تؤسس لها روابط المصاهرة. وعلى أية حال فإننا نعرف أنَّ أحمد بن سعيد البوسعيدي لما ارتقى إلى دفة السلطة بالرستاق وأصبح إمامًا لعمان. خطب ابنة ناصر بن محمد الغافري من منطقة الظاهرة لولده سعيد بن أحمد فزوجه بها فولدت له أحمد ابن سعيد بن أحمد. وخطب أيضًا ابنة سيف بن ناصر بن محمد الغافري الذي هو أخ الإمام محمد ابن ناصر لأحد أبنائه فزوجه لها[٥٥]. وأصبحت غافرية الظاهرة على صلة قرابة بعائلة البوسعيدي الحاكمة. وكانت غاية هذه المصاهرة كسب طاعة أهل الظاهرة للعائلة الحاكمة وولاء غافرية المنطقة للدولة.

وارتبطت عبري على المستوى الإداري والسياسي سواء في عهد نظام الإمامة أم في عهد السلطنة (القرن ١٩ والقرن٢٠) بمنطقة الظاهرة عن طريق مؤسسة "أهل الظاهرة". وتشتمل المؤسسة على كبار أعيان المنطقة من أعيان مال ومشايخ علم ودين. وتزعم هذه المؤسسة في عهد أحمد بن سعيد البوسعيدي صهره ناصر بن محمد الغافري، حيث كان ناصر الغافري صاحب أموال طائلة. ورث البعض منها عن آبائه والبعض الآخر من ولايته على البحرين لما ولاه الإمام سلطان بن سيف اليعربي (١٧١١-١٧١٩) على أهل الجزيرة[٥٦].

ويعين من بين مؤسسة "أهل الظاهرة" واحدًا أو أكثر من كبار أعيان المنطقة في مؤسسة "أهل عمان" أو "أهل الحل والعقد". ويذكر ابن رزيق أنَّ الإمام أحمد بن سعيد قرب إليه الشيخ محمد بن ناصر بن محمد الجبري فأشركه في مؤسسة "أهل الحل والعقد" عن منطقة الظاهرة[٥٦]. ولما حصل انشطار في مؤسسة "أهل عمان" احتل كبار يعاقيب "عبري" مكانة متميزة ضمن " أهل الحل والعقد" الموالين ليلعرب بن حمير اليعربي والمعارضين لإمامة أحمد بن سعيد[٥٧].

ومجمل القول: كان همّ أهل عبري من خلال العلاقات مع المجتمعات المحليّة والمجموعات القبلية - الحضرية والبدوية- في منطقة الظاهرة. وفي مناطق البلاد الأخرى: التأسيس لمصالح تتجاوز الارتباط بالحمى التي تقوم عليه هياكل النفوذ للمجتمع المحلي في عبري. وتأمين الإقامة لتشمل تأمين تبادل المنافع بمفهومها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي وغيرها، لذلك كانت علاقات أهل عبري القائمة على الشبكات ذات مستويات مختلفة ومتعددة. والسؤال الذي يطرح نفسه كيف تطور المجتمع المحلي بعبري في ظل الواقع الذي عاشته المنطقة والبلاد ككل؟



ملامح للبنية الادارية للمجتمع المحلي في عبري وموقع هياكله من الجهاز الاداري العام في عمان خلال العصر الحديث

تطور المجتمع المحلي إلى تاريخ قيام دولة آل بوسعيد:

١- المجتمع المحلي في عبري في ظل حكم النبهانيين:

يصعب كتابة تاريخ المجتمع المحلي في عبري خلال عهد الملوك النبهانيين المتأخرين. إذ لا تذكر الوثائق التاريخية الإباضية الأخبار المتعلقة ببلدة عبري بصفة مباشرة، وتكاد تقتصر الأخبار الخاصة بما يعرف بمنطقة " السر" القديمة على بلدة الغبي. وليس من الصدفة أن يستعمل سرحان الأزكوي في عديد المناسبات عبارة "....السر وهي الغبي" أو "الغبي وهي السر" ليفهم منه أهمية مركز الغبي في المنطقة حينذاك. ولا تظهر الأخبار المتعلقة ببلدة عبري في المصادر الإباضية على واجهة أخبار منطقة الظاهرة إلا في عهد اليعاربة.

ومن الثابت أن ملوك بني نبهان اتخذوا مدينة الغبي مركزًا أساسيًا لدولتهم في منطقة الظاهرة. وخضعت مدينة عبري حينئذ لسلطة محلية كان يرمز لها محمد بن جفير في غياب سلطة مركزية قوية. ومحمد ابن جفير هو محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري. نجده مقيما ببلدة السيب. ومستوليا في سنة ٩٦٥هـ (١٥٥٧ -١٥٥٨) على حصن بهلاء، لما تمكن من إخراج بركات بن محمد (النبهاني) منه. فيما كانت نزوى تخضع آنذاك لسلطان بن المحسن بن

سليمان بن نبهان الملقب "بالسطان الأعظم"[٦٢]. ويذكر أن آل حمير اشتروا حصن بهلاء من محمد بن جفير بثلاثمائة لك[٦٣]. والأهم من ذلك أننا نجد محمد بن جنير واليا على حصن ينقل، عينه نبهان بن فلاح النبهاني[٦٤]. وتفيد هذه الملاحظة أنَّ بني هلال الذين كانت بيدهم عبري، كانوا يلعبون في منطقة الظاهرة دور التمفصل بين أهل المنطقة- وبلدة عبري التي تهمنا بالخصوص - وسلطة النبهانيين.

ومن الملاحظ أن الملوك النبهانيين قد اتخذوا نزوى العاصمة السياسية لعمان فيما كانت بهلاء أهم مركز لعائلتهم. واتخذوا مع ذلك كلاً من ينقل ومقنيات مراكز لإدارة شؤون أهل ما يعرف بمنطقة السر القديمة، هذه المنطقة التي سيطر عليها النبهانيون حوالي أربعمائة سنة[٦٥]. وكانت مدن ينقل ومقنيات من المراكز النبهانية المحصنة في منطقة الظاهرة[٦٦]. فأسس الملوك النبهانيون المتأخرون حينئذ لبناء إداري وسياسي هرمي كانت نزوى عاصمة له وبهلاء من أهم مراكزه. كما كانت عبري واحدة من بلدان الظاهرة الخاضعة لهم.

وتفيد بعض الدلائل أن ملكية الحصن الغبي قد آلت، بعد انهيار دولة النبهانيين إلى ناصر ابن قطن من بني هلال. وربما آلت إليه أيضًا الحصون المجاورة والتابعة مثل: حصن ضنك وحصن عبري. وكان ناصر بن هلال من الفئة التي تنسب نفسها إلى مجموعة قبائل النزارية في عمان[٦٧]. وكان حمى بني هلال واحدًا من خمس عشرة منطقة أمكن لنا إحصاؤها، استقلت بذاتها بعد انهيار نظام النبهانيين بعمان[٦٨].

ونحن نعرف من جهة أخرى، من خلال الوثائق الإباضية أنّ عمان شهدت، بعد حكم مالك بن الحواري، صراعًا بين الأئمة الإباضية من جهة ودولة ملوك بني نبهان من جهة ثانية. ونظرًا لسياسة النبهانيين وسياستهم الجبائية، التي اعتمدوها في المنطقة نذهب إلى الاعتقاد أن "أهل مدينة عبري" كانوا من أنصار نظام الإمامة.

فلقد كان نبهان بن الفلاح النبهاني يجبي من أهل مقنيات نصف غلة النخل، وربع منتوج الزرع. وكان الأمير عمير بن حمير النبهاني صاحب نزعة إباضية لا يجبي من أهل مقنيات قبله سوى العشر من الزرع: والعشر أداء شرعي يقبله المسلمون. وسلم الأمير عمير بن حمير النبهاني تصريف شؤون مقنيات الإدارية والسياسية والمالية لأهلها. فيما كان ملوك بني نبهان يتدخلون في تصريف شؤون المناطق الخاضعة لنفوذهم. وما كان يطبقه الملوك النبهانيون في مقنيات كانوا يطبقونه في باقي المناطق ومنها بلدة عبري التي تهمنا. واعتبر ملوك بني نبهان المتأخرين جراء سياستهم تلك من صنف الملوك "الجبابرة"[٦٩].

ونحن لا نستبعد أن تكون أملاك النبهانيين في عبري وأراضيهم في عهد الإمام عمر بن الخطاب (بويع الإمامة سنة ٨٨٥هـ = ١٤٨١) قد شملتها الفتوى الصادرة عن كبير قضاة عمان محمد بن سليمان بن أحمد مفرج سنة ٨٨٧هـ (=١٤٨٢). والمتضمنة مصادرة المال والربع والعقار والسلاح والأواني التي امتلكها أفراد آل نبهان[٧٠]. واستندت الفتوى إلى مرجعيات فقه المذهب الذي يعتبر أن أموال بيت المال تجمع من الصدقات والزكاة لا غير، وكانت أملاك النهبانيين المصادرة والمعروفة موزعة في مناطق سلوت وجبرين وسيفهم التي بسط النهبانيون نفوذهم عليها وطوروها في القرن الخامس (= ١١م)[٧١].

وقد تكون أملاك النبهانيين في عبري أعيدت

هي الأخرى إلى أصحابها الشرعيين أو إلى الفقراء الإباضية مثلما كانت الحال في المناطق الأخرى. ومهما يكن الأمر. فإنه من الثابت أنّ أهل عبري كانوا خلال هذه الفترة بين تناقض القوى السياسية بعمان بشكل عام وما انجر عنها من ضعف للسلطة المركزية في البلاد. وتصاعد القوى المحلية ذات النزعة الانفصالية.

ويفسر هذا الوضع بالحالة التي كانت تعيشها البلاد عامة. فلقد كانت عديد المراكز الساحلية ترزح تحت نير سلطة البرتغاليين: الذي عملوا على الانفراد بالحركة التجارية في الخليج على حساب التجار العمانيين وأصحاب السفن. وفرضوا عليهم تصاريح حدت من نشاطاتهم. وتأثرت جراء ذلك الضغط المناطق الساحلية والمناطق الداخلية من عمان على السواء. وآثر ذلك على القوى المحلية التي اتجهت نحو النزاعات الاستقلالية وأضعفت القوى والعائلات المتنافسة على السلطة في البلاد.

٢- احتواء نظام إمامة اليعاربة لبلدة عبري:

استولى اليعاربة على مدينة عبري لما ارتقى ناصر بن مرشد (١٦١٥-١٦٤٤) إلى دفة السلطة في الرستاق عاصمة البلاد. وتم لهم فتحها أثناء توسع دولتهم في منطقة الظاهرة. وتكفل الشيخ خميس بن رويشد بحمل الإمام ناصر بن مرشد لضمّ منطقة الظاهرة إلى دولته. وكان الشيخ خميس من مدينة ضنك ومن أنصار نظام الإمامة[..].

واحتاج الإمام ناصر بن مرشد إلى قوة عسكرية هائلة "جيش عرمرم" لإخضاع المنطقة. نظرًا لما كانت تتمتع به هياكل النفوذ المحلي من قوة عسكرية وسياسية. فلقد كانت توجد في المنطقة قوى سياسية مختلفة.

- كانت القوة السياسية الأولى تساند الإمام ناصر بن مرشد وقد اشتملت على أهل السر و"رجال الضحاحكة". وكانت قاعدة هذه القوة السياسية بلدة الصخبرى التي اتخذ منها ناصر ابن مرشد قاعدة له.

- وكانت القوة السياسية الثانية تعارض الإمام ناصر بن مرشد وتتمثل في قبيلة آل هلال التي كان يخضع لها أهل عبري. ويتزعم آل هلال قطن بن قطن الذي يملك ثروة حيوانية تقوم على الإبل. وفي حوزته حصن. أسس بواسطته حمى في منطقة الظاهرة"[..].

وضمّ ناصر بن مرشد عبري إلى سلطته على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: تطلبها فتح المدينة بنفسه. فلم يتعرض ناصر بن مرشد أثناء اقتحامه للمدينة إلى مقاومة تذكر فدخلها صلحًا.
- المرحلة الثانية: أقام خلالها الإمام في عبري لمدة ليلتين قبل أن يرجع إلى بلدة الصخبري نقطة ارتكازه في منطقة الظاهرة التي وجد في أهلها المساندة. ويدل الحيز الزمني الذي خصصه لعبري على الوفاق الحاصل بينه وبين أهل البلدة. فقد يكون شركهم في ترتيب أمور المنطقة.

وكنا أشرنا في فقرة سابقة أن الإمام ناصر بن مرشد لما غادر مدينة عبري. حافظ على وضع "المشيخة" التي كانت عليه. فاستمرت القلعة مقرًا "لشيخ عبري". ولم يعين عليها واليًا مثلما فعل في مراكز أخرى في الظاهرة. وعين في المقابل على بات واليين. الأول: الشيخ محمد ابن أحمد من أهل الرستاق والثاني محمد بن سيف الحوقاني[..]. وبقيت قرى الظاهرة الأخرى تخضع لقطن بن قطن[..].

وعين ناصر بن مرشد الشيخ خميس بن رويشد الرويشدي على رأس حصن الغبي بخطة وال على "أهل الغبي". وكان الشيخ خميس يوصف بالتقوى والشجاعة مشهورا عند الجمهور"[٧٦]. وهي أوصاف مطلوبة من قبل أنصار نظام الإمامة بعمان منذ عهد دولة النبهانيين وقبلها.

فلم تتول مدينة عبري في نظام اليعاربة وظيفة المركز السياسي بالظاهرة، بل اكتفت بوضع طرف من أطراف الغبي، مركز منطقة السر، مثلها مثل بلدان المنطقة الأخرى.

وقام اليعاربة الذين كانوا يمثلون الإمامة الإباضية ويرمزون لها إلى احتواء عبري وضمها إلى سلطتهم. وسعى آل هلال في المقابل إلى التأسيس لحمى مستقل على هياكل دولة اليعاربة في منطقة الظاهرة تكون عبري أحد أطرافه. ويشير ابن زريق أن آل هلال وهياكله المحلية كانوا يعيشون على شن الغارات على القرى التي كان يسيطر عليها الإمام ناصر بن مرشد وتحكمها هياكله. واتخذ آل هلال يومئذ من ناحية الأفلاج بضنك مركزًا لهم. وتكفل خميس بن رويشد ومحمد ابن سيف الحوقاني بمحاربة قطن ابن قطن فتم بينهم الصلح على أن يسلم قطن بن قطن حصنه بناحية الأفلاج مقابل استرجاع قطيع إبله التي صادرها له الواليان[٧٧].

وكان يصحب النزاعات الاستقلالية عن سلطة نظام إمامة اليعاربة في الجهات عدم توفر الأمن في الطرقات ونهب أموال الناس. فلقد قام ناصر بن قطن انطلاقا من الأحساء بمهاجمة مناطق الإمام بعمان[٧٨]، وتذكر المصادر لقاء سيف بن سلطان اليعربي بالأعرابي الزفيتي في "دهاس السلامين" (وفي رواية أخرى "دون الطباقة") فاختبر سيف بن سلطان ليعرف هل كان من أولئك الذين ينبهون أموال الناس على الطرقات أم كان من الذين يمتثلون لسلطة الدولة؟ وكان الأعرابي الزفيتي راكبًا على جمل حمل عليه جرابي تمر من الظاهرة لبيعه في سوق الرستاق. فر الزفيتي من الإمام خوفًا منه وسعيًا للخروج من حمى الدولة إلى أرض بني مهرة. فتبين له أن أرض بني مهرة هي نفسها من حمى الإمام[٧٩]. وكان سيف بن سلطان من الأئمة الذين " أذعنت له القبائل من عمان وغيرها" بما فيها عبري التي تهمنا[٨٠].

وقامت الإمامة الإباضية لليعاربة على نفس المرجعيات الفقهية التي كانت تقوم عليها الإمامة الإباضية في عهد دولة النبهانيين التي أشرنا إليها سابقًا. فلقد كان مشايخ الدين والعلم الإباضية يحكمون على نظم الحكم المتعاقبة هل كانت صحيحة أم غير صحيحة من المنظور الإباضي. فاعتبرت إمامة سيف ابن سلطان الملقب "بقيد الأرض" إمامة صحيحة ("صحيح الإمامة")[٨١].

ويفسر انتماء عبري إلى المنظومة السياسية والاجتماعية الإباضية ورفض أهلها للنزعات الانفصالية لآل هلال بالظاهرة في عهد اليعاربة بالازدهار الاقتصادي الذي عرفته عمان على يد الأئمة اليعاربة. فتحقق على يدهم توسع دولتهم في تأمين المسالك التجارية بين المدن ومناطق البلاد الأخرى. ووضع اليعاربة حدًا للحضر الذي تسبب فيه البرتغاليون خلال القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر. وكان أعيان عبري وتجارها من المستفيدين من رفع الحضر على عمان.

٢- التدخل الفارسي في بلدة عبري:

تعرضت مدينة عبري سنة ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) لهجوم جيش سيف بن سلطان اليعربي، وكانت عبري إحدى البلدان التي التابعة لحمى الإمام

بلعرب بن حمير اليعربي. عين بلعرب بن حمير في إمامة عمان بعد أن عزل سيف بن سلطان من المؤسسة.

واشتمل حمى الإمام بلعرب بالإضافة إلى مدينة عبري على بلدان الظاهرة الأخرى خاصة مدينة ضنك ومدينة الغبي. كما ضمّ أيضا البريمي. واشتمل أيضًا على مدينة نزوى التي التجأ إليها بلعرب بعد خروجه من الظاهرة.

واستنجد سيف بن سلطان. في الأثناء. بقوة خارجية تمثلت في القوات الفارسية يقودها القائد لطيف خان. وكان سيف بن سلطان يتخذ من مسقط مقرًا له ويبسط نفوذه أيضًا على الرستاق وغيرها. واستولى العجم انطلاقًا من البريمي على مدينة ضنك ومدينة الغبي. قبل دخولهم إلى مدينة عبري.

ويذكر أن القوات الفارسية لما احتلت مدينة عبري. مارست سياسة تقوم على قتل أهل المدينة بما فيهم الأطفال. فمن الصور التي حافظت عليها الذاكرة الجماعية لأهل عمان: أولئك الأطفال الذين كانوا يربطون بجبال ويرمون في مياه الأنهار تحت القناطر.

وتمدنا بعض المصادر العمانية بحجم القوات الفارسية التي كان يقودها لطيف خان. والتي زحفت إلى عمان بطلب من سيف بن سلطان. فدخلت عبري وغيرها من بلدان الظاهرة. قدر حجم إحدى القوات المقاتلة بخمسة آلاف مقاتل. منها ألف وخمسمائة فارس يصحبهم ألفان وثلاثمائة حصان.

وكان وقع التدخل العسكري الفارسي كبيرا على أهل عبري. يتساوى وأهمية المشاركة التي كانت لهم في تعيين بلعرب بن حمير اليعربي على رأس الإمامة وإقصاء سيف بن سلطان منها. وتشير المصادر العمانية أن " أكابر اليعاقيب الذين كانوا من " أهل عمان قصدوا بلعرب اليعربي. وكان يومئذ ببلدة البزيلي من الظاهرة. ورغبوه في تولي رئاسة البلاد. وشاركهم في ترغيبه لتولي الإمامة كل من أكابر بني غافر وبني نعيم وبني قتب. وكانوا من القبائل التي تنسب نفسها إلى المجموعة القبلية النزارية ".

وتذهب المصادر العمانية إلى القول إنّ أطفال عبري كانواعندما تطأ القوات الفارسية مدينتهم. يستغيثون فلا يغاثون. ويدل ذلك على أن القوى المحليّة بعبري تخلت عن المقاومة لحماية المدينة أمام زحف القوى العسكرية الفارسية الهائلة. ولكن تشير تلك المصادر في نفس الوقت إلى أنّ القوى الفارسية رجعت من عبري إلى رأس الخيمة لتعيد تنظيم صفوفها. وهو ما قد يفيد أن المقاومة كانت مقاومة على المستوى الشعبي.

ولقد اختلف حينئذ وضع عبري عن وضع القواسم: إذ كان القواسم أول قوة عمانية تواجه الفرس عند دخولهم إلى عمان. ووقعت بينهم معارك ضارية انتهت بموافقة القواسم على وجود القوة الفارسية في منطقتهم على أثر فشل المقاومة. وأمكن بذلك للقواسم المحافظة على هياكلهم المحلية. وكان يترأس رأس الخيمة حينذاك الشيخ مطر بن رحمة الهولي.

وقامت علاقة سيف بن سلطان مع بلدة عبري على أساس سلب أهل البلدة. وهو أمر يذكر بتعامل بعض المجموعات المحلية خاصة منها القبلية على المراكز الحضرية والمدن. ثمّ إن أتباعه قاموا بقتل أطفال البلدة وباعوا العجم (المشاركون لسيف بن سلطان في استيلائه على البلدة) نساء عبري الحرائر في شيراز بيع العبيد أو البهائم. وفرضوا على نزوى الخراج عندما نجحوا في عقد

الصلح مع أهلها والتمكن من حماها[96]. وانحرف سيف بن سلطان بسياسته في عبري وغيرها من عمان عن المشروع الإباضي. مما حدا بسيف البطاشي إلى القول أنَّ سيف بن سلطان أساء السيرة أيام إمامته بين سنة ١١٤٠ وسنة ١١٤٦هـ (١٧٢٧ - ١٧٣٣)[97].

كان ترشيح أهل عبري - الذين كان يمثلهم كبار اليعاقيب ويرمزون إليهم - وتقديمهم لبلعرب اليعربي للإمامة، هو انخراط منهم في المشروع الإباضي. ورفض المشروع الذي تحول إليه سيف ابن سلطان. فلقد رفض أهل عبري الشرعية التي أقام عليها سيف بن سلطان اليعربي نظامه. وكان أهل عبري مثلهم مثل أهل نزوى وأهل المدن والمجموعات المحليّة المكونة لحمى بلعرب بن حمير اليعربي ترفض الخراج المفروض من قبل سيف بن سلطان والقوات الفارسية.

ففي عمان لا يمارس الحاكم حقه إلا من خلال فرض الزكاة: وهي نسبة معينة تقدر وفقًا للشريعة الإسلامية[98]. ويعدّ الخراج عند أهل عمان الإباضية مرفوضًا: لأنه لا يتناسب مع ولاية دينيّة "إسلامية" (إباضية)[99]. فخالف بنو غافر شركاء أهل عبري في تعيين بلعرب بن حمير) الوالي الذي عينه سيف بن سلطان علي الغبي، عاصمة الغافرية في منطقة الظاهرة[100].

واتخذ الصراع السياسي والعسكري بين سيف ابن سلطان وحلفائه الفرس الشيعة وبين بلعرب بن حمير اليعربي الذي يرمز لنظام الإمامة الإباضية الجانب الديني المذهبي مبرزًا له. ويخفي هذا الاختلاف المذهبي اختلافاً في علاقة الدولة بالمجتمع من جهة وارتباط العائلات العمانية بالسلطة من جهة ثانية. فعلى مستوى السياسة الجبائية لم تكن تفرض دولة الإمامة على رعيتها سوى ضرائب شرعية تقوم على الزكاة والعشر، مثلما كان الأمر بالنسبة إلى نظم الإمامة السابقة بعمان. أما الفرس ففرضوا على أهل عمان ضرائب أخرى تقوم على الخراج. وتذكر علاقة الشيعة الفرس بالإباضية أهل عمان آنذاك بالعلاقة التي فرضها العثمانيون السنة على المجموعات الإباضية بالشمال الإفريقي: ففرضوا عليهم "قانون القطيع" و"قطيع بر الترك". وهي ضرائب أصلها ضرائب خراجية[101].

بلدة عبري وتطور علاقتها بنظام البوسعيد:

١- أهل عبري وبداية دولة البوسعيد:

خلال الفترة التأسيسية لحكم آل بوسعيد من القرن الثامن عشر واجه أهل عبري نظم حكم مختلفة وأحياناً متباينة. فلقد شارك أهل عبري في الصراع بين آل بوسعيد واليعاربة على تولي مؤسسة الإمام حين ارتقى احمد بن سعيد البوسعيدي إلى السلطة. وانحازوا حينئذ إلى إمامة بلعرب بن حمير اليعربي. واتبع أهل عبري بعد ذلك ناصر بن محمد الغافري في نزعته الانفصالية على السلطة المركزية بالرستاق التي يتولاها آل بوسعيد.

أ) يعاقيب عبري ونظام الرأسين بعمان:

كان الشيخ علي بن ناصر اليعقوبي يتولى مشيخة عبري لما ارتقى أحمد بن سعيد البوسعيدي إلى مؤسسة الإمامة بعمان[102]. وكان الشيخ علي بن ناصر اليعقوبي يقف إلى حد كبير وراء إعلان بلعرب بن حمير اليعربي توليه الإمامة ومنافسته لأحمد بن سعيد البوسعيدي عليها. فعاشت عمان حينئذ في ظل نظام سياسي ذي رأسين، إمامة أحمد بن سعيد البوسعيدي

بالرستاق وإمامة بلعرب بن حمير اليعربي وقاعدتها نزوى.

وسعى كل من الإمامين إلى تأسيس حمى انطلاقًا من العاصمة التي اتخذها مقرًا له سواء في الرستاق أو في نزوى. فتنافس أحمد بن سعيد وبلعرب بن حمير على الانفراد بالإمامة والتوسع لبسط النفوذ على كامل عمان. فكانت نتيجة لذلك معركة فرق نزوى في صفر سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٢م). سبقت هذه المعركة معركة البثنة التي خاضها أحمد بن سعيد ضد أهل الصير في الشمال. وكان هدف الإمام أحمد والإمام بلعرب هو إقرار توازن جديد. سعى كل منهما تحقيقه في المجتمع العماني لصالحه.

ولعب أكابر اليعاقيب دورًا مهمًا في تشكيل صف بلعرب بن حمير اليعربي. وشاركهم في ذلك نزارية الظاهرة من بني غافر وبني نعيم وبني قتب. فاجتمع في صفه كافة النزارية وحلفائهم من أهل عمان الهناوية اليمنية ونزارية سمايل والسيابيين من بدبد.

واجتمع في صف أحمد بن سعيد في المقابل هناوية الشرقية وجعلان والبدية - على رأسهم عبد الله بن محمد البوسعيدي واليه على سمد الشأن - ورجال ينقل والظواهر وأعراب الباطنة ووادي بني رواحة. وانتهى صراع أحمد بن سعيد مع بلعرب بن حمير بقتل رؤوس الصف اليعربي. بلعرب بن حمير وأكابر اليعاقيب. وسلط أحمد بن سعيد عقوبة على الذين ساندوا بلعرب ابن حمير ثمّ عفا عنهم مما مكنه من بسط نفوذه على كامل البلاد.

لم يكن هناك خلاف في عمان بين القوى السياسية المتناحرة على السلطة في بداية عهد البوسعيدي. فكانت جميع تلك القوى متفقة على مشروع الإمامة الإباضية. ويكمن الخلاف فيمن يتولى الإمامة من العائلات العمانية. كان بلعرب ابن حمير اليعربي يرمز إلى العائلات العمانية التي كانت تتاوم للحفاظ على بقائها. فبقيت ثروتها قائمة على الأرض كمصدر أساسي للثروة. فلما توفي سيف بن سلطان سنة ١١٢٣ هـ (أكتوبر ١٧١١) خلف ثروة تقوم بالأساس على ملكية النخل والأفلاج والعبيد. وكانت السفن التي امتلكها اليعاربة سفن حربية بالأساس أكثر منها سفن تجارية. فعبر البعض من الباحثين عن ذلك بالقول إن دولة اليعاربة دولة حربية بحرية.

وكانت عائلة البوسعيد ترمز إلى النجاح الذي حققه العمانيون في مجال الملاحة في الخليج والمنافسة الأوربية على المنطقة دون سيطرة طرف من أطراف المنافسة. فوصف بعض الدارسين دولة البوسعيد بالدولة البحرية التجارية.

ب) أهل عبري وتجربة ناصر بن محمد الغافري الانفصالية:

وقف اليعاقيب إلى جانب ناصر بن الإمام محمد بن ناصر الغافري في صراعه ضد أحمد بن سعيد البوسعيدي. وكان ناصر بن محمد الغافري مقدمًا على رؤساء الظاهرة من بني غافر وصار رئيسهم. صاهره الإمام أحمد بن سعيد. فأصبحت تربطه روابط عائلية - وهي روابط دنيوية مقارنة بالروابط المذهبية والدينية.

ومرت العلاقة بين أحمد بن سعيد وناصر بن محمد بمرحلتين:

- المرحلة الأولى: استعان ناصر بن محمد بأحمد ابن سعيد لما ناصره شق من غافرية الزاهرة وعصاه الشق الآخر منهم. واقترح

عليه الاستيلاء على حصن الغبي وأن يعين عليه واليًا، فأرسل الإمام، تبعاً لذلك، محمد بن عمير البوسعيدي والياً على حصن الغبي وبسط نفوذه على المنطقة.

المرحلة الثانية: حث ناصر بن محمد قبائل الميايحة، وكان مقرهم بالعينين وهم من بني غافر، وأهل دفع الأودية وكاتب ابن رحمة الهولي لمحاربة أحمد بن سعيد البوسعيدي، وأمر أهل الغبي بالتمرد على الوالي الذي عينه أحمد بن سعيد على حصن البلدة ومحاربته. واتخذ ناصر بن محمد حصن العينين مقرًا له.

وعين أحمد بن سعيد ابنه هلال ليعمل على هدم بروج الميايحة كلها ببلدة دفع الأودية وحصن القرطي الذي على ملك بني شكيل - ويُعتبر بني شكيل خاصةُ خاصة ناصر بن محمد الغافري - فقام هلال ابن الإمام بهدمها، فأوفد والي نخل محمد بن سليمان اليعربي إلى الإمام أحمد بن سعيد رجالاً من بلدته لمعاضدته، وراسل أحمد بن سعيد كذلك قبائل الشرقية وجعلان وطلب إعانة البلوش (أهل مكران) والزدجال فاستجابوا لدعوته إلى القتال.

فاجتمع في صف الإمام أحمد من اليمنية ومن النزارية معاً، وانتهى الأمر بين أحمد بن سعيد ومحمد بن ناصر بالصلح على أن يحترم كل منهما الآخر، وعند موت ناصر بن محمد جدّد أكابر الظاهرة ومن بينهم اليعاقيب، أهل عبري، العهد بين الإمام وسيف بن ناصر بن محمد[٢٠٥]، وكانت عائلة البوسعيد آنذاك ترمز إلى القوى الاقتصادية الناشئة والنشطة، وكانت العائلات العمانية المقيمة على السواحل متفوقة في نشاطاتها التجارية وفي الملاحة وسباقة إلى النشاط الاقتصادي والديناميكية الاجتماعية والسياسية آنذاك.

عمل ناصر بن محمد الغافري على أن يؤسس لنظام اجتماعي وسياسي تجزيئي: يقوم على تحقيق انشطار داخل النظام الذي أسسه أحمد بن سعيد البوسعيدي والقائم على سلطة مركزية ترمز لها الرستاق، عاصمة البلاد. ويذكر النهج الذي اتبعه ناصر بن محمد الغافري مع أحمد بن سعيد البوسعيدي بالنهج الذي سوف يتبعه السيد حمد ابن سعيد (١٧٧٩-١٧٩٢) مع والده لما أراد أن يؤلبه على والي مسقط آنذاك مع بن خلفان بن محمد البوسعيدي الوكيل[١٠٦]، ولم يكن للنزعة الانفصالية لناصر بن محمد الغافري صلة بنظام الإمامة أو المشروع الاجتماعي والسياسي الإباضي.

٢- أهل عبري أمام مواجهة الخطر الوهابي:

وخضع أهل عبري لهياكل نفوذ وهابية نجد الذين اتخذوا من البريمي نقطة ارتكاز لتوسعهم في المناطق العمانية الداخلية، ورفض اليعاقيب الذين كانوا يرمزون إلى هياكل النفوذ المحلي بعبري السلطة الوهابية، ووقفوا إلى جانب سعيد ابن سلطان، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف عاش أهل عبري في ظل التجربة الوهابية؟ وكيف كان دعمهم لدولة سعيد بن سلطان؟

١) رفض أهل عبري للنظام الوهابي:

لما عين الوهابيون من آل سعود مطلق المطيري لولاية ثانية على البريمي في عهد سعيد ابن سلطان (١٨٠٧ -١٨٥٦) بعد إقالة سلفه ابن غردقة، حشد مطلق المطيري أهل عبري وبني كعب وآل عزيز - وكان أمير آل عزيزي يومئذ علي ابن راشد العزيزي - وهجم على بلدة ضنك

بالظاهرة. وانتهى هجومه إلى بلدان الحجريين بالشرقية حيث انهزم ببلدة بديّة فهرب مع أتباعه إلى الغبي بالظاهرة.

وأسس الوهابية في المناطق التي خضعت لسلطتهم في عمان لنظام سياسي واجتماعي متميز. وقد قام تحركهم في البلاد على شن الغارات على المجتمعات المحلية والمجموعات القبلية. وهو ما يفترض أنها كانت غارات تستهدف ثروات تلك المجتمعات والحصول على غنائم منها. وتضمنت سياستهم الجبائية في المناطق التي بسطوا نفوذهم عليها فرض الغرامات والإتاوات. وعليه رفضت المجموعات المحلية العمانية ومن بينها المجتمع المحلي بعبري الوجود الوهابي.

وفرض الوهابية على دولة البوسعيد ضريبة أطلق عليها "القانون". وتعني لفظة القانون الخراج. وظف العثمانيون هذا الأداء على بعض المجموعات المحلية في الشمال الإفريقي من بينها المجموعات المحلية الإباضية بجزيرة جربة وغيرها. وأخذ الوهابية القانون من قيس ابن الإمام أحمد على صحار وتوابعها. وأخذوه من السيد سعيد ومن ولده ثويني عندما كان السيد سعيد في زنجبار. على مسقط ونزوى. وكان "القانون" الذي فرضه الوهابيون على حكام عمان يتجدد في مناسبات عدّة منها تجدده في عهد السيد ثويني (١٨٥٦- ١٨٦٦). وقد تمّ ذلك عن طريق السديري والي الوهابية ومبعوثا ثويني: هلال بن محمد ابن الإمام وناصر ابن علي بن طالب البوسعيدي.

ووجد اختلاف جوهري بين النظامين الوهابي والبوسعيدي. حيث فرضت الوهابية على أهل عمان ضريبة "القانون" وما يتبعه من غرامات. وعد ذلك من قبل أهل عمان شكلاً من أشكال امتصاص ولاة الوهابية لزائد إنتاج أهل الظاهرة وأهل عمان بشكل عام. وواصل آل البوسعيدي - في المقابل - الاعتماد على السياسة الجبائية القائمة على الزكاة والصدقات التي توظف في تصريف شؤون الدولة والمجتمع. فكان أهل عمان يرضون بسياسة البوسعيدي: لأنها شرعية. ويتبيّن أن خضوع أهل عبري واليعاقيب والمواقف التي كانت لهم من الوهابية في عهد الوالي المطلق المطيري كانت مجرد تقية حماية لهياكلهم المحلية منه. وخضوعًا خشية من آلته الحربية وأتباعه. ووجدت دولة سعيد بن سلطان الدعم والمؤازرة من قبل المجتمع المحلي بعبري.

ب) مساندة عبري لدولة سعيد بن سلطان في مواجهة الوهابية:

وفي عهد دولة سعيد بن سلطان تخلى أهل عبري عن المراهنة على القوى ذات النزعة الانفصالية أمام الخطر الوهابي الخارجي المحدق ببلدتهم وبالبلاد بشكل عام. وأصبح لهم وعي بضرورة الانصهار في الدولة. فساندوا بالقوة دولة سعيد بن سلطان.

فلقد كان اليعاقيب من القبائل التي حشدها الشيخ راشد بن حميد الغافري. شيخ منطقة الظاهرة بحصن بلدة العينين. بطلب من محمد بن ناصر لنصرة السيد سعيد بن سلطان على الوهابية.

وحشد الشيخ راشد الغافري لذلك الغرض من منطقة السر: البلوش وبني شكيل والميايحة وبني كلبان والعبريين. وسانده من منطقة الجو: بنو كعب والشوامس وبنو نعيم وقتب والنزارية في المنطقة. فأحصى ابن زريق ثمانين شيخا من النزارية كانوا من الحضر والأعراب فيما كان يعد أتباعهم "بالألوف".

وكان تدخل الوهابية في الظاهرة بمثابة الفرصة التي سمحت لأهل عبري (ولأهل الظاهرة عمومًا) بطلب حماية حقيقية من مسقط عاصمة البلاد. وكان الإنتاج السياسي للبوسعيديين عمومًا وللسيد سعيد بن سلطان مع أهل الظاهرة يقوم على العطاء و:العطاء المضاد . فكان السيد سعيد ابن سلطان يكرم شيوخ نزارية الظاهرة ويكرم معهم مقدمهم محمد بن ناصر الغافري، فيعطيهم الهدايا من مال وغيره مقابل ولاء أهل الظاهرة وأهل عبري - الذي يهمنا أمرهم هنا بالخصوص - له.

وكانت دولة البوسعيدي في عهد سعيد بن سلطان تعترف بنظام يكون فيه للمجتمعات المحلية حماها الخاص، وتقر بوجودها هياكل نفوذ محلي. فلما تم الصلح بين السيد حمود بن عزان والسيد سعيد بن سلطان قام السيد سعيد بإكرام شيوخ النزارية مقابل عدم دخولهم إلى مسقط وعودتهم إلى بلدانهم[١٠٦].

ومن جهة أخرى، كان اختيار أهل عبري لدولة السيد سعيد بن سلطان يعني اختيارا للحرية في نشاطاتهم التي يرمز لها آل بوسعيد من تجار المدن الساحلية.

فلقد تقيد آل بوسعيد بمرجعيات الفقه الإباضي لكن دون التخلي عمّا تتطلبه النشاطات الاقتصادية من حرية، ونقل سيف البطاشي مكاتبات الإمام أحمد بن سعيد لبعض علماء عصره يسألهم فيها عن بعض المسائل الفقهية ذات الصلة بممارسة السلطة[١٠٧].

ولم يعد كبار مشايخ العلم والدين الإباضية في دولة سعيد بن سلطان ينتمون إلى "أهل عمان"، وينتسبون إلى مؤسسة أهل الحل والعقد مثلما هو الحال في السابق. ولم يعودوا يشاركون أعيان المال والأعمال في السلطة بل أصبحوا مجرد مستشارين في الدولة، الأمر الذي أعطى حرية أكثر للأعيان لممارسة نشاطاتهم المختلفة. فقد ضم مجلس السيد سالم بن سلطان الذي كان في ائتلاف حكومي مع أخيه السيد سلطان بن الإمام سبعة أعضاء ذكرهم ابن زريق من بين علماء كثيرين كانت تطلق على ستة منهم لفظة " الشيخ"، وأطلق على واحد منهم فقط لفظة "السيد": لأنه من عائلة البوسعيد ونعت ثلاثة منهم بلفظة العالم. وكان من بينهم الفقيه والزاهد والفصيح، ولم يعرّف إلا شخص واحد فقط بوظيفة القاضي[١٠٨]. واقتصر دور المجلس على الجانب الاستشاري لا غير.

وحرص آل بوسعيد على الاكتفاء بذلك الدور لمشايخ العلم لتفادي الأخطاء السياسية السابقة، فلقد لعب مشايخ العلم في النظم الإباضية السابقة دورًا تسبب في عديد من المناسبات في ظهور الأزمات على مستوى مؤسسة الإمامة بالبلاد، من ذلك: ما وقع في عهد سيف بن سلطان وساهم فيها القاضي مساهمة كبيرة.

٢) ولاء أهل عبري لدولة البوسعيد في القرن الحالي:

خضع المجتمع المحلي بعبري في مطلع القرن الحالي إلى هياكل السلطة بنزوى، عاصمة دولة الإمامة، وصاحبت مشاركة أهل عبري في نظام الإمامة استعمالهم العنف ضد المجتمعات المحلية المجاورة في منطقة الظاهرة، وفي المقابل، أظهر أهل عبري الولاء لسلاطين البوسعيد حالما انقرضت دولة الإمامة، فخضعت نزوى من جديد إلى دولة مسقط. والسؤال الذي يهمنا البحث فيه هو فيم تمثل عنف أهل عبري أبان دولة الإمامة وما هي أبعاده؟ وما هي مظاهر ولاء المجتمع المحلي في عبري لدولة البوسعيد بمسقط؟

أ) عنف أهل عبري في ظل نظام الإمامة:

كنا أشرنا في السابق أنَّ عبري اتخذت في عهد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وضع الإمارة. تولاها سلطان بن راشد اليعقوبي. وسعى الشيخ سلطان بن راشد توسيع حماه وفرض هيمنته على السليف فاصطدم مع الشيخ محمد بن سيف المنذري[illegible].

وكانت عشائر المناذرة تشكل المجموعة الرئيسة في السليف. وقد بنى الإمام سلطان بن سيف اليعربي حصن السليف قبل ثلاث مائة سنة كي يقيم فيه المناذرة. وزحف محمد بن ناصر الغافري على السليف في أوائل القرن الثامن عشر، وصمد حصن السليف حتى استسلم محمد ابن ناصر الغافري وعاش المناذرة بعد ذلك في القرية الشرقية. فيما كان يسكن قبيلة العذور الحصن وقبيلة الصواوفة القرى الوسطى والغربية[illegible].

أدى عنف سنة ١٩٢٤ بين اليعاقيب والمناذرة إلى قتل الشيخ محمد بن سيف المنذري الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي وأولاده محمد وحمدان وثلاثة من مواليه وحليفهم حمد بن علي الشكيلي بسبب هيمنته عليهم وتوسعه في بلادهم[١٠٠].

وقام ذلك العنف لما قتل الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي أبو بسرة. والد التوبلي بعد أن لجأ أبو بسرة إلى الشيخ المنذري الذي أخذ له الأمان من الشيخ اليعقوبي. وقتل أبو بسرة في حمى الشيخ المنذري فعدّ ذلك تحديًا من الشيخ اليعقوبي للمناذرة.

ويعدُّ العنف الذي وظفه أهل عبري ضد قبائل السليف المجاورة في الظاهرة بمثابة الأداة التي استعملت بغية البحث عن توازن داخل المنظومة الاجتماعية والسياسية التي ينتسبون إليها - نظام الإمامة بنزوى -. وتكفلت عائلات المجتمع المحلي في عبري وبخاصة عائلات الأعيان بتوظيف سياسة العنف لصالحهم للهيمنة على المنطقة وعلى القبائل المجاورة.

وكان بحث أعيان بلدة عبري عن توازن جديد في المنطقة يكون لصالحهم مطلوبًا أيضًا من قبل العديد من القبائل المجاورة. فلقد تحالف بنو كلبان وغافرية الظاهرة مع يعاقيب بلدة عبري. فهاجموا السليف، بلدة المنذري فقتلوا ونهبوا وخربوا البلاد. فاستغاث أهل السليف بدولة الإمامة بنزوى[illegible].

وامتصت دولة الإمامة بنزوى عنف اليعاقيب. فاستعانت بعاملها بالرستاق السيد هلال بن علي. فكان من نتائج ذلك أن تخلى الشيخ اليعقوبي عن عبري. وسلم مركزه إلى دولة الإمامة التي عينت فيه شيخًا خلفًا له[illegible].

والواقع أنَّ المحافظين في نزوى كانوا يعيرون أهمية قصوى للحلول السياسية ذات الصلة بالمرجعيات الفقهية والدينية المذهبية. وكان أعيان عبري وغيرهم من أعيان البلاد يطلبون في المقابل مجالاً أرحب لنشاطاتهم قد لا تسمح به تلك المرجعيات الفقهية. فعمل أهل عبري على التوسع على حساب المناطق المجاورة. فكانوا يسعون إلى تطويع الواقع السياسي العماني المجزأ للواقع الاجتماعي والاقتصادي الموحد في عمان. واعتمد أهل عبري على العنف كوسيلة لفرض نظام يكون لصالحهم داخل حدود نظام الإمامة.

ويختلف العلماء في قراءة هذه المرحلة من التاريخ العماني. حيث يعد حسين غباش عبري مطلع الخمسينات من مدن الإمامة الرئيسة مثلها مثل الرستاق ونزوى ويستدل بمشاركة أهل عبري في ثورة ١٩٥٥ - ١٩٦٤[illegible]. بينما لاندن من جهته

يذهب إلى الاعتقاد أنه خلال المرحلة بين ١٩١٣ و١٩٥٥ كانت الحكومة في مسقط تمثل مصالح سكان المنطقة الساحلية والإباضية المعتدلة. فيما كانت الإباضية المحافظة تتحصن داخل الحدود الداخلية للبلاد[١٢٤]. ونحن نذهب إلى الاعتقاد أن اليعاقيب كانوا يرمزون إلى أهل عبري الذين كانوا يتطلعون لمساندة القوى من خارج الحدود الداخلية للبلاد. تلك القوى التي ترمز لها مسقط والعائلات المساندة للبوسعيد. وترجع تطلعات هذا الشق من أهل عبري إلى ما كانت تشهده البلاد من حالة ركود لم تتغير إلا بعد مرحلة الخمسينيات من هذا القرن[١٢٥].

ب) ولاء أهل عبري للدولة مع حكم سعيد بن تيمور:

خضعت عبري وكل عمان لسلطة السلطان سعيد بن تيمور بداية من سنة ١٩٥٩. وتوحدت حينئذ عمان على يده. فأعلنت كل القبائل في الداخل ولاءها للسلطان[١٢٦] بعد أن توفي الإمام الخليلي سنة ١٩٥٤ ووجد السلطان سعيد بن تيمور مساندة من قبل القوات الإنجليزية فبسط نفوذه على المناطق الداخلية في عمان.

ويقدم لنا مثال السيد سعود ابن حارب بن حمد البوسعيد الذي تولى ولاية عبري في عهد سعيد بن تيمور (١٩٣٢-١٩٧٠) دور التمفصل الذي قام به أحد أعيان العائلات النزوية بين السلطة المركزية في مسقط وبين رعية دولة السلطان في بلدة عبري. وقد مكث السيد سعود في تولي ولاية عبري ثماني عشرة سنة.

وكان آباء السيد سعود حكامًا على نزوى يعملون لصالح سلاطين البوسعيد. وتقلد السيد سعود قبل توليه ولاية عبري عدة ولايات من بينها صور. ووصف بأنه فاضل. رزين. ويبدو عليه البهاء والوقار. وما انفك يعمل على أن تقام ولاياته عليالعدل والأمان. وكان يعامل أهل الولايات التي تعاقب على حكمها باللين والإحسان. نزله أهل عبري منزلة الأب وجعله أهل الظاهرة جميعًا مرجعًا لهم في أكبر المشاكل. فكان ناصحًا لهم وراعيًا أمينًا للرعية[١٢٧]. وكانت تشكل جملة هذه المواصفات صورة المسؤول الذي ترتضيه "الإباضية المعتدلة". وتذكر بالصورة التي تتضمنها "عهود" سلطان بن مرشد اليعربي إلى عماله في القرى المختلفة من عمان. وكان يملي عليهم التصرفات التي تتناسب وتصرف المسؤول الإباضي وتتماشى وفقه المذهب[١٢٨].

وتشير بعض الدراسات إلى أنه ابتداء من أواخر الخمسينيات أخذت العلاقة بين عبري والسلطة المركزية بمسقط تتدعم عبر مستويات مختلفة. وفي هذا الإطار مدّت الطرقات الحديثة التي ربطت البريمي وفهود بنزوى فمسقط عبر عبري[١٢٩].

الخاتمة:

لقد تغير وضع بلدة عبري باعتبارها أحد "أطراف" المركز السياسي بعمان على امتداد الفترة التي تهمنا. فكان لها وضع "المشيخة" حتى مطلع القرن الحالي. ثم أخذت وضع "الإمارة" خلال فترة حكم دولة إمامة محمد بن عبد الله الخليلي في نزوى بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٥٤. وأصبحت عبري أخيراً في وضع "الولاية" (=العمالة) منذ عهد دولة سعيد بن تيمور (١٩٣٠-١٩٧٠).

ومهما كان وضع البلدة. تأسست حياة المجتمع في عبري على هياكل النفوذ المحلي شغلتها عائلات من البلدة لعل من أهمها اليعاقيب. ويعدّ تعاقب كبار اليعاقيب على مؤسسة المشيخة لعدة

قرون مثالاً على طابع الاستمرارية التي ميزت المؤسسات المحلية. ولعلها ميزة من المميزات التي تذكر بالمجتمعات المحلية الإباضية بالشمال الإفريقي.

واختار أهل عبري، على مستوى عمان، على الأرجح، نظام الإمامة في عهد حكم الملوك النبهانيين المتأخرين. وانضموا إلى نظام الإمامة أيضا لما ارتقى ناصر بن مرشد إلى السلطة دون عنف. وواصلوا اختيار نظام الإمامة أثناء قيام دولة البوسعيد. لكنهم راهنوا حينذاك على إمامة بلعرب بن حمير اليعربي. وينتمي بلعرب إلى عائلة حاكمة كان أفرادها يقاومون الزوال. ولم تعد ثروتهم قادرة على منافسة ثروة البوسعيد. فلم يعد أفراد العائلة يلعبون نفس الدور ضمن حركة الشبكات التي ترمز إلى العلاقات الاجتماعية في عمان. فتخلّت أكثر العائلات عن مساندتهم لصالح البوسعيد.

وانضم أهل عبري إلى نظام سعيد بن سلطان في القرن الثامن عشر لتجاوز الأزمة التي تسبب فيها التدخل الوهابي في منطقة الظاهرة عمومًا. وساندوا حكومة سعيد بن تيمور لتجاوز الأزمة التي جعلت عمان تشهد انشطاراً بين نظام الإمامة في نزوى ونظام السلطنة في مسقط بداية من سنة ١٩٥٩.

وتعرض أنصار نظام الإمامة الإباضية في عبري إلى منافسة القوى المحلية القبلية التي يتزعمها آل هلال في المنطقة من جهة. وأنصار نظام النبهانيين الذين كان ينعتهم أنصار الإمامة أنفسهم بالملوك "الجبابرة" من جهة أخرى.

أما على المستوى الخارجي، فلقد رفض أهل عبري سواء في عهد اليعاربة أو في العهد البوسعيدي هيمنة القوى الخارجية. فقد تعرضوا خلال العصر الحديث إلى الأخطار الخارجية في مناسبتين.

كانت المناسبة الأولى لما استنجد سيف بن سلطان الثاني سنة ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) بالفرس ضد خصومه السياسيين في الداخل. فكرّس الفرس الشيعة سياسة قمعية ضدّ أهل عبري بسبب مساندتهم الفاعلة للإمام بلعرب بن حمير اليعربي. ففرضوا عليه جباية تقوم على دفع الخراج وهي ضريبة لا يقبلها إباضية عمان: لأنها تفرض على من دخل الإسلام بعد شرك (دخل الإسلام عنوة) وغايتها على حد تعبير الماوردي صغارٌ لهم وذمة".

وكانت المناسبة الثانية في بداية القرن التاسع عشر لما هاجمت جيوش الوهابية القادمة من نجد بلدة عبري، وخرج معهم أهل البلدة لفتح بعض المناطق الأخرى من عمان خشية من أذاهم وحفاظًا منهم على هياكل نفوذهم المحلية. ورفض أهل عبري في المقابل الجباية المفروضة عليهم من قبل ولاة الوهابية السنة في البريمي والمتمثلة في ضريبة "القانون" التي تذكر بسياسة الفرس الشيعة تجاه الإباضية في عمان. ونتيجة لذلك ساند أهل عبري دولة سعيد بن سلطان إلى جانب العديد من القوى في منطقة الظاهرة.

ويعني تصدي أهل عبري للفرس والوهابية معا رفضهم للمشروع السياسي والاجتماعي لتلك القوى الخارجية وتمسكهم بالمشروع الإباضي للدولة العمانية. وهو ما يفسر وضع الطرف للسلطة المركزية بعمان الذي استمرت تشغله عبري على كامل العصر الحديث. ■

الحواشي

١- صدر بعد إنجازي لهذا البحث كتاب هو حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي حمل عنوان، عبر التاريخ، المنتدى الأدبي، طبع في الفردوس، صحار، ٢٠٠٢م.

٢- نهضة الأعيان بحرية عمان:٥٢.

٣- جغرافية إقليم عمان سلطنة عمان ودولة الإمارات:٤٢.

٤- تاريخ عمان:١٧٥.

٥- الطالع السعيد نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد:١٣٥.

٦- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين:٤٥٩.

٧- القلاع والحصون في عمان: ١٦٤.

٨- ملامح في التاريخ العماني:٣٦١.

٩- سلطنة عمان مقدمة جغرافية:٢/١٣٥.

١٠- ملامح في التاريخ العماني:٣٦١.

١١- مقدمة جغرافية.... نفس المصدر :١٣٥.

١٢- ملامح في التاريخ العماني: ٣٦١.

١٣- عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا:١٧١.

١٤- العادات العمانية:٦٧.

١٥- عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا:١٧٢.

١٦- مقدمة جغرافية...١٩٨٠، نفس المصدر :١٣٥.

١٧- مقدمة جغرافية...١٩٨٠، نفس المصدر :١٣٥.

١٨- مقدمة جغرافية...١٩٨٠، نفس المصدر :١٣٥.

١٩- جغرافية إقليم عمان . ١٩٨٨ . نفس المصدر:٤٢.

٢٠- القلاع والحصون:١٨٤.

٢١- وردت العبارات على هذا النحو في جماعي، القلاع والحصون:١٨٤

٢٢- الفتح المبين:٤٢٤ وما بعدها.

٢٣- الفتح المبين:٢٣٤ ، ٢٣٥، الشعاع: ٢٠٩.

٢٤- تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة:١٠٠.

٢٥- الفتح المبين: ٢٣٦.

٢٦- الطالع السعيد:١٨٤.

٢٧- نهضة الأعيان:٥١.

٢٨- نهضة الأعيان: ٤٢٦.

٢٩- نهضة الأعيان: ٤٢٦، ٤٢٨.

٣٠- نهضة الأعيان: ٤٣٠-٤٣٦.

٣١- نهضة الأعيان: ٤٢٦.

٣٢- نزوى عبر الأيام وأعلام :٢٢٢.

٣٣- القلاع والحصون:١٨٤.

٣٤- خليفة الشاطر.

٣٥- نهضة الأعيان: ٤٣٥.

٣٦- نهضة الأعيان: ٤٣٥.

٣٧- سيرة الإمام ناصر بن مرشد:١٧ . تاريخ المدن في شبه الجزيرة العربية، حالة مدينة نزوى في سلطنة عمان، مخطوط.

٣٨- القلاع والحصون:١٨٤.

٣٩- نهضة الأعيان: ٥٢.

٤٠- الفتح المبين:٣٤٣.

٤١- الأفلاج ووسائل الري في عمان:٦٦.

٤٢- نهضة الأعيان: ٥١.

٤٣- أمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ - ١٨١٨: ٣٣.

٤٤- القلاع والحصون:١٨٤.

٤٥- مقدمة جغرافية:١٣٥ . تاريخ عمان:١٧٥.

٤٦- تاريخ عمان:١٧٥.

٤٧- ملامح..:٣٦١. عمان في صفحات التاريخ، ع٧٦/س١٩٨٥/٧.

٤٨- مقدمة جغرافية:١٣٥.

٤٩- الفتح المبين:٣٠٩.

٥٠- إمارات الساحل: ٤٩.

٥١- إمارات الساحل: ٥٥.

٥٢- الخليج بلدانه وقبائله: ٢٥٢.

٥٣- إباضية جربة، المصدر نفسه.

٥٤- الطالع السعيد، المصدر نفسه:١٨٢.

٥٥- الفتح المبين:٣٣٦.

٥٦- الفتح المبين: ٤٠٨.

٥٧- الفتح المبين: ٣٢٤.

٥٨- كشف الغمة:١٥٧.

٥٩- القلاع والحصون: ١٨٦.

٦٠- عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث: ١٠٦.

٦١- الفتح المبين: ٢٢٣.

٦٢- قصص وأخبار جرت في عمان:٨٥.

٦٣- الفتح المبين: ٢٢٨.

٦٤- الفتح المبين: ٢٢٥.

٦٥- القلاع والحصون: ٥٦.

٦٦- القلاع والحصون: ١٨٦.

٦٧- القلاع والحصون: ١٨٦.

٦٨- الفتح المبين: ٢٣٤ وما بعدها.

٦٩- الفتح المبين: ٢٢٤.

٧٠- قصص وأخبار جرت في عمان: ٨٣. كشف الغمة. تحفة الأعيان.

٧١- القلاع والحصون: ٥٤.

٧٢- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان: ٢٠٨.

٧٣- قصص وأخبار جرت في عمان: ١١٠.

٧٤- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان: ٢٠٩. الفتح المبين: ٢٣٦.

٧٥- قصص وأخبار جرت في عمان: ١١٠.

٧٦- الفتح المبين...: ٢٣٦.

٧٧- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان: ٢٠٩.

٧٨- قصص وأخبار جرت في عمان: ١١٨.

٧٩- الفتح المبين: ٢٦٠.

٨٠- الفتح المبين: ٢٥٩.

٨١- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان: ٢/٩٧.

٨٢- الطالع السعيد.... ١٣٨.

٨٣- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٤- الطالع السعيد...: ١٣٨.

٨٥- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٦- الطالع السعيد...: ١٣٥.

٨٧- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٨- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٩- الطالع السعيد...: ١٣٨ -١٣٩.

٩٠- الفتح المبين: ٢٢٤.

٩١- الطالع السعيد...: ١٣٨.

٩٢- الطالع السعيد...: ١٣٩.

٩٣- الفتح المبين: ٢٩٧.

٩٤- الطالع السعيد...: ١٣٥.

٩٥- تاريخ عمان: ١٧٨.

٩٦- انظر خلفيات. عمان والحضارة الإسلامية ط٩. ١٩٩٤. الأحكام السلطانية والولايات الدينية.

٩٧- الفتح المبين: ٢٩٧.

٩٨- إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث.

٩٩- كشف الغمة: ١٥٦.

١٠٠- الفتح المبين...: ٢٢٤.

١٠١- الفتح المبين...: ٢٢٤.

١٠٢- الفتح المبين...: ٢٢٤.

١٠٣- الفتح المبين...: ٢٢٦.

١٠٤- الفتح المبين...: ٢٥٩.

١٠٥- عمان في التاريخ: ٥٠٧.

١٠٦- عمان في التاريخ: ٥٠٧

١٠٧- الفتح المبين...: ٢٣٦. وما بعدها. الطالع السعيد... ١٨١ وما بعدها.

١٠٨- الفتح المبين...: ٢٤٧.

١٠٩- الفتح المبين...: ٢٥٩.

١١٠- إباضية جربة....

١١١- الفتح المبين...: ٤٨٤.

١١٢- الفتح المبين...: ٤٨٤.

١١٣- الفتح المبين...: ٦٨.

١١٤- الفتح المبين...: ٤٨٠.

١١٥- الفتح المبين...: ٩٨.

١١٦- الطالع السعيد...: ٢٧١.

١١٧- الفتح المبين...: ٣٩٢.

١١٨- نهضة الأعيان: ٤٢٦.

١١٩- القلاع والحصون: ١٧٥.

١٢٠- نهضة الأعيان: ٢٦.

١٢١- نهضة الأعيان: ٢٧.

١٢٢- نهضة الأعيان: ٢٨.

١٢٣- عمان الديمقراطية...٣٤٢.

١٢٤- عمان منذ ..١٨٥٦: ٥٣.

١٢٥- عمان منذ ..١٨٥٦: ٤٥٣.

١٢٦- جغرافية إقليم عمان منذ ١٨٥٦: ٢٨.

١٢٧- نزوى عبر التاريخ: ٢٢٣.

١٢٨- تحفة الأعيان: ٢/ ٢٤.

١٢٩- عمان منذ ..١٨٥٦: ٤٩١.

١٣٠- الأحكام السلطانية: ١٢٤.

المجتمع المحلي في عبري وتطوره من سنة ١٥٠٧م - ١٩٧٠م

المصادر والمراجع

١ إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث. لمحمد المريمي. كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ودار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٥م.

٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية. للماوردي، دار الفكر، مصر، ١٩٨٣م.

٣ الأفلاج ووسائل الري في عمان. لجي. رسي. ولكنسون. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان، ١٩٩٢م.

٤- إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣- ١٨١٨. لمحمد مرسي عبد الله. المكتب المصري الحديث. القاهرة، ١٩٧٨م.

٥- تاريخ عمان. لوندل فيليبس. ترجمة. محمد أمين عبد الله. وزارة التراث القومي والثقافة، ط٤، مسقط، ١٩٩٤م.

٦- تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تح. عبد المجيد القيسي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان، ١٩٨٠م.

٧- تاريخ المدن في شبه الجزيرة العربية. حالة مدينة نزوى في سلطنة عمان. مخطوط. لمحمد المريمي. ١٩٩٩م.

٨ تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. لنور الدين السالمي، ج٢. مكتبة الإمام نور الدين السالمي، مسقط - سلطنة عمان. ١٩٩٥م.

٩- جغرافية إقليم سلطنة عمان ودولة الإمارات. لمحمود أبو العلا. مكتبة الفلاح. الكويت. ١٩٨٨.

١٠- الخليج بلدانه وقبائله. ل س.ب. مايلز. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٨٣م.

١١- سلطنة عمان مقدمة جغرافية. لفريد شولتس. ج٢، ترجمة شركة إنتربارت. شركة إرنست كليت. شتوتجارت. ألمانيا الغربية. ١٩٨٠م.

١٢- سيرة الإمام ناصر بن مرشد. لابن قيصر. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان.

١٣- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان. لابن زريق. تح. عبد المنعم عامر. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان، ١٩٧٨م.

١٤ الطالع السعيد نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد. لسيف ابن حمود البطاشي. مطبعة عمان. مسقط. ١٩٩٧م.

١٥- العادات العمانية. لسعود بن سالم العنسي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان.

١٦ عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث(١٥٠٠ - ١٩٧٠). دار الجديد. بيروت - لبنان. ١٩٩٧م.

١٧- عمان في التاريخ. جماعي. عمان - لندن. ١٩٩٥.

١٨- عمان في صفحات التاريخ. لروبرت بدويل. ج٧. ط٢. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان، ١٩٨٥م.

١٩- عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً. للاندن. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٨٤م.

٢٠- عمان والحضارة الإسلامية. لسعيد عبد الفتاح عاشور وعوض محمد خليفات. ط٩. جامعة السلطان قابوس. سلطنة عمان. ١٩٩٤م.

٢١- الفتح المبين في سير السادة البوسعيديين. لحميد بن محمد ابن زريق. تح. عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٩٤م.

٢٢- قصص وأخبار جرت في عمان. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٩٢م. (مجهول).

٢٣- القلاع والحصون في عمان. للجماعي. بدون دار نشر. ١٩٩٤م.

٢٤- ملامح من التاريخ العماني. لسليمان الخروصي. ط٢. بدون دار نشر. ١٩٩٥م.

٢٥- نزوى عبر الأيام معالم الأعلام. لناصر بن منصور الفارسي. نادي نزوى. ١٩٩٤م.

٢٦- نهضة الأعيان بحرية عمان. لمحمد شيبه السالمي. مكتبة التراث. القاهرة. د.ت.

المنظمات المتطرفة في شرق أوربا

د. وليد أحمد محمود
مركز الدراسات الإقليمية - جامعة الموصل - العراق

شغل موضوع الإرهاب في السنوات الأخيرة حيزاً واسعاً من الدراسات السياسية، وهذه الدراسة هي جزء من تلك الجهود التي تلقي الضوء على مفهومي الإرهاب والتطرف، وضمت الدراسة مبحثين، تناول الأول: مفهوم الإرهاب كشكل من أشكال التطرف؛ حيث تعالج الدراسة البدايات المبكرة لفكرة التطرف والإرهاب من خلال التاريخ الأوربي، فضلاً عن استعراضه لتطور الظاهرة الإرهابية من خلال عدة عقود من الزمن من حيث إن الإشكاليات العقائدية والعرقية قدمت المناخ الملائم لنمو هذه الفكرة.

أما المبحث الثاني: فقد تناول استعراضاً سريعاً لأهم المنظمات المتطرفة في شرق أوربا ابتداءً من الجزيرة القبرصية، صعوداً باتجاه اليونان وروسيا، وأبرزها منظمة أيوكا (E.O.K.A) القبرصية اليونانية التي مارست أعمال عنف ضد مواطني بلدها، ومنظمة ١٧ تشرين الثاني اليونانية التي تبنت فكراً يسارياً ومارست أعمالاً إرهابية، أما المنظمة الثالثة فهي: منظمة نارودنايا فوليا الروسية (NRODNAI VOLJA) التي اعتبرت نفسها المعبرة عن إرادة الشعب الروسي ضد الاستبداد القيصري.

مقدمــة

ثمة حقائق تنوء بها المجتمعات الإنسانية تقدمها الأحداث السياسية العالمية عبر تطوراتها، تأبى ألا تتجسد على أرض الواقع، وتنشد أهدافها عبر وسائل متطرفة منها العنف، ومن ثمَّ الإرهاب في مرحلة لاحقة.

تتعرض الدراسة إلى مفهومي الإرهاب والتطرف، إذ أنه ليس بالضرورة أن يكون التطرف بمعنى الإرهاب، فهنالك مفهوم التشدد الذي انبثق عن التطرف، والذي يستخدم عند الإشارة إلى الحركات المتطرفة ذات الطابع العقائدي في كثير

من الأحيان. في حين أنّ مفهوم الإرهاب الذي انبثق عن التطرف نجده قد ارتبط بشكل كبير بالحركات المتطرفة ذات الطابع العرقي.

تحتوي الدراسة على مبحثين رئيسين:

الأول: يتناول الإرهاب كشكل من أشكال التطرف، حيث يرد في ثناياه الإشارات الأولى إلى التطرف من خلال التاريخ الأوربي. فضلاً عن استعراضه لتطور الظاهرة الإرهابية عبر أجيالها الثلاثة من حيث إنّ الإشكاليات العقائدية والعرقية قدمت المناخ الملائم لنمو فكرة التطرف. ومن ثمّ العلاقة الجدلية التي تربط بين مفهوم التطرف وبين فكرة الردع كغاية يبتغيها المتطرفون.

أما المبحث الثاني: فيتضمن استعراضاً سريعاً لأهم المنظمات المتطرفة في شرق أوربا ابتداءً بالجزيرة القبرصية صعوداً باتجاه اليونان وروسيا، وأبرز تلك المنظمات هي:

١- منظمة آيوكا (E.O.K.A) القبرصية - اليونانية النشأة التي ذهبت بعيداً عن أهدافها في تحرير الجزيرة القبرصية من السيطرة البريطانية، وطورت أهدافها في السعي لضم الجزيرة إلى اليونان عن طريق العنف. مما جعلها تخرج عن إطار الحركات الوطنية نتيجة استخدامها العنف ضد سكان الجزيرة من القبارصة الأتراك. الأمر الذي أضفى عليها صفة التطرف فضلاً عن اعتمادها وسائل الإرهاب لمناهضة الحكومة الشرعية للرئيس القبرصي مكاريوس (١٩٦٠ - ١٩٧٤ akarios).

٢- منظمة ١٧ تشرين الثاني اليونانية التي تبنت فكراً يسارياً، ومارست أعمالاً إرهابية بدعوى مناهضة الحكومة اليونانية. إذ تضمنت فعالياتها أعمال السطو المسلح على المصارف، واغتيال شخصيات سياسية، ثم طورت برنامجها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وتبنت فكرة مهاجمة أهداف أمريكية، وأهداف أخرى تابعة لحلف شمال الأطلسي (N.A.T.O).

٣- منظمة نارودنايا فوليا الروسية NRODNAIA VOLIA التي اعتبرت نفسها المعبرة عن إرادة الشعب الروسي ضد الاستبداد القيصري، وبالتالي فإنّ الأعمال المتطرفة التي اعتمدتها لمناهضة هذا الاستبداد، تعدّ مشروعة حتى وإن اكتسبت الطابع الإرهابي، حسب رأيها.

المبحث الأول: التطرف والإرهاب:

أولاً: الإرهاب شكل من أشكال التطرف:

يبدو أنّ هنالك متغيرات سياسية ناجمة عن تناقضات اجتماعية داخلية على مستوى الدول يتولد عنها نوع من الفوضى، قد تكون في أحيان غير منظمة يتبناها الفوضويون العدميون، وفي أحيان أخرى منظمة يتبناها المتطرفون. يظهر الأمر جلياً من خلال ثورتين انجليزيتين في القرن السابع عشر. فقد اشتملت الثورة الأولى على انفجارات اجتماعية عنيفة وحرباً أهلية طويلة. أما الثانية: فقد انتهت بصعود أسرة جديدة مالكة إلى العرش الانجليزي، وقام إثرها عهد جديد تمخض عن استتباب الأمن والاستقرار، وتتوج بولادة برلمان انجليزي قائم على أساس حرية التعبير عن الرأي والمعتقد الديني[١]. إنّ البرجوازية الانجليزية ومؤرخيها ينظرون من ناحيتين مختلفتين إلى هاتين الثورتين. فالثورة الأولى بنظرهم: "عصيان عظيم" أما الثانية فهي: "ثورة مجيدة". وعلى هذا فإنّ من الصعب في ظل نظام قائم على العبودية الطبقية أن تتعلم الطبقة المضطهدة الطرائق المهذبة في التصرف، فهي

إذا ما استشاط غضبها تطرفت وقاتلت بالحجارة والنار"[1].

ثم جاءت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ التي وسمت بالسمة التقليدية فولدت الإرهاب التقليدي. ولما كانت الجمهورية الفرنسية الفتية التي انبثقت عن الثورة مهددة من الخارج والداخل، على حد سواء، ولم يكن بالإمكان تفادي أفول الثورة" إلا بتسديد الضربات الماحقة للقوى المضادة لها، لجأت إلى التطرف لحماية الوحدة الوطنية المهددة من الخارج والداخل، مما أفضى إلى موجة من الإرهاب سادت فرنسا بين آب ١٧٩٢ وحتى تموز ١٧٩٤[2].

إن التطرف في ردة الفعل الذي تسلكه الحكومات إزاء مواطنيها نتيجة حدث ما، قد يبدو مشروعاً من وجهة نظر الدولة، إلا أنه لا يعني بالضرورة أن يكون مقبولاً لدى مواطنيها، والذين قد يلجأون إلى طرق وأساليب لمناهضة "السلوك الحكومي" مما يدفع بالحكومات إلى استخدام الإرهاب لفرض "رهبة الدولة" على مواطنيها"[3]. هذا الشكل من أشكال التطرف يختلف بالضرورة عن الشكل الآخر للتطرف الذي يمارسه أفراد أو تمارسه جماعات، حيث تنتقل الحكومة أو الدولة من حالة التأثير إلى حالة المتأثر أو المتلقي. ولعلّ أكثر ما يثير القلق في هذه الحالة أن الأفراد أو الجماعات التي تتبنى أفكاراً متطرفة تبدأ بتنفيذ نشاطاتها الإرهابية مدعومة من دول خارجية، وفي هذه الحالة قد تجاوزت عقدة الخوف من رهبة الدولة، مما يجعلها مطلقة اليد في استخدام أقصى درجات التطرف، وهو الإرهاب لبلوغ أهدافها المرجوة. ففي مثل هذه الحالة يتكون الإرهاب ذو الشكل السياسي، وهو أخطر ما يمكن أن تصل إليه العملية السياسية في العلاقات الدولية[4].

ثانياً:- تطور الظاهرة الإرهابية:

أنعشت التناقضات الدينيّة والعرقية على مر التاريخ البيئة الملائمة للمتطرفين لممارسة أنشطتهم الإرهابية، ثم جاءت الأهداف السياسية للدول على اختلافها وتعارضها في الفترات اللاحقة لتتوج هيمنة العنصر الإرهابي كوسيلة من الوسائل الأساسية لضرب أهداف في الدول الأخرى"[5].

وغالباً ما تطلق كلمة "إرهاب" اليوم على كثير من الجرائم الواقعة ضمن إطار الحق العام، وعلى أعمال العنف المختلفة التي يتبناها أفراد كمحاولات الاغتيال التي يتعرض لها أشخاص لهم صفة سياسية، أو معنوية، أو أناس عاديون أبرياء، فضلاً عن أعمال التخريب التي تتعرض لها الممتلكات العامة، أو الخاصة كما تطلق كلمة إرهابي أو إرهابيين على الأشخاص الذين ينفذون تلك الأعمال، وعلى المجموعات والأقليات الدينيّة أو القومية التي تضرب من تعتبره عدواً لها ثم تختفي بسرعة، أو تقاوم طويلاً على ساحة الصراع، وترغم الطرف الآخر على خوض غمار صراع صعب باهظ الثمن طويل المدى[6].

تطورت الظاهرة الإرهابية عبر أجيال ثلاثة:

الجيل الأول: عبّر عن نفسه من خلال موجات الإرهاب ذات الطابع القومي المتطرف التي اجتاحت أوروبا منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الثلاثينيات من القرن العشرين، وكان القائمون بالإرهاب في الأغلب من الوطنيين المتطرفين، واعتمدوا أسلحة خفيفة. أما الجيل الثاني: فقد قدم نفسه من خلال موجات الإرهاب ذات الطابع الفكري أثناء الحرب الباردة، وكانت هذه الموجة في جوهرها أداة من أدوات الصراع

المنظمات المتطرفة في شرق أوروبا

بين الشرق والغرب. أما الجيل الثالث: فهو إرهاب يتسم بخصائص متميزة، ويختلف عن إرهاب العقود السابقة من حيث التنظيم والتسليح والأهداف. فمن حيث التنظيم: يتسم بغلبة النمط العابر للجنسيات. ولا تجمع أفراد هذا التنظيم قضايا قومية، ولكن تجمعهم عقيدة دينيّة أو سياسية محددة. كما ينتقل هذا التنظيم من مكان لآخر. مما يجعل من الصعب تتبعه أو استهدافه. أما من حيث التسليح فإنّ الإرهاب الجديد أصبح قادراً على استخدام منظومات تسليحية أكثر تطوراً وتعقيداً بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل. كما أضحت المواد المشعة والكيمياوية في متناول يد أعضاء هذا التنظيم لاستخدامها في ضرب المطارات ومحطات القطارات. وقد شكلت أزمة جرثومة (الجمرة الخبيثة) أبرز مثال على وقوع العالم تحت رحمة الإرهابيين[٨].

وهكذا فإنّ الإرهاب الجديد الذي يغذي فكره المتطرفون يعتمد مبدأ يقوم على فكرة أن الخوف الناتج عن الإرهاب، والذي هو شكل من أشكال العصيان المسلح اعتمد وسيلة من الوسائل القوية على الصعيد الدولي والداخلي. للوصول إلى الهدف المنشود. إذ أنّ الفعل الناتج عن العمل الإرهابي، وإن استهدف فئة صغيرة إلا أنّ الردع الناتج عنه كاف بالضرورة لإرهاب الفئة الأكبر. وبهذا المعنى لا يختلف الإرهاب عن الحرب الخاطفة التي لا تبيد إلا جزءً يسيراً من الجيش المهزوم. غير أنها كافية للقضاء على معنويات الجزء الأكبر وتحطيمه[٩].

المبحث الثاني:- أبرز المنظمات المتطرفة في شرق أوروبا:

أولا: - منظمة أيوكا (E.O.K.A) القبرصية - اليونانية:

نشأت هذه المنظمة على الأراضي القبرصية- اليونانية. وهي الجناح العسكري لحركة المقاومة الوطنية القبرصية ضد السيطرة البريطانية. وهي منظمة عسكرية. تولى زعامتها جيورجس غريفاس (Georges Grivias) عام ١٩٥٢. واسم المنظمة الكامل:

"Ethic organosis Kyprion Agoniston"

وتعني المنظمة القومية للمقاتلين القبارصة وتعرف اختصارا باسم أيوكا (E.O.K.A)[١٠]. عهد الأسقف مكاريوس (Makarios)[١١] زعيم الكنيسة الأرثذوكسية القبرصية - والذي أصبح فيما بعد رئيساً لجمهورية قبرص بعد الاستقلال عام ١٩٦٠- إلى جيورجيس غريفاس كما أسلفنا لقيادة المنظمة. ووضع مكاريوس كل موارد الكنيسة تحت تصرف المنظمة التي بدأت نشاطها عام ١٩٥٤ ضد القوات البريطانية ضمن استراتيجية تهدف إلى إخراج هذه القوات من الجزيرة القبرصية. ومن ثمّ ضمّها إلى اليونان من خلال تبنيها فكرة "الاينوسيس"[١٢] أي: توحيد الجزيرة مع اليونان[١٣].

بدأ البرنامج الثوري للمنظمة يقترب من التطرف في كانون الأول عام ١٩٥٥ عبر أعمال العنف التي بدأتها ضد القبارصة الأتراك، وهم مواطنون يقطنون الجزيرة القبرصية جنباً إلى جنب مع القبارصة اليونانية، وهكذا بدأت العيارات النارية تطلق من الخلف نحو الجنود البريطانيين والقبارصة الأتراك على حد سواء. أي أن المنظمة اعتبرت القبارصة الأتراك بنفس درجة القوات البريطانية المحتلة للجزيرة[١٤]، إن المنظمات التي تتبنى الكفاح المسلح لأجل انتزاع استقلال بلدانها من أية سيطرة أجنبية تكتسب الصفة الوطنية. غير أن انحرافها باستهداف مواطني بلدانها يجردها من الصفة. ويضفي عليها الطابع المتطرف، والذي عزز هذه النظرة قيامها بأعمال

عنف في النصف الأول من عام ١٩٥٨ عبر سلسلة من الهجمات استهدفت المدن القبرصية. فضلاً عن استهدافها للقبارصة الأتراك مما حدا بهؤلاء إلى الإشارة بإصبع الاتهام إلى أيوكا وإسباغ الصفة الإرهابية المتطرفة عليها. ومن ثمّ التشكيك بالنوايا القبرصية اليونانية في الحصول على الاستقلال وما بعده.

في عام ١٩٦٠ منحت بريطانيا الاستقلال للجزيرة القبرصية لذا تم حل منظمة أيوكا بموجب اتفاق الاستقلال مع بريطانيا. وتحولت إلى منظمة غير مقاتلة تدعى "أدما" وتعني الجبهة الديمقراطية الموحدة لإعادة البناء". ومهمتها إرسال البعثات الدراسية إلى اليونان للأعضاء الشباب للدراسة والتدريب العسكري ظاهرياً. أما فعلياً فأهدافها تنحصر في مضايقة حكومة الرئيس مكاريوس التي لم تحقق وعود ما قبل الاستقلال بالوحدة مع اليونان.

ظهرت المنظمة بشكل آخر وهو منظمة اكريتاس "AKRITAS" وأعضاؤها كانوا سابقاً مقاتلين في أيوكا. وعهد إلى هذا التنظيم كي يكون جيشاً سرياً لإرهاب الجالية القبرصية التركية.

في مطلع شهر أيلول عام ١٩٧١ عاد غريفاس زعيم أيوكا المنحلة إلى قبرص من اليونان، وأعاد بناء منظمة سرية أطلق عليها اسم أيوكا - ب - تمييزاً عن أيوكا السابقة. ولأجل تنفيذ تحذيرات المنظمة للحكومة القبرصية أقدمت على خطوات فعلية في سبيل ذلك. فأنشأت معسكرات لتدريب مجموعاتها الإرهابية. حيث شنت أيوكا -ب- سلسلة من العمليات العسكرية أضفت عليها الطابع الإرهابي المتطرف: إذ هاجمت مراكز الشرطة ومخازن أسلحة الجيش. فضلاً عن استهدافها الحكومة الشرعية القبرصية. فيما رفض الرئيس مكاريوس إعطاء أية تنازلات للإرهابيين. فهاجمت قوات الأمن القبرصية قواعد سرية تابعة لأيوكا - ب- ووضعت قوات الأمن يدها على مخططات تهدف إلى اغتيال الرئيس مكاريوس.

في شباط عام ١٩٧٤ توفي غريفاس. وفي حزيران من العام نفسه أصدر الرئيس مكاريوس أوامره بتصفية العناصر المؤيدة لأيوكا - ب - في صفوف القوات المسلحة ورجال الشرطة وموظفي الخدمات العامة. وبهذا انتهت هذه المنظمة.

ثانيا: منظمة تشرين الثاني اليونانية:

توصف هذه المنظمة بأنها الأكثر إرهابا ودموية في أوروبا. تأسست عام ١٩٧٣ في اليونان على خلفية قيام القوات المسلحة اليونانية باستخدام القوة العسكرية لسحق تظاهرات الطلبة اليساريين التي نظمت في ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٧٣ ضد الحكومة العسكرية اليونانية المدعومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك، حيث قتل ٣٤٠ طالباً فيما جرح نحو ٨٠٠ آخرين.

إنّ الفكر الذي تتبناه المنظمة يرتكز على الماركسية - اللينينية. وهي تتشابه في عقيدتها مع منظمات يسارية غربية متطرفة مثل: منظمة الألوية الحمراء الإيطالية. ومنظمة بادر ماينهوف الألمانية: التي نشطت في سبعينيات القرن العشرين. أما منظمة ١٧ من تشرين الثاني فقد ظلت تعمل بنشاط وفعالية حتى انهيار الاتحاد السوفييتي أوائل التسعينيات من القرن العشرين، ثم غيرت المنظمة فكرها وتبنت فكراً قومياً (هيلينيا). لتبرير نشاطاتها المتطرفة والإرهابية فارتبطت مع حركة الباسوك (Pasok). وهي حركة اشتراكية موالية للهيلينية. وربما يكون هذا السبب المباشر لتبرير عمليات اغتيال الدبلوماسيين الأتراك في إطار الصراع

بين تركيا واليونان على جزيرة قبرص. وهي بهذا تستهدف أصحاب الفكر المضاد لفكرها وعقيدتها. ومع مطلع التسعينيات من القرن العشرين وسعت المنظمة فعالياتها داخل دول الاتحاد الأوربي. ومن خلال سلسلة من أعمال التفجيرات والاغتيالات أظهرت المنظمة موقفها تجاه التغلغل الغربي الرأسمالي داخل اليونان فضلاً عن الحجج الآتية:-

١- مساندة الولايات المتحدة للحكومة العسكرية في اليونان التي حكمت بين عام ١٩٦٧ -وعام ١٩٧٥م.

٢- قمع المظاهرات من قبل السلطات اليونانية.

٣- الاستثمارات الأجنبية الكبيرة داخل اليونان.

٤- عضوية اليونان داخل منظمة حلف شمال الأطلسي.

٥- الهيمنة الأمريكية على الأمن الأوربي من خلال هيمنتها على حلف شمال الأطلسي[٣٥].

إنّ السمة المميزة لهذه المنظمة في نطاق عملياتها هي تجنب ضرب المدنيين قدر الإمكان، حالها حال المنظمات اليسارية المتطرفة في أوروبا. وذلك للحصول على الدعم الشعبي لفكرها وعقيدتها على عكس المنظمات اليمينية التي تنفذ عملياتها بشكل عشوائي دونما تمييز[٣٦].

سجل عام ١٩٩٩. وعلى الأخص شهري نيسان وحزيران نشاطا واضحا في عمليات المنظمة بلغ حوالي ٦٦ عملية، إذ أعطت عمليات القصف الجوي التي نفذها شمال الأطلسي ضد يوغسلافيا نهاية عام ١٩٩٨، ومطلع عام ١٩٩٩، الضوء الأخضر للمنظمة لتوسيع عملياتها ضد الأهداف الغربية في اليونان، ولعل مرد ذلك يعود إلى الترابط المذهبي الأرثذوكسي بين اليونان والصرب. وأبرز تلك العمليات هي الهجوم الذي شنه أعضاء في المنظمة على السفير الألماني في أثينا عام ١٩٩٩. وعلى ثلاثة مصارف غربية داخل العاصمة أثينا. ومن ثم اغتيال الملحق العسكري للسفارة البريطانية في أثينا في حزيران من عام ٢٠٠٠م، وذلك رداً على الدور الذي لعبه الانجليز في إطار الحملة العسكرية ضد يوغسلافيا[٣٦].

تتبع المنظمة استراتيجية في عملياتها تتضمن النقاط الآتية:-

١- يقوم أعضاء المنظمة بالهجوم على الأهداف من مسافة بعيدة وليست قريبة، شريطة أن يكون هنالك أفراداً مرافقين للأعضاء القائمين بالهجوم.

٢- يقوم أعضاء من المنظمة بتغطية نارية للأعضاء المهاجمين.

٣- الفشل في أية عملية من عمليات المنظمة مقبول إذا كان ضرورياً لتفادي وقوع أعضاء المنظمة في قبضة السلطات[٣٧].

لم تتمكن السلطات اليونانية من الإيقاع بأعضاء المنظمة إلا بعد سلسلة من العمليات الإرهابية شنتها المنظمة عام ٢٠٠٢م، وظلت الشرطة اليونانية تبحث عن رجل تعتقد أنه المدبر لعمليات الاغتيال. وأنه المفتاح الذي يقود إلى تتبع بقية أعضاء المنظمة. وهكذا تم إلقاء القبض على الكسندر جيوتوبولص (Alexander Gioto Poulos) وهو العقل المدبر لعمليات الاغتيال والتفجير. والبالغ من العمر (٥٩) عاماً مما دحض الاعتقاد السائد لدى السلطات اليونانية حتى ذلك الحين والذي يقول بأن الجيل المؤسس للمنظمة قد

انتهى. بالنظر لتقدم ذلك الجيل بالعمر، جدير بالملاحظة أن جيوتوبولص كان ناشطاً في المظاهرات الطلابية التي جابت شوارع باريس في عقد التسعينيات من القرن العشرين. وتلقى تدريبات عسكرية في كوبا. ومن ثم إلقاء القبض بعد عمليات تحقيق واسعة أجرتها السلطات اليونانية على ديمتريس كوفودنياس. كبير منفذي عمليات الاغتيال وواجه الاثنان حكماً بالسجن مدى الحياة[٢٨].

ثالثا:- منظمة نارودنايا فوليا (NRODNAIA VOLIA) الروسية.

لقد استولت البرجوازية على السلطة بالقوة ووطدتها عن طريق افتعال حرب أهلية. وعندما يستتب السلم تلجأ إلى جهاز أمني قمعي شديد التعقيد للحفاظ على سلطتها، لذا فإن استخدام " التخويف" أمر لا غنى عنه في العمل السياسي، أو الميداني. لمواجهة استبداد السلطة البرجوازية[٢٩]. هذا المبدأ استند اليه برنامج منظمة " نارودنايا فوليا - إرادة الشعب -. فعند تقديمها للتطرف والإرهاب في إطار برنامجها السياسي تبنت فكرة " أن العمل الإرهابي يعني تصفية رجال الحكم الأكثر ضرراً على مصالحها. وإن هدف الإرهاب يعني: تصفية رجال الحكم الأكثر ضرراً على مصالحها، وإن هدف الإرهاب هو: الحط من القوة الحكومية. وهدف الإرهاب أخيراً هو: تشكيل كوادر مدربة وقادرة على النضال[٣٠].

إن المنظمة التي تأسست في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحاول في برنامجها هذا توصيف التطرف والإرهاب على أنه شكل مشروع من أشكال الكفاح ضد السلطة القيصرية، مستغلة فكرة أن الإرهاب القيصري كان موجهاً ضد البروليتاريا، و(إن النظام القيصري كان يخنق العمال الروس الذين يناضلون من أجل النظام الاشتراكي)[٣١]. لذا أدرجت المنظمة القيصر الاسكندر الثاني (AlexanderII)، ووزير الداخلية فون بليف (Von Plehve). والجنرال تريبوف (Trepov) مدير شرطة العاصمة آنذاك على جدول أعمال الأهداف التي يجب تصفيتها. ففي الأول من آذار عام ١٨٨١ حمل أحد أعضاء المنظمة القنابل التي صنعها رفاقه، وتوجّه هو ورفاقه إلى رصيف قناة كاترين في العاصمة انتظاراً لمرور الموكب القيصري تمهيداً لشن الهجوم. وما أن ظهر الموكب حتى تقدم المهاجم من بين الصفوف المحتشدة ورمى القنبلة أمام مركبة القيصر، غير أن الأخير لم يصب. وفي هذه الأثناء تقدم أعضاء آخرون في المنظمة وألقوا قنابل بينهم وبين القيصر مباشرة فمزقت القنابل القيصر وأعضاء المنظمة. فكان لهذه العملية صدى مريعاً في روسيا[٣٢]. وعلى إثرها قامت أجهزة السلطة القيصرية بموجة من الاعتقالات الواسعة شملت أغلب أعضاء المنظمة. فانتهت المنظمة في صورتها هذه. غير أنها تجسدت بصورة ثانية من خلال تبني الثوريين الروس لأفكارها، وبعض قيادييها الذين لم تطلهم حملة الاعتقالات آنفة الذكر. لقد تبنى الثوريون الروس أفكار المنظمة من خلال الحزب الاشتراكي الثوري الروسي. حيث هذبوا مضامين المنظمة عن التطرف والإرهاب من خلال الترويج لفكرة عدم جدوى المبادرة الفردية لتبني موضوع التطرف والإرهاب وممارسته. ومن تحليلهم وفهمهم للأحداث آنذاك والمتضمن أنه إذا لم يكن للفوضويين الروس من أعضاء نارودنايا شيء يخسرونه عند ممارستهم التطرف والإرهاب الفردي: فإنّ لدى الثوريين

الروس أشياء عديدة يخسرونها. إذا أن التطرف وسيلة تنقلب على الذين يستعملونه. مما يؤدي إلى تأخير عملية تنظيم الجماهير تنظيماً ثورياً وخاضعاً لسلطة مركزية. فإذا كان حمل السلاح من قبل الأفراد. واستعماله ضد رجال السلطة كافياً لانتصار إرادة الثوريين الروس فلا يعود ثمة معنى لوجود الحزب. ثم هل باستطاعة الاغتيال أن يلقي الاضطراب في أوساط الحكم؟ وإن حصل ذلك فإن الاضطراب سيكون قصير المدى. إذ أنّ الدولة الرأسمالية لا تقوم على وزراء فقط. ولا يتم القضاء عليها بمجرد القضاء على وزرائها[٢٦].

وهكذا تجسدت أفكار المنظمة في التخلص من النظام القيصري من خلال برنامج الحزب الاشتراكي الثوري الروسي: الذي قاد ثورة أكتوبر الاشتراكية ضد النظام القيصري الروسي عام ١٩١٧ بعد أن نجحت منظمة نارودنايا فوليا قبله في تفكيك هذا النظام على مدى أكثر من نصف قرن مما هيأ الطريق أمامه لقلب نظام الحكم في روسيا.

الخاتمة

غالباً ما يؤدي الاختلاف والتباين في المصالح والرؤى من مستوى القول إلى مستوى الفعل، إلى ظهور النزاعات سواءً على مستوى العلاقات بين الدول أم على صعيد الوضع الداخلي للدولة. الأمر الذي يبرز الحاجة لاستخدام الوسائل المتاحة لفرض رؤية معينة أو مصلحة بعينها على الطرف الثاني في معادلة النزاع. والأمر المثير للقلق هو عندما تتكون (أغلبية) تؤيد اتجاهاً واحداً وكان هذا الاتجاه متطرفاً، فإن الرأي العام يظهر لنا استبداداً بدرجة رهيبة إزاء (الأقلية المعارضة) في الرأي، حينذاك لن يكون هنالك عائق أمام الأغلبية لاستخدام كافة الوسائل بما فيها الوسائل المتطرفة. أو الفعل الإرهابي للوصول إلى أهدافها.

كان التطرف أو المتطرفون فيما مضى يعدّون عنصراً غير متوقع حضوره أو تأثيره في الغالب. أما اليوم فقد أضحى التطرف والإرهاب المنبثق عنه الاعتبار الذي يحسب له تأثيره قبل الاعتبارات الأخرى. إن لم يكن عنصراً أساسياً في اللعبة السياسية في عالم اليوم، إذاً فإنّ الإرهاب الناشئ عن التطرف ليس حديثاً غريباً في مجتمعات الحاضر. بل هو من صنعها. وهو الإرهاب ذو الشكل السياسي المؤطر بعقيدة التطرف. وهو يشكل جزءاً أساسياً من الاستراتيجية السياسية التي تمارسها بعض الحكومات.

أظهرت لنا دراسة الظاهرة الإرهابية بشكلها السياسي نوعان من الإرهاب هما:-

١- إرهاب (الأقوياء) من حيث أنهم في السلطة. وبالتالي فإنهم أمام أمر محتم لاستخدام العنف والإرهاب كسياق أوحد لتثبيت الحكم ودعائمه في مثل حال الثورة الفرنسية والفترة اللاحقة لها.

٢- إرهاب (الضعفاء) من حيث أنهم ليسوا في السلطة. أو أنهم يطمحون إليها. وبالتالي فإنهم اعتمدوا التطرف والإرهاب كوسيلة في مثل حال الثورة الروسية.

أما ما يمكن ملاحظته عند دراسة المنظمات المتطرفة السابق ذكرها فهو:-

١- منظمة أيوكا القبرصية:

أ) كانت نشأة المنظمة في الأصل دينيّة. تبنتها الكنيسة الأرثذوكسية القبرصية للتخلص من

السيطرة البريطانية على جزيرة قبرص ويبدو هذا ظاهرياً.

ب) تطور هدف المنظمة من التخلص من السيطرة البريطانية ونيل الاستقلال إلى التخلص من الجالية التركية في قبرص، والتي ينتمي سكانها إلى قبرص أيضاً حالهم حال القبارصة اليونان. الأمر الذي هيأ المناخ الملائم لظهور النزاع التقليدي بين القبارصة الأتراك والقبارصة اليونان، مما أضفى على المنظمة الصفة المتطرفة باعتبارها تمارس الإرهاب والتطرف ضد مدنيين هم مواطنون بالأصل في نفس موطن القبارصة اليونانيين.

٢- منظمة ١٧ تشرين الثاني اليونانية:

أ- كانت فترة الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة مصدراً مهمًا لنشأة الفكر اليساري المساند للسوفييت ضد التغلغل الأمريكي، وفي أغلب الأحيان كان السوفييت هم من يتولى إنشاء المنظمات أو على الأقل تقديم الدعم للمنظمات المؤيدة لتوجهاتهم وفي المقابل كانت تفعل الولايات المتحدة كذلك.

ب- بعد انهيار الاتحاد السوفييتي غيرت المنظمة فكرها وعقيدتها، غير أنها استمرت في منهجها المتطرف مستهدفة كل من يخالف رأيها سواءً أكانت الحكومة في أثينا موالية للغرب أم معارضة لهُ، مستمدة من الفكر الهيليني مصدراً لتبرير نشاطاتها المتطرفة.

٣- منظمة نارودنايا فوليا الروسية:

أ- نشأت المنظمة في أحضان الفوضويين الروس، ومروجة لفكرة أن السلطة القيصرية تضطهد عموم الشعب الروسي لتبرير نشاطاتها المتطرفة ضد السلطة المركزية، واكتسبت الصفة المتطرفة من خلال تبنيها التطرف والإرهاب كوسيلة مشروعة في تحقيق أهدافها.

ب- تبنت الثورة الروسية عام ١٩١٧ الكثير من مضامين هذه المنظمة، واعتمدتها كأسلوب في مقارعة السلطة المركزية للقياصرة الروس، ونجحت المنظمة عبر أكثر من نصف قرن في تفكيك النظام القيصري، الأمر الذي سهل للثوريين الروس بزعامة لينين مهمة إزاحة القياصرة عن السلطة في روسيا. ■

●●●

الحواشي والمصادر

1) G.m. Trevelyan. History of England. (London: 1972.P.375-379.

٢) ليون تروتسكي، الإرهاب والشيوعية، تعريب جورج طرابيشي، (دمشق: د.ت) ص:٨٢، ٨٣.

3) Georges Lefebvre. The French Revaluation 1793 To 1799. Translated From The French by John Hall Stewart and James Friguy litt. (London:1964)Voll.II.P.74.116

٤) أدونيس العكرة، الإرهاب السياسي، بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية، (بيروت: ١٩٨٣)، ص: ٦٥.

٥) أدونيس العكرة/ المصدر نفسه:١٠-١٢.

6) Qin Xingda. International Terrorism: New Trends. منشور على شبكة المعلومات الدولية http://www.Ahram.org.eg/acpss/

٧) أدونيس العكرة/ المصدر نفسه: ١٢.

٨) أحمد إبراهيم محمود، الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية، السياسة الدولية، العدد (١٤٧) ك٢ ٢٠٠٢، ص:٤٥.

Abdel - Moneim Said. The NewTerrorism

منشور على شبكة المعلومات الدولية"

http://w Ahram.org.eg /Weekly.

٩) ليون تروتسكي، المصدر السابق:٩٥.

(*) ولد جيورجيوس في قبرص عام (١٨٩٨) ودخل الأكاديمية العسكرية، اليونانية وخدم في فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨-١٩٣٩). تولى زعامة منظمة أيوكا، ومن أبرز الداعين إلى قضية الوحدة مع اليونان. انتخب نائباً في البرلمان القبرصي بعد الاستقلال (١٩٦٠). توفي في ٢٧شباط ١٩٧٤. انظر:

Nancy Craws haw, The Cyprus Revolt ñan Account of The otruggle for union with Greece, (London:1978), p.17.

10) (Cyprus: For Harding Read Makarios). The Economist, (London:1970), No. 6595, p.17, Crawshaw, op.cit, p.90, 114.

(**) واجهت السلطات البريطانية خصماً عنيداً في قبرص هو ميخائيل مكوسكوس (Michael Mouskos) ولد في ١٣ آب ١٩١٣ تولى عدداً من المناصب الدينية، وكان في الوقت نفسه يقوم بتنظيم حملة تحرير قبرص، أصبح أسقفاً عام ١٩٤٨ وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٠ انتخب رئيساً للأساقفة في قبرص باسم مكاريوس الثالث، انتخب أول رئيس لجمهورية قبرص في ٢٦ كانون الأول ١٩٥٩). انظر:

Charles Foley, legacy of strife, Cyprus: Form Rebellion To Civil war, (England: 1964), p.25-26.

(***) وتعني الوحدة الإغريقية الكبرى، وحسب هذا المصطلح فإن كل الناطقين باليونانية يجب أن يضمهم اتحاد على اختلاف الدول التي يعيشون فيها، وهذه الفكرة كانت مستندة على أساس الدافع النفسي القائم على التشابه في اللغة والدين انظر:

J.A.R. Marriot, The Eastern Question - An Historical Study in European Diplomacy, (England: 1967).p.194.

11) Crawshaw, op.cit.p.114.

12) R.R. Denktsh, The Cyprus Triangle, (England: 1982),p.23.

13) Deuktash, ibid, p.23.

14) (Cyprus: For Harding Read Makarios),op.cit, p.34.

15) Foley, io.cit,p.166.

16) (Cyprus:This ides of February), The Economist, No. 6754, February, 1973, p.35.

١٧ إبراهيم عامر، قبرص، (بيروت:١٩٧٤)، ص:٣٩.

18) W.B.Fisher, The middle East and North Africa, (England,1975), p.341.

19) The Christian Science Monitor, in 22 July2002.

منشور على شبكة المعلومات الدولية"

http://www.Google.Com.Ajazzera.net/news/Europe/2002/9/9-5-7.htm/.

20) Michel, The 17 November: The Unknown Eenemy.

منشور على شبكة المعلومات الدولية"

"http://www.Google.Com

21) Michel, Obid,

نيبه الأصف حاني، (أوروبا الموحدة وتحديات السياسة الخارجية والأرمنية المشتركة)، السياسة الدولية، العدد (١٤٨)، نيسان ٢٠٠٢، ص ١٢٥.

٢٢) أحمد إبراهيم محمود، المصدر السابق، ص٤٦،
Michel, op.cit.

٢٣) Terrorism in Europe.: منشور على شبكة المعلومات الدولية

http://usinfo.state.govLregionalLeuroterror.htm.

٢٤) The Petersburg times, 19July,2002, منشور على شبكة المعلومات الدولية"

http://www.Google.Com.B.B.C.Arabic com.

٢٥) ليون تروتسكي، المصدر السابق:٨٩، ٩٠.

٢٦) أدونيس العكرة، المصدر السابق:٩٦.

٢٧) Ronald Seth, The Russain Terrorism, (London:1968)

منشور على شبكة المعلومات الدولية

"http://search.Yahoo.Com/Narodnaia Volia.

٢٨) Gerhard Rempel, Lenin and The Norodnili.

منشور على شبكة المعلومات الدولية"

http://Mars.ecent.edu.

كمال الدين الفارسي (ت ٧١٨هـ) رائد علم البصريات

أ. د. أبو بكر خالد سعد الله
القبة - الجزائر

"الولد الأعزّ الأكرم، والإمام الأفضل الأعلم، قدوة الأذكياء، ملك العلماء، كمال الملّة والدين". ذلك هو كمال الدين الفارسي كما وصفه أستاذه قطب الدين الشيرازي. يبدو في هذا الوصف غلو.... لكن من يطلع على البحوث الحديثة حول أعمال كمال الدين، سيما في حقل البصريات، سيجزم أنّ الأستاذ على حق وأنّ المؤرخين لم ينصفوا تلميذه.

وما يثبت ذلك أن بعض المؤرخين يطالبون اليوم - بعد ما تبيّنت لهم أبعاد إسهامات الفارسي - أن يسجل اسمه إلى جانب أسماء العلماء الأوربيين اللامعين أمثال الإنكليزي نيوتن (1727- 1642) Newton، والعالم الهولندي هيوغنس .(1695- 1629) Huygens يهدف هذا المقال إلى التعريف بمنجزات هذا العالم الفذ.

كمال الدين ... في سطور

هو الحسين بن علي بن الحسن الفارسي - المعروف بكمال الدين[1] - المتوفَّى في تبريز يوم الجمعة ١٩ ذي القعدة ٧١٨هـ /١٢ كانون الثاني ١٣١٩م عن عمر يناهز ٥٢ سنة[2]. وقد ولد الفارسي حسب بعض المؤرخين في شيراز الإيرانية نحو ٦٦٥هـ/١٢٦٦م. بينما يؤكد آخرون أنه ولد بأصفهان[3]. وقد تنقل كثيرًا طلبًا للعلم. وهكذا التقى في أصفهان بالرياضي والطبيب عبد الله بن محمد الخوام البغدادي (٦٤٣هـ - ١٢٤٥م ٧٢٤ - هـ / ١٣٢٤م)[4]، المعروف بابن الخوام. قال الفارسي إنه درس علم الحساب سنين متوالية وأزمنة متمادية على يدي الخوام. مضيفًا أنه درس كتاب "الفوائد البهائية في القواعد الحسابية" الذي ألفه ابن الخوام. واطلع على غيره من الكتب الحسابية فوجد جميعها مسائل متلقّنة غير مبينة وقضايا متلقنة غير مبرهنة. لهذا قام بشرح كتاب أستاذه وتوضيحه في مؤلّف سماه كتاب "أساس القواعد في أصول الفوائد"[5].

كما رحل الفارسي إلى تبريز والتقى الفلكي والرياضي قطب الدين الشيرازي (٦٣٤هـ/١٢٣٦م -٧١٠هـ/ ١٣١١م)[6] الذي تتلمذ على يدي نصير الدين الطوسي (٥٩٧هـ/١٢٠١م ٦٧٢ -هـ /١٢٧٤)[7]. لقد كتب الفارسي في مقدمة كتابه "تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر"[8] بأن

أستاذه الشيرازي أشار عليه بكتاب المناظر لابن الهيثم (٣٥٤هـ/٩٦٥م ٤٣٠ -هـ/١٠٣٩م)[٩]. وبعد دراسة مضمون هذا الكتاب ألف الفارسي "تنقيح المناظر" تحت إشراف الشيرازي والرياضي جمال الدين التركستاني (كان حياً عام ٧١٢هـ /١٣١٢م) واضع كتاب "الرسالة العلائية الحسابية".

يذكر الفارسي في " تنقيح المناظر" أنه تتلمذ على التركستاني، ويشير في كتاب "البصائر في علم المناظر"[١٠] إلى أن التركستاني طالع مخطوط "تنقيح المناظر" واقترح عليه إعداد ملخص له، ولهذا ألف " البصائر في علم المناظر". ومن جهة أخرى يقول الفارسي في مقدمة تنقيح المناظر إنه كان عازماً على شرح كتاب الإغريقي أبلونيوس في المخروطات. لكننا لا ندري إن كان قد أنجز مشروعه هذا؛ لأنّ المؤرخين لم يعثروا عليه.

وقد تساءل بعضهم عن مؤلفات الفارسي الأخرى بعد الانتهاء من تأليف كتاب "تنقيح المناظر"؛ لأن عمره كان آنذاك ٤٢ عاماً ولم يصلنا ما قد يكون ألّفه بعد ذلك التاريخ.

كما الدين يبدع في الرياضيات

ومن أهم مؤلفات الفارسي كتاب "أساس القواعد في أصول الفوائد"[١١] الذي يعتبره مؤرخو الرياضيات ذا أهمية بالغة؛ لأنه يلقي بعض الضوء على حال الرياضيات خلال عصر مؤلفه. والواقع أنّ هذا الكتاب يمثّل، كما أسلفنا، شرحًا لمخطوطة " الفوائد البهائية في القواعد الحسابية". أما المواضيع التي تناولها فهي الآتية:

- مقدمة في خواص الأعداد التامّة والزائدة والناقصة مع تعاريف مختلفة.
- خمس مقالات استعرضت علم الحساب وموضوع المعاملات وقوانين البيوعات ومختلف أنواع مساحات السطوع وحجوم المجسمات، مثل الكرة والأسطوانة والمخروط.

وقد أورد الفارسي هنا نقدًا لما جاء في كتاب "الكافي في الحساب" للكرجي (القرن ٥هـ/١١م)[١٢] حول تعيين قطر الدائرة المحيطة بمضلع، مؤيدًا في ذلك ما ذهب إليه كمال الدين بن موسى بن يونس الموصلي (المولود في ٥٥١هـ/ ١١٥٧م). وانتقد أيضا أستاذه ابن الخوام في بعض الأماكن وصحح أخطاءه، كما فعل مثلاً في حساب حجم الكرة.

وعالجت المقالة الرابعة علم الجبر والمقابلة، وواصلت المقالة الخامسة دراسة بعض المسائل المتعلقة بالجبر والمقابلة مقدمةً حلولاً تستخدم طرق التركيب والتحليل وطريقة الخطأين. وقد أوضح الفارسي أنَّ هناك علاقة بين الجبر والتركيب وبين الحساب والتحليل، معتبرًا طريقة التركيب طريقة جبرية، والتحليل طريقة بواسطتها لا نحتاج إلا للعمليات الحسابية لتحديد المجهول، وهو يعترف بأننا لا نستطيع حل جميع المسائل بهذه الطريقة. ويرى المؤرخون الذين درسوا إسهام الفارسي في نظرية الأعداد، أمثال رشدي راشد ومصطفى موالدي[١٣] بأن طريقة التحليل والتركيب كانت واضحة وناضجة في تفكيره، سيما في مجال تطبيقاتها الجبرية.

ولكمال الدين الفارسي كتاب آخر في الرياضيات كان مفقودًا إلى عهد قريب هو "تذكرة الأحباب في بيان التحاب" يتمثّل في مقالة حول الأعداد المتحابة، أكد المفهرسون القدامى على أهميته، قال عنها حاجي خليفة في كشف الظنون "وهو تأليف لطيف نفيس يدلّ على تبحر مؤلفه في العلوم الرياضية". وقد أدّت الأعداد المتحابة دورًا مهمًّا في الرياضيات العربية قدّم فيها الفارسي برهانًا جديدًا على نتيجة أثبتها ثابت بن قرة (نحو ٢٢١هـ /٨٣٣م ٢٨٨ -هـ/٩٠٢م). ولم يكن هذا الإسهام تكرارًا أو تعديلاً طفيفًا في أعمال سابقة بل أدخل أفكاراً جيدة تتعلق بنظرية الأعداد الطبيعية وتفكيكها. وقد بنيت طريقة الفارسي على

فكرة وحدانية تفكيك عدد طبيعي إلى قوى أعداد أوليّة. وهي النتيجة المسماة اليوم بالنظرية الأساسية للحساب.

وقدّم الفارسي في هذا الكتاب العددين المتحابين ٢٢٠ و٢٨٤. وكذا العددين المتحابين ١٧٢٩٦ و١٨٤١٦ المحصل عليهما باستخدام قاعدة توصل إليها ثابت بن قرة. في حين كان الأوربيون ينسبون هذه النتيجة إلى الرياضي السويسري ليونهارد أولر Euler (1707 -1783). وسموا العددين المذكورين عددي أولر المتحابين. ونحن نعلم اليوم أنَ هذه النتيجة أثبتها الفارسي قبل أولر بقرون. لكنه ليس من المؤكد أنه أول من برهن عليها. إذ يبدو أنها كانت معروفة أيضا لدى ثابت بن قرة. وكان الفارسي قد أسهم أيضا في نظرية الأعداد بالبحث في ما يعرف لدى الرياضيين بالنظرية الأخيرة لفيرما (1665-1601)Fermat التي أثبتت بصفة نهائية. بعد تعثرات دامت عدة قرون. عام ١٩٩٥من قبل الرياضي الإنكليزي أندريو وايلز Wiles. وكان الفارسي قد أشار إلى استحالة حل هذه المعادلة من أجل الأس ٤ دون تقديم برهان.

وقد عُني كمال الدين الفارسي بدراسة علم الضوء فاهتم بكيفية إدراك صور المبصرات. فلم يجد في كتاب إقليدس في المناظر. ولا في المؤلفات الأخرى معلومات كافية في هذا الموضوع فسأل أستاذه نصير الدين الطوسي عن رأيه في هذا الموضوع. قال الفارسي بهذا الشأن: "ولما رأيت في كلام بعض أئمة الحكمة. عن غير واحد منهم أنَّ الضوء يشرق من النيِّر على خطوط مستقيمة. فإذا صادفت سطحًا كسطح الماء انعكست عنه على زوايا مساويات للزوايا المضادة. ونفذت فيه على سمت الإشراق عليه. وانعطفت فيه على سمت الانعكاس عنه. فحدثت من ذلك أربع زوايا. هي زوايا: الاستقامة. والانعكاس. والنفوذ. والانعطاف. وكلها متساوية. فتحيرت في هذه الأحكام من أين مأخذها. وثبتُّ على هذه المقدمة. وتفرغت إليها مدة. فتفرعت عنها أحكام في الرؤية بالانعطاف جلها يخالف رأي نصير الدين الطوسي فزادت حيرتي فراجعت الحضرة (أي نصير الدين الطوسي)....

كمال الدين يبدع في البصريات

يُعدّ قوس قزح من غرائب ما نشاهده في الطبيعة بعد تساقط الأمطار. لماذا تظهر أقواس ملونة في بعض الأماكن عند انتشار أشعة الشمس بسبب قطرات الأمطار؟ ذلك هو السؤال الذي حيّر الفارسي وأمثاله. وللرد عن هذا السؤال كان من اللازم استخدام كل المصادر والمعلومات الفيزيائية. هناك مشكلان حسب الفارسي وهما:

- هل ينبغي اعتبار المسافة التي يقطعها الضوء عبر كل قطرة ماء أو عبر المجموعة كلها (الرذاذ أو الرش)؟
- هل ينبغي النظر في انكسار الضوء refraction أو في حيوده diffraction أو في الظاهرتين معاً؟

والقضية الجوهرية هنا ليست الضوء في حد ذاته بل تكمن في الدراسة التي أدّت إلى ظهور مبدأ فيزيائي بالغ الأهمية. إنَّ إدخال الرياضيات في وضعية تجريبية حيث استبدل قطرة الماء بإناء كروي الشكل مليء بالماء تمكن الفارسي من الحل المطلوب. وهو الحل الذي لم يتفطن إليه سابقوه منذ قديم الزمان.

ومنطلق هذا المبدأ هو المحاولة المبكرة للفارسي في شرح ظهور الألوان من خلال الضوء في قوس قزح. وهكذا أسهم الفارسي بأعمال في الضوء والكون وظاهرة قوس قزح. وكان منطلق هذا العمل سؤال وجّه إليه حول انكسار الضوء. وقد استمع الفارسي. كما أسلفنا. لنصيحة الشيرازي ودرس

كتاب المناظر لابن الهيثم، وتعمق في مفاهيمه. فجاء مؤلَّفه تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر مكمّلاً لما كتبه ابن الهيثم.

وكان الشيرازي آنذاك بصدد كتابة تعليق حول أعمال ابن سينا (٣٧١هـ/٩٨٠م ٤٢٨ - هـ/١٠٣٧م). والواقع أنَّ محتوى هذا الكتاب يتجاوز دور الشرح والمراجعة، إذ ذهب إلى حدّ إثبات أن البعض مما أقرّه ابن الهيثم من نظريات في البصريات خاطئة مقدمًا نظريات بديلة. ذلك أنَّ الفارسي كان من مؤيدي ما يسمى اليوم بالنظرية الموجية Wave theory للضوء، خلافًا لابن الهيثم، وهو يقول بهذا الصدد إنَّ حركة الضوء شبيهة بحركة الصوت وليست شبيهة بحركة الأجسام.

وقد قدّم الفارسي نظرية تفسّر ظهور قوس قزح، يراها المختصون أكثر إقناعًا من الناحية الرياضية، مقارنة بما جاء في عمل ابن الهيثم وابن سينا. بل يؤكد المؤرخون المعاصرون أنّ أول الأعمال المتناسقة علميًا للظواهر الضوئية هي أعمال الفارسي التي جاءت في خاتمة كتاب " تنقيح المناظر". والملاحظ أنَّ أعمال ابن الهيثم حول البصريات ظلّت شبه مجهولة من قبل العلماء العرب حتى مجيء الفارسي بعد ثلاثة قرون. وشاء القدر أن يقوم الغربيون في نفس تلك الفترة بدراسة وترجمة مؤلف ابن الهيثم إلى اللاتينية.

وكان ابن الهيثم قد رأى أنَّ الضوء الذي يصلنا من الشمس ينعكس عبر الغيوم قبل بلوغه أعيننا. فاقترح الفارسي نموذجًا يستخدم كرة زجاجية شفافة ملئت ماء، مبيّنًا أنَّ قوس قزح من أبرز المظاهر التي يبدو فيها انكسار الضوء. وحتى يدرس الفارسي وجود الألوان في قوس قزح، كان عليه التوصل إلى معرفة كيف تتشكل الألوان. غير أنّ الفكرة التي كانت سائدة قبل الفارسي لم تكن قادرة على تفسير هذه الظاهرة، إذ كانت ترى بأنَّ اللون يتشكل من مزج النور والظلام.

وهكذا تبيّن للفارسي من خلال تجربته أنّ الشعاع الضوئي القادم من الشمس ينكسر مرتين فينجر عن ذلك انعكاس أو أكثر يحدث بين الانكسارين. وكان يرى بأنه يمكن استخلاص كل مميزات قوس قزح بدراسة مرور أشعة الضوء عبر قطرة ماء في محيط رطب، مثلها الفارسي في تجربته بالكرة المليئة بالماء. ولاحظ أن لون القطرة يتغير بتغير سمكها عندما اكتشف أنّ الشعاع الضوئي المنكسر على السطح الخارجي للكرة ينطبق على شعاع آخر منعكس على السطح الداخلي، ثم يصل الشعاعان متداخلان إلى العين. وأشار إلى أنَّ نفس الظاهرة تحدث للصوت وتتعدّد التداخلات بتعدّد الأشعة. وهكذا اتضح للفارسي، خلافاً لسابقيه، كيف تتسبب كل قطرة ماء طائرة في انكسار وانعكاس الضوء القادم من الشمس. وفي هذا الإطار تميّز الفارسي باستغلال الهندسة كأداة لتجربته الفيزيائية. ومن ثم استطاع أن يقدّم قبل ثلاثة قرون النتائج التي توصّل إليها ديكارت (1650- 1596) Descartes ونيوتن (1727- Newton (1642 في الغرب[١٢].

وقد تبيّن لمحققي كتاب " تنقيح المناظر" أنَّ الخاصية الموجية للضوء والصوت كانت حاضرة في ذهن الفارسي: وهو من رواد هذه الفكرة القائلة إنَّ الضوء يتكوّن من أمواج كروية تنتشر في الجو وأنَّ الألوان ناجمة من أشعة انكسرت بأشكال مختلفة. واكتشف الفارسي أنَّ الألوان تظهر لأسباب عديدة، لكنها تتولد دائمًا من تداخل الضوء والمادة. لقد كانت ظاهرة التداخل من أهم انشغالات علماء القرن العشرين، ولا تزال تشغل بالهم إلى يومنا هذا. ومن جهة أخرى لاحظ الفارسي أنه لا يوجد فاصل بين لون ولون في طيف الألوان، وأنه يمكن اعتبار عدد الألوان غير منتهٍ . ذلك أنه يرى بأنَّ الضوء يتلوّن بالانعكاس والانكسار. وبالتالي فإنَّ التغيّرات التي تطرأ على الضوء هي العنصر

الوحيد المشترك في عالم الألوان وهو ما عبّر عنه بعد ذلك العصر بطول (سعة) الموجة amplitude, Wave

كمال الدين وحيود الضوء

وهناك ظاهرة أخرى خاصة بالضوء، وهي الحيود، ذات علاقة بزرقة السماء. لقد قدّم الفارسي التأويلات العلمية الأولى لهذه المسألة. وكان الكندي (١٨٥هـ/٨٠١م- ٢٥٢هـ/٨٦٢م) قد أعطى قبله تفسيرًا لزرقة السماء موضحًا أنّ هذا اللون ليس اللون الحقيقي للسماء، بل هو ناتج عن مزج اللون المظلم للسماء مع جزئيات الغبار المتطايرة في الجو التي صارت مضيئة بسبب انعكاس ضوء الشمس. لقد أكّد الفارسي هذه النظرية وفسّرها تفسيرًا فيزيائيًا.

وعلى الرغم من أنّ هناك من يشكّك في هذه الكفاءة العالية للفارسي في مجال البصريات وينسب البعض من أفكاره إلى أستاذه الشيرازي فإنّ مؤرخين، أمثال رشدي راشد قدّموا حججًا متينة تبيّن أنّ هذا الرأي غير معقول، بل يرى هؤلاء المختصون أنّ أفكار الفارسي حول الضوء كانت سابقة لأوانها في تاريخ العلوم، ولم يطوّرها اللاحقون فنسيت. ويذكر بهذا الخصوص أنّ فيدمان Wiedemann هو الذي تعرّف على مخطوطة تنقيح المناظر عام ١٨٧٦ بمكتبة ليدن، فنشر ملخصًا للكتاب ضمن تحقيق حول كتاب المناظر لابن الهيثم عام ١٩١٢. وقد أكّد بعد ذلك مصطفى نظيف هذا الرأي.

قال الشيرازي في تلميذه كمال الدين الفارسي: "الولد الأعزّ الأكرم، والإمام الأفضل الأعلم، قدوة الأذكياء، ملك العلماء، كمال الملّة والدين". فلا غرابة أن يتساءل المؤرخون الغربيون اليوم عن صاحب هذه النظريات، وعن أعماله التي لم تصلهم وأن يدرسوا ما عثروا عليه من مؤلفاته، سيما في حقل الفيزياء وعلم الفلك. ولا غرابة أيضًا أنّ يطالب بعضهم بأن يسجّل اسم الفارسي إلى جانب أسماء العلماء الأوربيين اللامعين الذين عملوا في نفس الحقل الذي اهتم به كمال الدين الفارسي، أمثال الإنجليزي نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧)، والعالم الهولندي هيوغنس Huygens (1629-1695).

•••

الحواشي

١- هنالك اختلاف طفيف في تسمية كمال الدين الفارسي، فحاجي خليفة مثلاً يسميه في كشف الظنون المحقق كمال الدين أبي الحسن الفارسي".

٢- اختلف المؤرخون بخصوص تاريخ وفاة الفارسي، فقال سوتر Suter إنّ هذا التاريخ هو ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، لكن ناسخ مخطوطة كتاب البصائر في علم المناظر، حسين بن حسن شهنشاه سمناني، وهو أحد طلاب الفارسي ومؤلف كتاب توضيح زيج أيلخاني، ذكر في نهاية المخطوطة بأنّ الفارسي توفي يوم ١٩ ذي القعدة عام ٧١٨هـ بتبريز، وكان قد عاش ٥٣ سنة.

٣- انظر مثلاً:

Megrr: L' Optique Jamil al Din al -Farisi, ED Septentrion Presses Universitaires de Lille, 1998.

٤- عاش ابن الخوام في بغداد وتوفي فيها، وقد تفقّه في الدين والطب والرياضيات وتتلمذ على نصير الدين الطوسي، وعمل طبيبًا ورئيسًا لأطباء بغداد، ولم يذكر المؤرخون سوى ثلاثة مؤلفات لابن الخوام هي: رسالة في فهم المقالة العاشرة من كتاب إقليدس، مقدمة في الطب، الفوائد البهائية في القواعد الحسابية، ومن جهة أخرى فإنّ بهاء الدين العاملي (٩٥٣هـ/١٥٤٧م 1031 -هـ/١٦٢٢م)،

استقى بعض المسائل التي أوردها في كتابه خلاصة الحساب من كتاب ابن الخوام دون الإشارة إلى اسم هذا الأخير. وقد اهتم الغربيون بمسائل ابن الخوام التي أوردها العاملي أيما اهتمام. فترجموها إلى الألمانية ثم إلى الفرنسية خلال القرن التاسع عشر. وحاول العديد من الرياضيين حلّها.

٥- أنظر: الموالدي. مصطفى: كمال الدين الفارسي وكتابه أساس القواعد في أصول الفوائد. وقائع الملتقى المغاربي الثالث حول تاريخ الرياضيات العربية. الجزائر ١-٣ ديسمبر ١٩٩٠م. نشر الجمعية الجزائرية لتاريخ الرياضيات. ١٩٩١م /٩٦.

٦- كان قطب الدين الشيرازي قاضيًا ومفسرًا وعالمًا بالطبيعة والرياضيات. ولد في مدينة شيراز في أسرة عرفت بالطب والتصوف. سافر قطب الدين إلى بغداد عام ٦٦٥هـ/١٢٦٨م. حيث اشترك في الحلقة العلمية لشرف الدين زكي البشكاني. ومن خلال ذلك استطاع قطب الدين أن يطلع على أعمال ابن سينا والرازي في الطب. ثم ترك قطب الدين بغداد متجهاً إلى مراغة عام ٦٦٠هـ وتتلمذ هناك على يد أستاذه نصير الدين الطوسي الذي كان يدير مرصد مراغة بعد أن اكتمل بناؤه. مكث قطب الدين في مرصد مراغة عدة سنوات حضر خلالها الحلقات العلمية التي كان يعقدها نصير الدين الطوسي حتى نصحه هذا الأخير بالتفرغ لدراسة الرياضيات والفلك. فأخذ بالنصيحة وجال في المنطقة يطلب العلم وينشره. فزار خراسان وقزوين وأصفهان وبغداد والأناضول وتبريز ومصر وسوريا إلى أن استقر في تبريز. اشتهر الشيرازي بانجازاته المتنوعة إذ أكمل العديد من التجارب الفلكية التي لم يكملها نصير الدين الطوسي. ودرس مسببات قوس قزح وكروية الأرض. وشرح النقاط الغامضة في مؤلفات أستاذه الطوسي. كما علّق على كتاب القانون لابن سينا. وقد ترك الشيرازي عددًا كبيرًا من المؤلفات معظمها في الفلك والطبيعة والطب. منها: كتاب شرح التذكرة النصيرية في الهيئة، وكتاب التحفة الشاهية في الهيئة. وكتاب الإدراك في نهاية الأفلاك. وكتاب التبصرة في الهيئة. ورسالة في حركة الدحرجة والنسبة بين المستوي والمنحني. وكتاب تحرير الزيج الجديد الرضواني. وكتاب بعض مشكلات المجسطي. وكتاب درة التاج لغرة الديباج. وكتاب نزهة الحكماء وروضة.... ورسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم.

٧- درس نصير الدين الطوسي علوم اللغة بعد أن أكمل دراسة القرآن الكريم. وبتوجيه من والده درس الرياضيات فأتقن علومها. كما درس الفقه والحديث عند أبيه وتوسّع فيهما. وظل يطلب العلم فهاجر إلى مدينة نيسابور التي كانت آنذاك مركز إشعاع علمي. قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان واصفاً نصير الدين الطوسي: هو أشهر علماء القرن السابع الهجري، وأشهر مؤلفيه إطلاقًا. وللطوسي مؤلفات عديدة متنوعة. نذكر من بينها: تحرير إقليدس. وتعليق على قانون ابن سينا. وأساس الاقتباس. وتجريد الاعتقاد، وديباجة الأخلاق الناصرية. ينبغي ألا يكون هناك خلط بين نصير الدين الطوسي والرياضي الفلكي المظفر بن محمد الطوسي، الملقب بشرف الدين الطوسي (القرن ٧هـ/ ١٣م).

٨- يحتوي هذا الكتاب. إضافة إلى أجزاء كتاب المناظر لابن الهيثم. على كتاب حالة قوس قزح وكذا دراسة حول مصدر الألوان. والجدير بالذكر أنه لا يوجد تحقيق لهذا الكتاب لحد الآن. يقول بروكلمان: إنّ هذا الكتاب قد ألّف عام ١٣٠٠م. لكن يبدو أن الأصح هو أنه ألف بين عامي ١٣٠٢م و ١٣١١م. انظر:

Wiedmann E: Zur ibn al-Haitam Optik. Archiv.
Fur die Geschichte der Arabische
96n Naturwissenschaften und der Teechnik, 3.1912 .3-4.

٩- يعُد الحسن بن الهيثم من أعظم علماء الرياضيات والفيزياء. فهو مؤسس علم البصريات. كما انشغل بالفلسفة والطب والتشريح. وبلغ في ذلك مكانة رفيعة. سيما تشريح العين. وعرف ابن الهيثم بغزارة إنتاجه العلمي. وبلغت شهرته أركان العالم الإسلامي. وأهم ما اشتهر به ابن الهيثم انجازه في البصريات إذ إنه أول من وصف أجزاء العين وعملية الرؤية بدقة. مفندًا بذلك الرأي الإغريقي القائل بأن الرؤية تتم بخروج شعاع من العين وسقوطه على الأشياء التي تتم رؤيتها. لقد أثبت ابن الهيثم أن المنشور الضوئي يمرّ وينتقل من الأشياء إلى العين فيصل إلى الشبكية. كما درس نفاذ الضوء من الأوساط المختلفة فاكتشف قوانين إنكسار الضوء وإنعكاسه، والعلاقة بين زاوية سقوط الضوء وإنكساره. وقام ابن الهيثم بتجارب علمية حول تحلل الضوء إلى ألوانه المعروفة بألوان الطيف. ترك ابن الهيثم مؤلفات عديدة (الرياضيات والفلك والبصريات والطب والتشريح)، نذكر من بينها: كتاب المناظر. ورسالة مصادرات أو إقليدس. ورسالة حل شكوك إقليدس. ورسالة مساحة المجسم المكافئ. ورسالة تربيع الدائرة. ورسالة استخراج أضلع المكعب. ورسالة علل الحساب الهندي. ورسالة التحليل والتركيب. ورسالة حساب الخطأين. وكتاب الشكوك على بطليموس. ومقالة المرايا المحرقة بالدوائر. ومقالة المرايا المحرقة بالقطوع. ومقالة الكرة المحرقة. ومقالة كيفية الإظلال. ومقالة عمل البنكام. وتقويم الصناعة الطبية. ورسالة تشريح في العين وكيفية الإبصار.

١٠- كتاب البصائر في علم المناظر هو مختصر كتاب تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر. ويبدو كتاب البصائر في علم المناظر هو آخر ما ألف الفارسي.لكن ذلك غير مؤكد لأنّ الفارسي ذكر في كتابه التنقيح أنه ينوي السعودة مجدداً إلى كتاب المخروطات لأبولنيوس (٢٨٢-١٨٠ قبل الميلاد).

١١- ألف الكتاب بين عامي ١٢٨٤م و ١٣٠١م في أصفهان.

١٢- كان الكرجي من أبرز علماء عصره علماً أنّ هناك من يسميه الكرخي (بالخاء) . والواقع أنّ الفرق بين الجيم والخاء في التسميتين الكرجي والكرخي ينجرّ عنه نسبة صاحبنا إلى الكرج (الإيرانية). أو الكرخ (العراقية). عاش الكرجي في بغداد وبها توفي في عهد فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف. اشتغل الكرجي بالحساب والجبر فكان يميل إلى تقديم البراهين الرياضية في مختلف أعماله. وتوصل إلى قوانين ونظريات رياضية عديدة ما زالت تستعمل لحد الآن. من مؤلفاته: الكافي في الحساب. وشرح لكتاب إقليدس. وكتاب البديع في الجبر. وكتاب الفخري في الجبر والمقابلة (الذي أهداه إلى فخر الملك). وكتاب الكافي في الحساب من أهم وأشهر الكتب التي ألفت في علم الحساب. وهو يُعنَى بأمور الحياة العامة والحساب العملي كحساب الزكاة والوصايا. ترجم الكتاب إلى اللغة الألمانية عام ١٨٧٨م وحققه سامي شلهوب (معهد التراث العلمي العربي. حلب) عام ١٩٨٦م.

١٣- انظر المرجعين:

- راشد. رشدي: تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٨٩م.
- الموالدي. مصطفى: طريقتا التحليل والتركيب في حل المسائل الرياضية من خلال بعض المخطوطات والمؤلفات العربية. مجلة تاريخ العلوم العربية. المجلد١٢. العددان ١ . ٢. ٢٠٠١. ص: ٦٥ -٩٠.

١٤- يكون عددان طبيعيان متحابين إذ كان مجموع قواسم كل منهما يساوي العدد الآخر.

١٥- يعدُّ أولر لدى الرياضيين المعاصرين واحداً من ألمع الرياضيين الذين عرفهم التاريخ القديم والحديث. وقد تميّز أولر بحدة الذاكرة وبمواصلة اكتشافاته الرياضية حتى بعد فقدان البصر في عام ١٧٦٨.

16- O'Connor J.J.& Robertson E.F.: Kamal al- Din Abu'l Hasan Muhammad Al- Farisi. in http://www-history.mcs.st-andrews.ac.uk/history/Mathematicians/Al-Farisi-.html

17- Hogendijk J.P.: Thabit ibn Qurra and the study of the history of amicable numbers 17296. 18416. Historia Math.. 12.3.1985. pp.269-273.

١٨- ذاع صيت وايلز بشكل منقطع النظير عام ١٩٩٥م عند نشر البرهان على نظرية فيرما في عدد كامل من المجلة الأمريكية:

Annals of Mathematics: Wiles A. Modular Elliptic Curves and Fermat's Last Theorem. Annals of Mathematics.3.may 1995.

١٩- يعود الفضل لابن سهل (القرن ١٠م) في اكتشاف انكسار الضوء لأول مرة. ذلك ما يذكره بنفسه في مؤلفه "كتاب الحراقات".

٢٠- الحيود يعني انحراف موجة ضوئية من خلال سطح كائن غير شفاف. ومن ثمّ فهو سلوك من سلوكات الأمواج عند اصطدامها بحواجز غير شفافة تماماً. إن تأثير هذه الحافة يكون مهملاً عندما يكون الكائن ضخماً. علماً أن مدى التأثير يتعلق بالضوء النافذ. ويتميز الحيود بأن الموجة المصطدمة بالحاجز غير الشفاف لا تحافظ على كثافتها وفق قوانين الضوء الهندسي. نلاحظ أخيراً أنّ الحيود يشاهد من خلال الضوء والصوت والأمواج والنترونات والأشعة الصينية والمادة.

٢١- قدم نيوتن فكرته حول قوس قزح في محاضراته حول البصريات خلال المدة ١٦٦٩-١٦٧٢ بجامعة كمبريدج. تم نشرها لأول مرة بشكل مختصر عام ١٧٠٤ في كتاب البصريات Optics.

٢٢ انظر مثلاً:

22- Boyer C: The ranbow: From myth to mathematics. New York. 1959. pp.127-129.

٢٣ انظر مثلاً:

23- wiedemann E: Zu ibn al Haitam: Optik. . Fur die Geschichte der Arabischen Naturwissenschaften und der Teechhnik. 3. 1912.pl.

٢٤ نظيف. مصطفى: الحسن بن الهيثم. بحوثه وكشوفه البصرية. القاهرة. ١٩٤٣م.

٢٥- انظر:

Megri K. Les premirs pas d'une conception moderne de l'hypothese ondulatoire dans l' oeuvre optique de Kamal al - Din al - Farisi. 6eme Colloque Maghrebin sur l'Histoire des Mathematiques Arabes. Ecole Normale superieure de Kouba. Alger. 20-22November 2000.

٢٦- لا زال الغرب إلى اليوم يرى أن اكتشاف ظاهرة الحيود قد تمت على يد غريمالدي Grimaldi عام ١٦٦٥م، وأنه تم تفسيرها تفسيراً صحيحاً كسلوك موجي من قبل هيوغنس. وأن الظاهرة درست فيما بعد من طرف فرينل Fresnel وفرونهول Fraunhoffer على إثر التجربة التي قام بها يونغ Young المسماة بثقوب يونغ. انظر أيضاً كتاب هيوغنس الصادر عام ١٦٧٨ م الذي عارض فيه فكرة نيوتن الخاصة بطبيعة الضوء:

Huygens Ch . Traite de la lumiere. Wd.1920. Gauthier Villars. Paris.

المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

- تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب، راشد رشدي . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩م.
- نصوص لتاريخ الأعداد المتحابة وحساب التوافقات، راشد رشدي، مجلة تاريخ العلوم العربية، مج٦، معهد التراث العلمي العربي حلب، ١٩٨٢م.
- طريقتا التحليل والتركيب في حل المسائل الرياضية من خلال بعض المخطوطات والمؤلفات العربية، مصطفى الموالدي، مجلة تاريخ العلوم العربية، مج١٢، العددان ١، ٢، ٢٠٠١م.
- كمال الدين الفارسي وكتابه أساس القواعد في أصول الفوائد، مصطفى الموالدي، وقائع الملتقى المغاربي الثالث حول تاريخ الرياضيات العربية، الجزائر ١-٣ ديسمبر ١٩٩٠. نشر الجمعية الجزائرية لتاريخ الرياضيات، ١٩٩١م، ص: ٩٣-١٠١.

المصادر الأجنبية:

- Agargun A.G.& Fletcher C.R.: Al ñ Farisi and the fundament theorem of arithmetic. Historia Math., 21,2, 1994, pp. 162-173.
- Mawaldi M.:L'Algebre de Kamal Al-Din Al-farisi, Edition critique, analyse Mathematique et etude historique, these de doctorat, Universite La Sorbonne nouvella, 1989.
- Megri K: Les premirs pas d'une conception moderne de l'hypothese ondulatoire dans l' oeuvre optique de Kamal al ñ Din al ñ Farisi, 6eme Colloque Maghrebin sur l'Histoire des Mathematiques Arabes, Ecole Normale superieure de Kouba, Alger, 20-22November 2000.
- O'Connor J.J.& Robertson E.F: Kamal al- Din Abu'l Hasan Muhammad Al- Farisi. in htt://www-history.mcs.st-andrews.ac.uk/history/Mathematicians/Al-Farisi-.html
- Raced R.: Nombers amuables, parties aliquots et numbers figures aux XIIIeme et XIVeme sueces, Arch. Hist. Exact Sciences, 28.2,1983,pp. 107-147.
- wiedemann E: Zur ibn al Haitam: Optik, Archiv. Fur die Geschichte der Arabischen Naturwissenschaften und der Teechhnik, 3, 1912.

من مؤلفات الفارسي

١- كتاب البصائر في علم المناظر، مخطوط.

٢- أساس القواعد في أصول الفوائد.

٣- تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٤٧هـ.

٤- تذكرة الأحباب في بيان التحاب، نجد نص التذكرة في: راشد رشدي: نصوص لتاريخ الأعداد المتحابة وحساب التوافقات، مجلة تاريخ العلوم العربية، مجلد٦، معهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٨٢م.

٥- الهالة وقوس قزح.

٦- رسالة في أمر الشفق.

رؤية فلكية تراثية على التقويم الإسلامي

د. يعرب قحطان عبد الرحمن الدوري
جامعة صنعاء - اليمن

تناولنا في هذه الدراسة التقويم الإسلامي (الهجري) باعتباره قمري وحسابي التصنيف، وذكرنا فيه نظام التقويم، مع بيان السنة البسيطة والكبيسة، والشروط العلمية لرؤية الهلال، وأسماء الأشهر الإسلامية (الهجرية) وطول السنة، إضافة إلى خلاصة ومناقشة التقويم الإسلامي (الهجري).

المقدمة:

يعتبر التقويم وسيلة هامة من وسائل ضبط الزمن. وبدونه لا يمكن التخطيط أو القيام بعمل ما في المستقبل. حيث تمكنت الأمم السالفة من ضبط القواعد اللازمة لوضع وتطوير التقويم الخاص بها. وما التقاويم التي تستخدم اليوم إلا نتاج تطور التقاويم التي أُستخدمت في ذلك الزمان.

ومن التقاويم التي استخدمت من قبل: التقويم البابلي. والمصري. والروماني القديم الذي تطور إلى اليوناني ثم الغريغوري. والسرياني. والفارسي. والهندي. والعبري. والهجري (الإسلامي). والصيني.

لقد صنفت التقاويم بطرق مختلفة. فمن حيث اعتبار الشمس والقمر ذكروا التقويم الشمسي كالغريغوري. والقمري كالهجري. والقمري - شمسي كالصيني. ومن حيث اعتبار الحساب والفلك ذكروا التقويم الحسابي كالغريغوري والإسلامي (الهجري) والعبري. والفلكي كالصيني والهندي.

تتجلى أهمية التقاويم في استخداماتها لأغراض كثيرة منها: تحديد التواريخ والظواهر الفلكية الدورية كالشهور والفصول والسنين. والظواهر المناخية والطبيعية كالطقس والمد والجزر والزلازل والبراكين والكسوف والخسوف. والحوادث التاريخية. والمواسم المدنية كالأعياد والعطل والإجازات.

إضافة إلى ذلك ضبط بيانات مهمة لها صلة

بالإنسان. كتحديد أوقات الصلاة والصيام والحج ومواسم الزراعة والحصاد وحالات الميلاد والوفاة.

ولقد عُني التقويم الإسلامي (الهجري) بهذه الأمور فأرخ حقباً زمنية هامة في حياة العرب والمسلمين تعتبر بداية عصر النهضة للحضارة الإسلامية الكبرى.

التقويم اصطلاحا:

استعمل العرب والمسلمون وغيرهم من الأمم كلمة التقويم، والرزنامة، والنتيجة، وكلها في معنى تبيان وضبط التاريخ واليوم، وكلمة رزنامة فارسية معناها اليوم والجريدة، باعتبارها صحيفة يومية تصدر باسم يوم معين وتاريخ محدد.

فقد ورد في مختار الصحاح[1] مادة (قوم):قَوّمَ السّلعةَ تقويماً، وأهل مَكّةَ يقولون: استَقَامَ السّلعةَ، وهما بمعنى واحد.

والاستقامةُ: الاعتدال، يُقالُ: استقامَ لهُ الأمرُ، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾[2]، أي في التوجه إليه دون الآلهة. و (قَوّمَ) الشيء تقويماً فهو (قويم) أي مستقيم.

وقد شاع استعمال لفظة (التَّقييم) في معنى (التّقويم)، ونجدهم يقولون: تقييم الوظائف، وتقييم الأعمال، وتقييم السلع، وهي من المغالطات الشائعة، والاستعمال العربي لم يعرف إلا مادة (قوّم).

ويقال: تقويم البلدان، أي بيان طولها وعرضها وما يتعلق بها. فعلينا أن نتدارك هذه الكلمة الجديدة باستعمال (تقويم) لا (تقييم)، والاستقامةُ في كلام أهل مكة: التَّقْويم[3].

جاء في لسان العرب[4]: في حديث عبد الله بن عباس(رضي الله عنهما): إذا استَقَمتَ بِنَقْدٍ فبعتَ فلا بأسَ، وإذا استقَمتَ بنَقدٍ فَبعتَهُ بنَسيئَة فلا خيرَ فيهِ فهو مَكروه. قال أبو عبيد: قوله إذا استقمت يعني قوّمت، وهذا كلام أهل مكّة يقولون: استقمتُ المتاع أي قَوّمته.

والقيمَةُ: ثَمَنُ الشّيء بالتّقويم، تقول: تَقاوَموهُ فيما بينهم[5]، وفي الحديث الشريف، قالوا: يا رَسولَ اللهِ لو قوّمت لنا، فقال ﷺ: ((اللهُ هُوَ المُقَوِّمُ))، أي: لو سَعّرتَ لنا، أي: حَدّدتَ لَنا قيمَتَها[6].

والقائمُ بالدِّين: المُستمسك به الثَّابتُ عليه، وفي الحديث: إنَّ حكيم بن حِزام قال: بايعتُ رسول الله ﷺ أن لا أخرَّ إلا قائماً، قال له النبي ﷺ: "أمّا من قِبَلنا فلا تَخِرُّ إلا قائماً"، أي: لسنا ندعوك ولا نبايعك إلا قائماً، أي: على الحق، قال أبو عبيد: معناه بايعتُ أن لا أموت إلا ثابتاً على الإسلام، والتمسُّك به، وكلُّ من ثبتَ على شيء وتمسك به فهو قائمٌ عليه[7].

وقال تعالى: ﴿لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾[8]: أي مواظباً مُلازماً على الدِّين. وقيل في ((الخليفةِ)) هو القائم بالأمر، إذا كان حافظاً له متمسكاً به.

و((القَيُّوم والقَيَّامُ)) من صفات الله تعالى، وأسمائه الحسنى، وهو المُدبِّرُ أمرَ خلقه في إنشائهم ورزقهم وعِلمِه بأمكنَتِهم، وقد أجمع اللغويون على كلمة التَّقويم)) بمعنى الرُّزنَامَة.

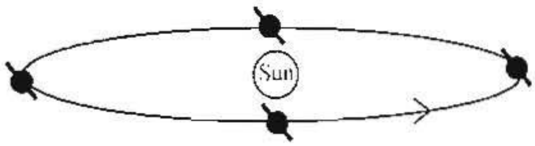
الأرض والشمس والقمر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض، فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهنّ من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن

والخراب. فهذه أربع ثم قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ❁ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[٢١]: لمن سأل. قال: وخلق يوم الخميس السماء. وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة. إلى ثلاث ساعات بقيت منه. فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال من يحيا ومن يموت. وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس. وفي الثالثة آدم أسكنه الجنة. وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة. ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش. قالوا: قد أصبت لو أتممت. قالوا ثم استراح. فغضب النبي(ﷺ) غضباً شديداً. فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ❁ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[٢٢])[٢٣].

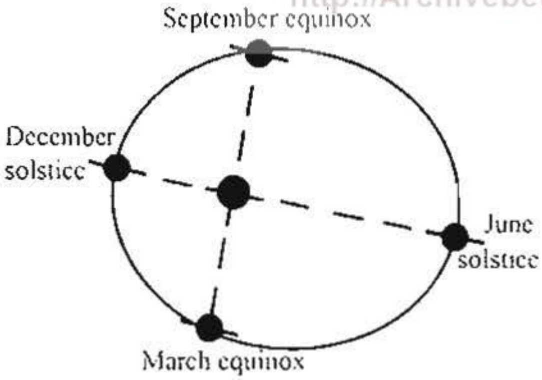
يتبين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة. فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما. عدا الملائكة وآدم. مخلوقة قبل خلق الله الشمس والقمر. وكان ذلك كله دون ليل أو نهار. إذ كان الليل والنهار اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك.

وكما هو معروف فإنَّ للأرض حركتان. الأولى محورية عكس عقارب الساعة وبزاوية ميلان مقدارها ٢٣.٥ درجة. والثانية تدور حول الشمس بعكس عقارب الساعة أيضاً في مدار بيضوي الشكل. حيث الشمس تشرق من جهة شرق الأرض وتغرب من جهة غربها. وإن كليهما يدور بمستوى المدار الشمسي كما هو مبين في الشكل(١).



الشكل (١) المدار الشمسي

وعندما يكون محور الأرض باتجاه موازٍ للشمس يحدث الانقلاب الشتوي في ديسمبر (كانون الأول). والانقلاب الصيفي في يونيو(حزيران). وعندما يكون نصف قطر الشمس عامودياً على محور الأرض يحدث الاعتدال الربيعي في مارس (آذار). والاعتدال الخريفي في سبتمبر (أيلول)[٢٤]. كما أن أقرب نقطة أثناء دوران الأرض إلى الشمس تسمى بالحضيض الشمسي. بينما تكون أبعد نقطة عن الشمس أثناء دوران الأرض تسمى بالأوج الشمسي. والشكل (٢) يوضح موقع الانقلابين والاعتدالين في أوقات محددة زمنياً من السنة.

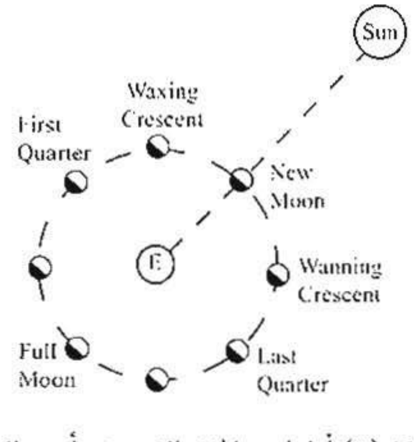


شكل (٢) الانقلابان: الشتوي (أقصى اليسار) والصيفي (أقصى اليمين) والاعتدالان: الخريفي (أعلى) والربيعي (أسفل) الشمسي

أما القمر فيعتبر أحد توابع الأرض. وأقرب الكواكب إليها. يظهر لسكان الأرض مُشرقاً بانعكاس ضوء الشمس عليه. وللقمر حركتان.

الأولى تدور حول الأرض عكس عقارب الساعة مسببةً رؤية القمر بأشكال أو منازل مختلفة. حيث للقمر ٢٨ منزلة على قدر ٢٨ يوماً وفي اليوم ٢٩ الأخير يحدث المحاق للقمر ليكتمل الشهر القمري[١٣]. فعندما يكون القمر بين الشمس والأرض يحدث الاقتران[١٤]. وبعد ذلك يستمر القمر في حركته حول الأرض مسبباً ولادة الهلال في أول الشهر القمري. وتكون رؤيته صعبة في أول ظهوره بسبب إضاءة الشمس الغالبة على إضاءة القمر (الهلال) حديث الولادة. حيث يُرى الهلال جهة الغرب، إلا إنه في الحقيقة يشرق القمر من الشرق ويغرب من الغرب.

وبتوالي الأيام يزداد القمر عمراً. أي تزداد الجهة المضيئة له تدريجيا. حتى يصبح بدراً عندما يكون القمر على امتداد الشمس والأرض، أي أن تكون الأرض بين الشمس والقمر[١٥]، أما الحركة الثانية فهي المحورية من الغرب إلى الشرق باتجاه عقارب الساعة، وهناك حركة دوران القمر حول الشمس مشكلاً نظاماً ثنائياً مع الأرض بدورانهما حول الشمس. والشكل (٣) يوضح ظاهرة ولادة الهلال بعد الاقتران وأشكال القمر.



الشكل (٣) أطوار ومنازل القمر تبدأ من اليسار إلى اليمين مع خط الشمس- الأرض: التربيع الأول ثم البدر ثم التربيع الثاني وأخيراً المحاق.

الكرة السماوية:

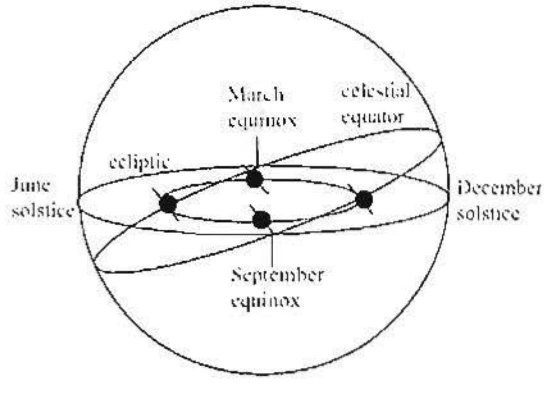
إن الفترة التي تتم فيها الأرض دورةً واحدةً حول محورها هي اليوم، وهو إما نجمي أو شمسي. فاليوم النجمي هو المدة الواقعة بين مرورين متتاليين لنجم معين بخط الزوال الجغرافي لمكان ما على الأرض. ويكاد يساوي فترة دوران الأرض حول محورها. ومعروف أن خط الزوال الجغرافي للمكان هو المستوى الرأسي المار به والقطبين الجغرافيين[١٦]. ومنه الشهر النجمي وهو الوقت الذي يلزمه القمر لإتمام دورة واحدة حول الأرض ويقدر بـ٢٧يوماً و٧ ساعات و٤٣دقيقة و١١,٥ثانية. أي ما يعادل٢٧,٣٢١٧يوماً وتكون منظومة القمر والأرض قد أتمت ٢٧ درجة في دورانهما حول الشمس. ولم تُتم دورة كاملة حول الشمس. وعندئذ تحسب السنة النجمية ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و١٠ ثوانٍ أي ما يعادل٣٦٥,٢٥٦٤يوماً، أما الزمن الفاصل بين ولادة قمرين متتاليين، فيسمى الشهر الاقتراني (الحقيقي) وطوله ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٢,٤ ثانية أي ما يعادل ٢٩,٥٣٠٦يوماً[١٧].

وأما اليوم الشمسي فهو المدة الواقعة بين مرورين متتاليين بمركز الشمس بخط الزوال الجغرافي. وهو أطول من اليوم النجمي بنحو ٤ دقائق. ولأنّ مدار الأرض حول الشمس بيضوي الشكل. فاليوم الشمسي لا يكون متساوياً في المكان الواحد على مدار السنة إلا في الأماكن على خط الاستواء. فلا يصح اتخاذه قياساً للزمن. ولعلاج ذلك أخذ متوسط الأيام الشمسية للمكان طول السنة، وافترض أن الشمس تسير سيراً منتظماً. أي تقطع مسافات متساوية في أزمنة متساوية (عملاً بقانون كبلر الثاني)[١٨]. وتكون الفترة بين مرورين متتاليين لها بمستوى الزوال الجغرافي

الثابت. وهذا المتوسط يسمى (اليوم الوسطي) أو (اليوم المدني) الذي يعتمده عامة الناس في تعيين ساعة الوقت. أما الفلكيون فيتبعون اليوم النجمي[٦].

وبخصوص المدة التي تُتم فيها الأرض دورة كاملة حول الشمس مبتدئة من نقطة معينة في مدارها إلى أن تعود إليها فتسمى بالسنة الشمسية. وتقاس السنة بالفترة بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة معينة في الاعتدال الربيعي، حيث الفترة بين مرورين متتاليين للشمس بالنسبة للاعتدال الربيعي لا تساوي سنة شمسية. لأنّ موقع الاعتدال يتباطأ في دورانه باتجاه عقارب الساعة في فترة مقدارها ٢٥٨٠٠ سنة. فتكون السنة أقل من حقيقتها، ولهذا أصبح لزاماً أخذ متوسط الفترات الزمنية بين مرورين للشمس بالنسبة للاعتدال الربيعي. وتسمى بالسنة المدارية وطولها ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية. أي ما يعادل ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً. وعليه فإن السنة المدارية أقل من السنة النجمية بحوالي ٢٠ دقيقة. وللإشارة فإن السنة المدارية الشمسية هي التي تتم فيها دورة الفصول[٧].

لقد استخدمت الأمم القديمة نموذج المركز الأرضي. حيث يعتبر الأرض في مركز كرة كبيرة تُسمى الكرة السماوية كما هو مبين في الشكل (٤). إنّ خط الاستواء السماوي هو امتداد لخط الاستواء الأرضي وإن مسار الشمس عبر الكرة السماوية يُسمى المدار الشمسي. حيث يصنع زاوية ٢٣,٥ درجة مع مدار الاستواء السماوي. ومن الواضح أن الشكل (٤) يبين أن نقاط تقاطع المدار الشمسي مع مدار الاستواء السماوي هي الاعتدال. بينما نقاط تباعد كلا المدارين هي الانقلاب[٨].



الشكل(٤) الكرة السماوية تبين تقاطع مدار الاستواء السماوي. (المائل) مع المدار الشمسي (المنبسط) حيث الاعتدال الربيعي (أعلى) والخريفي (أسفل) وتباعد المدارين هو الانقلاب الشتوي (يمين) والصيفي (يسار).

التقويم الإسلامي:

ويسمى أيضاً التقويم القمري أو التقويم الهجري. لأنّ تغيرات القمر هي الوحدة الأساسية للتقويم القمري، كما يتجاهل في حساباته الشمس والسنة المدارية ولا علاقة له بالمواسم وتغيرها.

كان العرب قبل الإسلام يستخدمون السنة القمرية وفيها ١٢ شهراً قمرياً تضبط على رؤية الهلال. ومنها أربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. يقعدون فيها عن القتال ويقيمون فيها الأسواق[٩]. ومع أنه ليس لديهم مبدأ ثابت لتأريخ حوادثهم. إلا إنهم أرخوا لأحداث هامة وهي[١٠]:

١- مغادرة إبراهيم الخليل عليه السلام بلدته أور الكلدانية عام ١٩٢١ق.م.

٢- بناء الكعبة من قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وولده إسماعيل عليه السلام عام ١٨٥٥ق.م.

٣- انهيار سد مأرب في اليمن عام ١٢٠ق.م.

٤- وفاة كعب بن لؤي جَد الرسول ﷺ عام ٥٩ق.م.

٥- عام العذر[٢١]، حدث سنة ٦١ ٤م.

٦- عام الفيل ٥٧١م وهو عام ولادة الرسول ﷺ.

٧- حرب الفجار[٢٢]، عام ٥٨٦م.

٨- إعادة بناء الكعبة في عهد عبد المطلب جد الرسول ﷺ وكان عمره ٣٥سنة، حدث ذلك سنة ٥٠٥م قبل مبعثه ﷺ بخمس سنوات.

وكان العرب قبل الإسلام يستخدمون أسماء الشهور التي تختلف عما عليه الآن وهي: ناتق، ثقيل، طليق، ناجر، أسلخ، أميح، أحلك، كسع، زاهر، برك، حرف، نعس[٢٣].

كما اعتبروا الشهور الفردية ٣٠ يوماً ويسمونها أشهر تامة، والشهور الزوجية ٢٩ وماً ويسمونها أشهر ناقصة، ومجموعها ٣٤٥ يوماً، ومن المرجح أن عرب الجزيرة الشماليين استخدموا النظام القمري، وعرب الجزيرة الجنوبيين (السبئيين، والمعينيين، والتتبانيين) استخدموا النظام الشمسي[٢٤].

وبعد مجيء الإسلام، استمر العرب فترة من الزمن على ما كانوا عليه قبلاً، يؤرخون بالأحداث الهامة، وحتى بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى يثرب (المدينة المنورة).

ونتيجة لذلك كان من الضروري إيجاد تقويم يؤرخ به العرب أحداثهم، واستمر الوضع كذلك بعد وفاة الرسول ﷺ حتى عهد سيدنا عمر رضي الله عنه. حيث اتفق الصحابة رضي الله عنهم على اتخاذ هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة مبدأ التقويم، لأنّ الهجرة وقت بين الحق والباطل.

إن السنة الهجرية تتألف من ١٢شهراً قمرياً، وكل شهر يتراوح طوله بين ٢٩ و٣٠ يوماً بمعدل ٢٩,٥ يوماً تقريباً، وعليه فإنّ ١٢×٢٩,٥ = ٣٥٤يوماً وطول السنة الهجرية أقل ١١ يوماً من السنة المدارية الشمسية.

إن السنة القمرية الحقيقية تساوي ٣٥٤,٣٦٧٠٥٦ يوماً بزيادة ٠,٣٦٧ يوماً عن السنة القمرية المدنية المساوية لـ٣٥٤ يوماً ويبلغ الفارق ١١ يوماً عن كل ٣٠ سنة، فلزم إضافتها في هذه المدة، ولتحقيق ذلك اتفق في كل ٣٠ سنة هناك ١١ سنة كبيسة[*] محتوية ٣٥٥يوماً، فيضاف اليوم الزائد إلى ذي الحجة ليصبح ٣٠ يوماً[٢٥] في نظام مدروس ومحدد، علماً إن هذا لم يستخدم بين الدول الإسلامية، وترتيب السنين الكبيسة في ٣٠ سنة هي: ٢، ٥، ٧، ١٠، ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ويعلل ذلك أنه بعد مضي ٣٠ سنة يكون الفارق بين السنة القمرية الحقيقية والمدنية أكبر من نصف يوم فيقترب إلى يوم كامل مضافاً إلى ذي الحجة من السنة[٢٦]، ولمعرفة السنة البسيطة والكبيسة تقسّم السنة على ٣٠ فإذا كان الباقي أحد الأعداد المتأخرة[*] كانت كبيسة وإلاّ فبسيطة، فمثلاً سنة ١٣٥٩هـ باقي قسمتها على ٣٠ هو ٩ فهي بسيطة، وسنة ١٢٧١هـ باقي قسمتها على ٣٠ هو ٢١ فهي كبيسة.

وعليه فإنّ عيد الفطر المبارك، مثلاً يكون العام القادم قبل ١١ يوماً مما عليه العام الحالي ومن الممكن حدوث عيدين للفطر المبارك خلال السنة الميلادية الواحدة كما حدث عام ٢٠٠٠م في مطلع كانون الثاني (يناير) وأواخر ديسمبر (كانون الأول).

كما أن الإسلام حرم النسيء[*] في حجة الوداع من السنة العاشرة للهجرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ

في الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وعلى الرغم من أن التقويم الإسلامي يعتبر تقويماً فلكياً (اعتماد رؤية الهلال) خصوصاً في المناسبات ذات الصلة. كهلال رمضان والعيدين المباركين. إلا إن المصادر الغربية عادة ما تعتبره تقويماً حسابياً على غرار التقويم الميلادي الغريغوري الشمسي. وبدلاً عن ذلك فإن التقويم الهجري (الفلكي) هو المستخدم حالياً. حيث رؤية الهلال بُعيد غروب الشمس. هي الإذن ببداية الشهر الهجري القمري الجديد. إنّ ولادة الهلال تشترط حدوث عملية الاقتران ما بين ١٢ و١٨ ساعة. مستدلين بذلك: أن رؤية الهلال بالعين المجردة تتطلب ١٤ ساعة و٤٨ دقيقة بعد الاقتران. بينما تتطلب رؤيته ١١ساعة و٢٤ دقيقة بعد الاقتران. كما أنّ رؤية الهلال تلزم المراقب معرفة ظهور الهلال. ومكوثه مدة كافية بعد غروب الشمس. وارتفاعه عن الأفق مدة تسمح برؤيته. وتوفر الشروط المناخية كعدم توفر الضباب وصفاء الأفق من السحب والأفق.

وللشهر الهجري خاصية تعتمد على رؤية الهلال. فالدول الإسلامية المتباعدة تحتفل في المناسبات الإسلامية بفارق يوم أو يومين تبعاً لرؤيته. أما أسماء الأشهر الإسلامية (الهجرية) فهي: محرم. صفر. ربيع الأول. ربيع الثاني. جمادى الأولى. جمادى الأخرة. رجب. شعبان. رمضان. شوال. ذو القعدة. ذو الحجة.

خاتمة واستنتاج:

إن التقويم الإسلامي (الهجري) يرجع لهجرة سيد الكائنات محمد ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في القرن السابع الميلادي. مع استخدام العرب قبل الإسلام ذات التقويم المعتمد على حركة القمر أما الوحدة الأساسية للتقويم الهجري فهي تغير القمر.

أول ما نشير إليه هو معجزة القمر. فعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل. وفرقة دونه. فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا. وجاء ذكر الحادثة في القرآن الكريم مقروناً باقتراب الساعة. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾. وتذكر المصادر القديمة في الصين أن الصينيين قد دونوا حادثة انشقاق القمر. مما يدل على حصول المعجزة ورؤيتها في كافة أنحاء المعمورة. خصوصاً أن الليل يجمع الصين وأرض الجزيرة العربية بفارق ٦ ساعات. إضافة إلى دقّة واهتمام الصينيين في تدوين الأحداث الفلكية والرياضية منذ ذلك التاريخ. وقد أظهرت الدراسات الحديثة التي اعتنت بدراسة سطح القمر صحة هذه المعجزة. وانه يوجد أثار انشقاق وانقسام سطح القمر. والقرآن الكريم تكلم عن ذلك قبل قرون. والصورة التالية تبين انشقاق سطح القمر.



(أ)



(ب)

صورة (١) معجزة انشقاق سطح القمر كما التقطتها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا)[٣٣]، ويظهر الحزام الصخري في كلتا الصورتين (أ) و(ب).

طول اليوم في التقويم الإسلامي (الهجري) يتراوح بين ٢٩ و٣٠ يوماً بمعدل ٢٩,٥ يوماً. والعرب قبل الإسلام وبعده حددوا طول الأشهر الفردية ٣٠ يوماً وتسمى أشهر تامة والزوجية ٢٩ يوماً وتسمى أشهر ناقصة. وقال الإمام النووي: قالوا: وقد يقع النقص (الأشهر الناقصة) متوالياً في شهرين وثلاثة وأربعة، ولا يقع في أكثر من أربعة[٣٤]. إضافة أن وقت اكتمال القمر (بدراً) في التقويم الهجري هو في اليوم الخامس عشر.

ويبلغ طول السنة الهجرية ٣٥٤ يوماً مؤلفة من ١٢ شهراً. ومع معرفة الفارق بين السنة الهجرية القمرية الحقيقية والمدنية هو يوم واحد يكبس في آخر شهر ذي الحجة ليصبح ٣٠ يوماً لتصبح السنة ٣٥٥ يوماً، إلا إن هذا لم يتبع في الدول الإسلامية، والسنة الهجرية أقل بـ١١ يوماً من السنة المدارية الشمسية الميلادية، كما إن نظام التقويم الهجري يعتمد على رؤية الهلال.

إن التقويم الهجري يُستخدم حتى الساعة، بل له الأثر الواضح، فلكيًا وحسابياً، على التقاويم الأخرى. فقد استعمل التقويم الإسلامي (الهجري) في بلاد الصين منذ القرن الثالث عشر الميلادي ولغاية القرن التاسع عشر الميلادي.

إنّ البداية الفلكية أو الحسابية للشهر التمري في التقويم الإسلامي (الهجري) هي الوصول إلى الاقتران، حيث يصبح القمر غير مرئي تماماً، أي المحاق، كما بينا في الشكل (٣). وهو تعارض مع البداية الشرعية للشهر القمري كما أرشدنا رسولنا محمد ﷺ في حديثه الشريف: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته(٣٥). حيث بداية الشهر مع بداية القدرة على رؤية الهلال والذي لا يمكن رؤيته إلا بعد ١٧-٢٠ ساعة من الوصول إلى المحاق، كما أشارت إلى ذلك بثينة أسامة[٣٦]، والدكتور مسلم شلتوت يرى أن المدار غير المنتظم للقمر حول الأرض، وتأثير الجذب من الشمس والأرض على القمر، وتأثير الكواكب السيارة القريبة من الأرض على مدار القمر، كلها يجب مراعاتها في الحسابات الفلكية في لحظة ولادة الهلال[٣٧]. وعليه إن رؤية الهلال يحدد بداية الشهر القمري في التقويم الإسلامي، يحتاج لدقة لا يمكن للحساب الفلكي أن يحزم بها وحده، كما ذكر ابن تيمية[٣٨] والشيرامليسي[٣٩]، بل يضاف لها اعتماد الرؤية البصرية لضبط الرؤية وكتابة التقويم صحيحاً[٤٠].

وخلاصة القول: إن العرب والمسلمين الأوائل صنعوا الحضارة وأغنوا التراث لأنفسهم وللعالم أجمع في عهد العقلانية والتسامح، حري بهم التصدي للانحدار والتهاون. ■

الحواشي

١. مختار الصحاح، مادة قوم ص٥٥٧.
٢. سورة فصلت: ٦.
٣. الفائق في غريب الحديث:ج٣/٢٣٥.
٤. النهاية في غريب الحديث والأثر:٤/١٢٥. غريب الحديث لابن سلام:٤/٢٣١. غريب الحديث لابن الجوزي ١/٢٧ و٢/٢٧١. الفائق في غريب الحديث:٣/٢٣٥. لسان العرب (قوم):١٥:٤٠٢/ وتاج العروس(قوم).
٥. اللسان والتاج (قوم).
٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٨٥، ونصه: عن أبي سعيد قال غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا له: لو قومت لنا سعرنا قال ﷺ: إن الله هو المقوم - أو المسعر. إني لأرجو أن أفارقكم، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في مال ولا نفس . انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:ج٤ ص١٢٥. التقويم الهادي:١٤.
٧. مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٨.
٨. سورة آل عمران:٧٥.
٩. صورة فصلت: ٩ و ١٠.
١٠. سورة ق، ٣٨، ٣٩.
١١. انظر المستدرك للحاكم النيسابوري:٢/٥٩٢. وانظر تاريخ الطبري:١/٢٢.
١٢. Calendars in Singapore.
١٣. التقويم الهادي: ٥٠.
١٤. الاقتران هو أن يكون القمر بين الأرض والشمس في مستوى أفقي واحد.
١٥. مقدمة في علم الفلك. ص٢٧.
١٦. التقاويم: ٤.
١٧. Astronomy of Islamic Calendar.
١٨. The Mathematics of the Chinese Calendar.
١٩. التقاويم:٦.
٢٠. Calendars in Singapore.
٢١. التوقيت والتقويم:١٤.
٢٢. التقاويم ٦٠٠.
❖) السنوات التي تذكر بالتقريب.
٢٣. وهو العام الذي نهب به بقر يربوع ما أنقذه بعض ملوك حمير إلى الكعبة، ووثب الناس بعضهم على بعض خلاله.
٢٤. وإنما سُمي يوم الفجار، بما استحل هذان الحيان، كنانة وقيس عيلان، فيه من المحارم بينهم، وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.
قال ابن هشام: وحديث الفجار أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قطعه حديث رسول الله ﷺ.
قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، فيما حدثني أبو عبيدة النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء، هاجت حرب الفجار بين قريش، ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان.
وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن، أجار لطيمة للنعمان بن المنذر، فقال له البراض بن قيس، أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة: أتجيرها على كنانة، قال: نعم، وعلى الخلق كله، فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية، غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سمي الفجار. سيرة ابن هشام:١/٢٢٤، وسميت بذلك لأن العرب فجروا فيها، لتحارب قبائلهم فيما بينهم في الأشهر الحرم، واستمرت أربع سنوات.
٢٥. مروج الذهب:٢/١٩١
٢٦. التوقيت والتقويم:١١٧.
❖) السنة الكبيسة هي التي يضاف إليها يوم ليكفلوا التوافق بين الشهور والفصول، وقد اتبع العرب قبل الإسلام أحد طرق الكبس التالية: إضافة ٩ أشهر لكل ٢٤ سنة أو إضافة شهر لكل ٣ سنوات أو إضافة ٧ أشهر لكل ١٩ سنة.
٢٧. التقاويم: ٦٦.
٢٨. المصدر السابق.
❖) الأعداد المتأخرة هي ما فوق الرقم ١٠، وما دونه تُسمى الأعداد المتقدمة.
❖) النسيء هو تقديم أو تأخير الأشهر الحرم حسب الأهواء والرغبات.
٢٩. سورة التوبة: ٣٦، ٣٧.
٣٠. Mooncalc Software.
٣١. رواه البخاري:٣/٢٤٠.
٣٢. سورة القمر:١.
٣٣. A lunar Rile, Credit: Apollo 10, NASA.
٣٤. المنهاج: ٨٢٧.
٣٥. رواه البخاري ومسلم أنظر: فتح الباري:٤/١١٩.
٣٦. صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، موقع إسلام أون لاين.
٣٧. الحساب الفلكي، موقع إسلام أون لاين.
٣٨. مجموع الفتاوى.ج٢٥، ص ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٨.
٣٩. حاشيته على نهاية المحتاج: ج٣/١٥٠، ١٥١.
٤٠. دراسة جديدة:٥٩-٦١.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- تاج العروس من جواهر القاموس. لمحمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ). المطبعة الخيرية. الطبعة الأولى. مصر. ١٣٠٦هـ.

٣- تاريخ الطبري. تاريخ الأمم والملوك. لأبي جعفر بن محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ). تح. محمد أبو الفضل ابراهيم. بيروت- لبنان. (بدون تأريخ).

٤- التقاويم: لمحمد محمد فياض. مطبعة نهضة مصر. القاهرة. ١٩٥٨م.

٥- التقويم الهادي: للدكتور محمد صالح البُنداق. دار الآفاق الجديدة/ ط١. بيروت. ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

٦- التوقيت والتقويم: للدكتور علي حسن موسى. دار الفكر المعاصر ط١. بيروت - لبنان. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧- الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ). تح. عبد العزيز بن عبد الله بن باز وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. المكتب الجامعي الحديث. الطبعة الأولى. الإسكندرية. مصر. (بدون تأريخ).

٨- الحساب الفلكي لتحديد أوائل الشهور العربية، د. مسلم شلتوت. على موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net (بدون تأريخ).

٩- دراسة جديدة لأحاديث رؤية الهلال. د. يوسف حسين أحمد. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية. العدد الحادي والثلاثون. جمادى الأولى ١٤٢٧هـ- يونيو ٢٠٠٦م.

١٠- السيرة النبوية لابن هشام. تح. طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل. ط١. بيروت. ١٤١١هـ.

١١- صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته. لبثينة أسامة. منشور بتاريخ ٢٠٠٢/١١/٤م على موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net

١٢- غريب الحديث. لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. (ت٢٢٤هـ) تصحيح محمد عظيم الدين ومراقبة د.محمد عبد المعيد خان. مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. ط١. الهند. ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٣- غريب الحديث. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(ت٥٩٧هـ). تح. الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب العلمية. ط١. بيروت. ١٩٨٥م.

١٤- الفائق في غريب الحديث. محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ). تح. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة ط٢. لبنان. (بدون تأريخ).

١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري. للحافظ ابن حجر العسقلاني. تح. الشيخ عبد العزيز بن باز. المطبعة السلفية. ومكتبتها. (بدون تأريخ).

١٦- لسان العرب. لابن منظور جمال الدين محمد بن مُكرّم الأنصاري (ت٧١١هـ). طبعة مصورة عن طبعة بولاق. الدار المصرية للتأليف والترجمة. مصر. (بدون تأريخ).

١٧- مجموع الفتاوى. لأحمد بن عبد الحليم. أبو العباس ابن تيمية. تح. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي. مكتبة ابن تيمية. الطبعة الثانية. (بدون تأريخ).

١٨- مختار الصحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٠٠هـ). طبعة دار المعرفة. مصر. ١٩٧٣م.

١٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر. لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ). دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٠- المستدرك على الصحيحين: للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ). وفي ذيله تلخيص المستدرك لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ). مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب. طبع في بيروت. شركة علاء الدين. طبعة مصورة على طبعة دائرة المعارف النظامية. حيدر آباد الدكن (بدون تأريخ).

٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. مؤسسة قرطبة. القاهرة. والأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها. (بدون تأريخ).

٢٢- مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار). لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي (ت٢٣٥هـ). تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد. ط١. الرياض ١٤٠٩هـ.

٢٣- مقدمة في علم الفلك. للدكتور بركات عطوان انبطاينة. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. ط١. عمّان. الأردن. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٤- المنهاج بشرح صحيح مسلم ابن الحجاج. للإمام محي الدين ابن يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار ابن حزم، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٥- النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤هـ-٦٠٦هـ)، تح. طاهر أحمد الزواوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٦- نهاية المحتاج وحواشيه، لشمس الدين محمد بن أحمد الرملي وأبو الضياء الشبراملسي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

المصادر الأجنبية:

* Astronomy of Islamic Calendar, Mohammad Ilyas, A.S. Noordeen, 1997.

* Calendars in Singapore, available at http:www.math.nus edu.sg/aslaksen/calendar/Chinese.gtml.

* The Mathematics og the Chinese Calendar, available at

* http:www.math.nus edu.sg/aslaksen/helmerpub html.

* Mooncalc Doftware, Manzur Ahmed, http:www.starlight.demon.co.uk/mooncalc/.

التطور التقني في تشخيص الحشرات الطبية والمنزلية ومكافحتها عند ابن البيطار

د. عماد محمد ذياب الحفيظ
أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة

مقدمــة

هنالك العديد من الدراسات عن العلوم في التراث العربي والبعض منها عن الحيوانات، إلا إن أعداداً من الحيوانات المهمة في حياة الإنسان قد أهملت بالرغم من أهميتها الكبيرة على الصحة والحياة، وهي الحشرات الطبية والمنزلية، فنكاد لا نجد كتاباً يبحث في الطب والصيدلية والنبات والحيوان، وكذلك دواوين الشعر وكتب الأدب عند العرب إلا وتتحدث عن الحشرات الطبية والمنزلية وأهميتها.

فالمعلومات التي جاء بها العرب لها جذور عميقة في مجتمعاتهم، حتى قبل أن يتعرف الإغريق وغيرهم على هذه الحشرات الطبية والمنزلية. ومن هذه المصادر التي تحدثت عن هذه المجموعة من الحشرات هو كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي الأندلسي المعروف بابن البيطار (متوفى سنة ٦٤٧ هجرية).

ولد ابن البيطار في مالقة بالأندلس خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري. واهتم في سن مبكرة بدراسة الطب، والفروع العلمية ذات العلاقة بالطب

كالحشرات الطبية والمنزلية والنباتات الطبية والمركبات الكيماوية التي يمكن استخدامها في مجال الطب. وكل ما يتعلق بصناعة العقاقير والأدوية. ساعده على ذلك اطلاعه الواسع على الدراسات والمؤلفات التي أوردها من سبقه في المشرق والمغرب العربي من العلماء العرب والمسلمين والإغريق في مجال الطب والحيوان والنبات والكيمياء. وغير ذلك من التخصصات العلمية المعروفة في ذلك الوقت من أمثال الجاحظ. وابن وحشية. وأبي العباس النباتي. وابن سمحون الأندلسي. وابن وافد اللخمي. وعبد الله بن صالح الكتامي. وابن الحجاج الأشبيلي. وابن الجزار القيرواني. وأبي بكر الرازي. وابن سينا. وديسقوريدس. وغيرهم. فقد كان ابن البيطار على دراية باللغة اليونانية أيضاً.

التحصيل العلمي لابن البيطار

لقد تلقى ابن البيطار العلم ابتداءً على يد أستاذه المشهور باسم أبي العباس أحمد بن مفرج والمعروف باسم النباتي. وكذلك ابن الرومي الإشبيلي. يروى أنه كان يخرج مع أستاذه أبي العباس لجمع الأعشاب في منطقة أشبيلية رابعة مدن الأندلس الكبرى. فكان يساعد أستاذه على ملاحظة أوصاف النباتات ودراسة خواصها الطبية. فنشأ عشاباً يدرس النباتات المختلفة وخواصها ومزاياها العلاجية. وكيفية استخراج الدواء منها[1]. أو استخدامه لها كوسيلة للعلاج أو تقليل الضرر.

ومن الملاحظ إن ابن البيطار ذكر الحشرات الطبية والمنزلية في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية إلا إنه لم يصنفها حسب التصنيف العلمي للمملكة الحيوانية والمعروف في وقتنا الحاضر. والذي يعتمد على تشابه كل مجموعة معينة منها في صفات خاصة ومشتركة بين فصائلها وأجناسها وأنواعها. بل إن ابن البيطار صنف هذه الحشرات حسب حجمها ومظهرها العام وبيئتها وطبيعة ضررها. والذي كان هذا الأسلوب في تصنيف الحشرات شائعاً في ذلك الوقت. ولعله استعان في ذلك على كتاب الحيوان للجاحظ. وكتاب ابن وحشية. ومؤلفات الرازي. وابن سينا وغيرهم للتعرف على هذه الحشرات ومجاميعها.

لقد آثرت أن أختار ما قاله ابن البيطار عن الحشرات الطبية والمنزلية. والوسائل التي أوصى باستخدامها في مكافحتها ودرسها شرحاً وتعليقاً. وذلك كونها لم تدرس من قبل: ولأن كتاب ابن البيطار هذا مازال غير محقق تحقيقاً علمياً دقيقاً حتى الآن. وهذا شأن معظم المؤلفات والمخطوطات العربية القديمة. فتحقيقها اقتصر على اللغة والقواعد. والمقصود من ذكرها دون التحقيق من الناحية العلمية. كذلك دوره في توجيه الأنظار إلى أهمية استخدام النباتات الطبية في مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية لما لها من أبعاد علمية وتطبيقية وبيئية. لقد رتبت مجاميع الحشرات الطبية والمنزلية حسب تصنيفها العلمي الحديث وبترتيب أبجدي. ثم أدرجت ما تيسر لي من معلومات وتعليقات حول هذه الحشرات واسمها العلمي وفصائلها أو رتبها.

مجاميع الحشرات عند ابن البيطار:

على ما يبدو إن الحشرات الطبية والمنزلية كان لها أهمية كبيرة في حياة العرب والمسلمين ومعيشتهم منذ قديم الزمان. ويعتقد أنهم كانوا على مستوى من الدراية في دورها المهم بنقل الأمراض. أو ما قد تسببه من أضرار على صحة الإنسان وراحته وسلامته خلال معيشته. مما حدا بالعرب والمسلمين إلى التركيز على هذه المجاميع من الحشرات. فكتبوا عنها الكتب والدراسات لتحديد مخاطرها. وكيفية تقليل أو تجنب أضرارها. ومن أهم من كتب عنها صاحبنا الجليل ابن البيطار.

من الضروري أن نتحدث أولاً عن هذه الكائنات من وجهة نظر العلم الحديث من حيث الوصف العام لأفرادها البالغة وغير البالغة. ثم نذكر مجاميع الحشرات التي ذكرها ابن البيطار في كتابه، لنضعها بترتيب أبجدي في جدول موضّح فيه فصائل هذه الحشرات ورتبها والاسم العلمي لكل منها.

تتبع مجاميع الحشرات الطبية والمنزلية إلى صنف الحشرات ضمن المملكة الحيوانية حديثاً. كما كان العرب يصنفونها قديماً بأسلوب مبسّط. كما هو الحال لدى غيرهم من الشعوب التي بلغت فيها المعرفة شوطاً لا بأس به كالإغريق.

تتميز هذه المجاميع من الحشرات أن أجسام أفرادها مقسمة إلى ثلاثة أقسام وهي: الرأس والصدر والبطن في الأفراد البالغة. وهذا مازال متعارفاً عليه في العلم الحديث. حيث يحمل الرأس زوجاً واحداً من قرون الاستشعار. وزوجاً من العيون المركبة. أما الصدر فيحمل دائماً ثلاثة أزواج من الأرجل المفصلية مع زوج أو زوجين من الأجنحة أو يكون عديم الأجنحة. بينما البطن، وهي الجزء الأخير من جسم الحشرة. فتكون عادة خالية من الأطراف والأجنحة.

أما الأفراد غير البالغة كالطور الحوري أو ما يعرف بالحوريات. فتكون متشابهة مع البالغات كما هو الحال في أفراد بنات وردان (الصراصير) مثلاً. إلا أنّ الحوريات غير كاملة النمو. وكأفراد الطيور اليرقي. وهي ما تعرف باليرقات. فتكون دودية الشكل لا تشبه البالغات ذات أرجل صدرية وبطنية كما في حالة يرقات الفراشات والعث. كما توجد يرقات دودية الشكل أيضاً إلا أنها عديمة الأرجل، ولا تشبه الأفراد البالغة أيضاً كما هو الحال في يرقات الذباب مثلاً. وهناك يرقات لا تعيش في البيئة التي تعيش فيها البالغات تعود لنفس الجنس والنوع. كما هو الحال بالنسبة ليرقات البعوض التي تعيش في البيئة المائية. وبالغاتها تعيش في البيئة البرية. وغير ذلك من الاختلافات في صيغة وطبيعة حياة أفراد نفس الجنس والنوع. على الرغم من اختلاف مراحل نموها.

يبلغ عدد أنواع هذا الصنف ما يزيد على المليون نوع. تختلف فيما بينها اختلافات متباينة من حيث الشكل التفصيلي (وليس الشكل العام فقط). والسلوك وطريقة المعيشة. والبيئة المناسبة لها وتركيب جسمها

التفصيلي. وعدد وشكل الأجنحة. وكذلك الفم التفصيلية وغير ذلك.

تم ذكر بعض المجاميع الحشرية في جدول (١). والتي كانت معروفة لدى أهل العلم والمعرفة من العرب والمسلمين قديماً. والتي أضاف عليها ابن البيطار العدد الجيد. والذي لم يسبقه إليها أحد.

فلقد ورد عند ابن البيطار أسماء حشرات طبية ومنزلية تعود لعدة رتب. ذكرتها بترتيب أبجدي في جدول (٢) مبيناً فيه فصيلة كل مجموعة حشرية، والرتبة التي تتبعها. والاسم العلمي للرتبة في الوقت الحاضر. لأوضح التطابق العلمي بين ما توصل إليه العرب قديماً والعلم الحديث.

جدول (١):

يبين المجاميع الحشرية المعروفة قديماً عند العرب والمسلمين

المجاميع الحشرية	الفصيلة	الرتبة	الاسم العلمي للرتبة
أرضة (٦)	يتبع لها عدة فصائل	متماثلة الأجنحة	Siphonaptera
برغوث (٧)	يتبع لها عدة فصائل	البراغيث	Isoptera
بعوض (٨)	البعوض	ذات الجناحين	Diptera
بق (٩)	البق	نصفية الأجنحة	Hemiptra
جراد (١٠)	يتبع لها عدة فصائل	مستقيمة الأجنحة	Orthoptera
جرجس (١١)	الحرمس	ذات الجناحين	Diptera
خنافس (١٢)	يتبع لها ١٢٠ فصيلة	غمدية الأجنحة	Coleoptera
ذباب (١٣)	يتبع لها عدة فصائل	ذات الجناحين	Diptera
ذراريح (١٤)	الخنافس المحرقة	غمدية الأجنحة	Coleoptera
زنبور (١٥)	الزنابير	غشائية الأجنحة	Hymenoptera
سوس (١٦)	السوس	غمدية الأجنحة	Coleoptera
نحل (١٧)	النحل	غشائية الأجنحة	Hymenoptera
نمل (١٨)	النمل	غشائية الأجنحة	Hymenoptera

جدول (٢):

يبين مجاميع الحشرات الطبية والمنزلية التي ذكرها ابن البيطار وموقعها في التصنيف العلمي الحديث للحشرات

ت	المجموعات الحشرية	اسم الفصيلة بالعربية	اسم الرتبة بالعربية	الاسم العلمي للرتبة
.١	الأرضة(٢)	يتبع لها عدة فصائل	متماثلة الأجنحة	Isoptera
.٢	برغوث(٣)	يتبع لها عدة فصائل	البراغيث	Siphonaptera
.٣	جراد (٤)	يتبع لها عدة فصائل	مستقيمة الأجنحة	Orthoptera
.٤	خنافس (٥)	يتبع لها ١٢٠فصيلة	غمدية الأجنحة	Coleoptera
.٥	دودة الحرير(٦)	دودة القز	حرشفية الأجنحة	Lepidoptera
.٦	ذباب (٧)	يتبع لها عدة فصائل	ذات الجناحين	Diptera
.٧	ذراريح (٨)	الخنافس المحرقة	غمدية الأجنحة	Coleoptera
.٨	زنابير (٩)	يتبع لها عدة فصائل	غشائية الأجنحة	Hymenoptera
.٩	سوس (١٠)	السوس	غمدية الأجنحة	Coleoptera
١٠	صرصر(بنات وردان (١١)	يتبع لها عدة فصائل	مستقيمة الأجنحة	Orthoptera
١١	قطرب (حباحب)	اليراع	غمدية الأجنحة	Coleoptera
١٢	قمل (١٣)	يتبع لها عدة فصائل	القمل الماص	Aroplora
١٣	نحل (١٤)	يتبع لها عدة فصائل	غشائية الأجنحة	Hymenoptera
١٤	نمل (١٥)	يتبع لها عدة فصائل	غشائية الأجنحة	Hymenoptera

مفصليات الأرجل عند ابن البيطار:

نلاحظ إن مجاميع الحشرات الطبية والمنزلية التي ذكرها ابن البيطار بلغت ١٤ مجموعة. تعود لتسع رتب من رتب الحشرات في العلم الحديث. ولقد تكلم ابن البيطار عن الحشرات الطبية عند كلامه عن الهوام أيضا. (والتي كان أهل العلم من العرب وغير العرب قديماً يعتبرون الحشرات جزءاً منها). وفي دفع مضارها دون الإشارة إلى مجاميعها. وهذا قد يبرر سبب عدم ذكر هذا العالم الفاضل لمجاميع مهمة من الحشرات الطبية والمنزلية كالبعوض والبق مثلاً، والتي لا تقل أهمية عن المجاميع التي ذكرها. وقد يعود سبب ذلك أيضاً إلى أن هذه المجاميع التي ذكرها هي الأهم عند أهل الأندلس، أو لكونه ركّز جل اهتمامه في كتابه على النباتات الطبية ومنافعها كوسيلة مهمة عند دفع مضار هذه الحشرات التي ذكرها.

ومن الجدير بالذكر هنا أن ابن البيطار ذكر

مجاميع حيوانية أخرى ذات قرابة مع الحشرات الطبية والمنزلية ولا تقل عنها أهمية. وهي مجاميع من المفصليات تتبع صف العنكبوتيات Arachnida (أي من ذوات الثمانية أرجل). ومنها الجرب [1]. والذي تسببه حيوانات تعرف بحلم الجرب. والقردان [2]. وتتبع لها عدة فصائل ذات أهمية طبية وبيطرية. والعقارب [3] والتي تتبع لفصيلة العقارب.

إلا إني سأتجاوزها في دراستي هذه لبعدها عن موضوعنا الأساسي من حيث تصنيفها الحيواني وعلاقتها مع الحشرات. ولكون ابن البيطار ذكرها فقط دون أن يتحدث عنها شيئاً باستثناء مكافحتها ببعض أنواع النباتات الطبية.

من المهم أن نعرف أنه على الرغم من معرفة ابن البيطار لمجاميع الحشرات الطبية والمنزلية وأهميتها ومعيشتها وأضرارها. إلا إن ذلك لم يمنعه من الوقوع في خطأ كبير وهو: نظرية النشوء الذاتي التي وصفها أرسطو. وبقيت هذه النظرية سائدة لعشرات القرون لدى علماء الاغريق والعرب والمسلمين أو غيرهم في أرض المعمورة. وقد ثبت بطلان هذه النظرية في القرن الثامن عشر الميلادي لأول مرّة في تأريخ العلم الحديث. في الوقت الذي أشار القرآن الكريم إلى بطلان هذه النظرية عند الحديث عن تكاثر الإنسان والحيوان. ومنها الحشرات في عدّة نصوص من السور القرآنية. وعلى الرغم من ذلك لم ينتبه إليها العرب والمسلمين.

مع العلم إن هذا الخطأ كان شائعاً لدى العلماء العرب والمسلمين وغيرهم من غير المسلمين. والمتخصصين في مجالات الطب والحيوان في ذلك الزمان أيضاً. ولعل هذه النظرية بابلية الأصل. فكتاب الفلاحة النبطية يشير إليها أيضاً. والذي كما هو معلوم إن هذا الكتاب مترجم عن كتاب كتب في بابل باللغة الكلدانية (الكسدانية) في أوائل الألف الأول قبل الميلاد. أو قبل ذلك كما ذكر ابن وحشية في مقدمة كتابه. ثم نسخ هذا الكتاب الإغريق عن البابليين. كما نسخوا الكثير من مصادر المعرفة القديمة الأخرى. ونسبوها إليهم دون الإشارة إلى مصادر معلوماتهم. وبعد ذلك عادت إلينا بعد أن ترجمت كتب الإغريق إلى العربية. وبذلك ردّت بضاعتنا إلينا.

الحشرات الطبية والمنزلية عند ابن البيطار:

لابد من الذكر أن معظم مجاميع الحشرات التي جاءت في كتاب ابن البيطار ذكرت أسماؤها فقط. ولم يكتب عنها إلا القليل بينما نجد الجاحظ وابن الأعرابي والأنصاري والسجستاني والقزويني والأبشهي والدميري كانوا يوردون وصفاً لمجاميع الحشرات التي سيأتي ذكرها. وما هي طبيعة الضرر أو الأمراض التي قد تنجم عنها. على الرغم من أن كتب هؤلاء العلماء الأفاضل تتحدث عن الحيوان فقط. وهذا ما لا نجده في كتب طب وصيدلية العرب. ولعلهم في ذلك يشيرون بشكل غير مباشر أنهم غير متخصصين في مجال الحيوان. وإنما للتخلص منها أو أضرارها المباشرة وغير المباشرة. كما نجد أن ابن البيطار لم يكن لديه أية إشارة يبين فيها احتمال نقل المسببات المرضية بواسطة الحشرات. على الرغم من معرفته للعديد من الأمراض والتي أثبت العلم الحديث نقلها بواسطة الحشرات. فمجاميع الحشرات التي ذكرها ابن البيطار هي: البرغوث. والذباب. والذراريح. والصرصر. والقمل. والتي جميعها ثبت حديثاً أنها تنقل عدة أمراض خطيرة كمرض السل. والتيفوئيد. والتيفوس. والطاعون. وغيرها من الأمراض الخطرة [4].

أما عن الأنواع الأخرى من الحشرات والتي ذكرها ابن البيطار في كتابه وهي الأرضة، والجراد، والخنافس، والزنابير، والسوس، والنمل فهي حشرات منزلية ليست لها أهمية طبية تستحق الذكر. وعلى الرغم من ذلك أوصى ابن البيطار بمكافحتها. ولعلّ ذلك يعود إلى ما تسببه هذه الحشرات من إزعاج أو أضرار اقتصادية لممتلكات الإنسان وحاجاته. أما القطرب (حباحب) فلعل ابن البيطار قد ذكرها من باب التشبيه بالذباب فقط، كونها كثيرة الحركة والطيران، وإنه قد أخطأ في ذلك إن كان هذا ما اعتقده.

كما وذكر مجاميع حشرات منزلية نافعة، وهي نحل العسل، ودودة الحرير (دودة القز)، إلا إنه ذكرها مع ذكر أنواع النباتات التي تضر أو تحسّن إنتاج هذه الحشرات من عسل وحرير. وهذا ما لا نجده في أي كتاب آخر عند العرب والمسلمين، فقد انفرد في ذلك ابن البيطار، وكان لابن البيطار فيها أصالة فهذا الأمر يعتبر من التوجهات الحديثة في وقتنا الحاضر.

ولو قارنّا بين ما ذكره ابن البيطار (من أهل المغرب العربي) وبين الرازي مثلاً (من أهل المشرق العربي والإسلامي) في مجال الحشرات الطبية والمنزلية لوجدنا أن هنالك أوجه اختلاف بينهما، فعدد مجاميع هذه الحشرات عند الرازي بلغت ١٢ مجموعة، بينما عند ابن البيطار ١٤ مجموعة. إلا إن هنالك مجاميع ذكرها الرازي، ولم يذكرها صاحبنا الجليل ابن البيطار، وهي البعوض والبق والجرجس[٦]. بينما ذكر ابن البيطار مجاميع أخرى لم يذكرها الرازي، وهي دودة الحرير والقطرب (حباحب) والصرصر، وقد يعود ذلك إلى أنواع الحشرات التي كانت شائعة كل حسب بيئته.

مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية بالنباتات الطبية عند ابن البيطار:

من الجدير بالذكر هنا أن أتحدث عن طرق مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية بالوسائل المختلفة غير النباتات الطبية، حيث تحدث ابن البيطار عن بعض استخدامات المواد الكيماوية اللاعضوية، والتي تفيد في قتل أو دفع ضرر هذه الآفات.

أما عن الطرق الأخرى كاستخدام المشتقات النفطية، والمكافحة الطبيعية (أي تأثير العوامل البيئية على هذه الحشرات)، والمكافحة الميكانيكية، والتشريعية، والحياتية، فابن البيطار لم يتحدث عنها، بالرغم من أن العلماء العرب المتخصصون بمجال الحيوان في ذلك الزمان عرفوا الطرق المختلفة في مكافحة الحشرات الطبية[٧]، فعن المبيدات اللاعضوية قال ابن البيطار[٨] عن الزئبق: دخانه تهرب منه الهوام، وما أقام منها قتلها، والزئبق له خصوصية في قتل القمل، والقردان المتعلقة بالحيوان.

أما الزئبق فقلما يستعمل في أمور الطب: لأنه من الأشياء القاتلة، وفي استخدام المرتك[٩] قال[١٠]: وإذا طلي الرأس به من خل وزيت نفع من القمل.

إن المبيدات اللاعضوية بشكل عام والزئبقية بشكل خاص استخدمت في مكافحة الحشرات الطبية كونها مبيدات معوية، وذلك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولغاية العقد السادس من القرن العشرين، أي أن العرب عرفوا هذه المركبات واستخدموها قبل غيرهم، ومنذ ما يزيد على ألف عام، بل وإن ابن البيطار هو أول من أشار إلى خطورتها من الناحية الطبية، ولم ينصح باستخدامها من قبل الإنسان[١١]، وهذه حقيقة علمية معروفة لا يختلف عليها اثنان في عصرنا الحاضر لشدة سميتها على الإنسان. كما إن رأي ابن البيطار يلتقي بشكل أو آخر بمفاهيم التلوث البيئي الذي يشير إليه العلم الحديث.

أما النباتات الطبية فقد ركّز عليها ابن البيطار

في استخداماتها لمكافحة الحشرات الطبية والمنزلية. ولعلّ ذلك يعود لقلة سميتها على الإنسان مقارنة مع المواد الكيماوية التي ضررها كبير على صحة الإنسان وحياته. مع توفرها وضمان تأثيرها على هذه الحشرات. ولقد أدرجت أنواع النباتات الطبية وأسمائها العلمية وفصائلها واستخداماتها في جدول(٢).

ومما ينفرد به ابن البيطار عمن سبقه في هذا المضمار. أنه استخدم النباتات الطبية لقتل أو طرد الأطوار غير البالغة. ولم يسبقه في هذا أحد من قبل. ويعد هذا التوجه في المكافحة بشكل عام. وكمواد طاردة بشكل خاص لعله يعكس اهتمامه بالبيئة. ولذلك حذر من استخدامه المبيدات اللاعضوية ذات السمية الشديدة. بالإضافة إلى عدم استخدامه للعديد من المبيدات الكيماوية الخطيرة كالمشتقات النفطية في المكافحة مثلاً. لذلك أوصى باستخدام ١٢ نوعاً من النباتات الطبية للمكافحة.

جدول (٣):

يبين أنواع النباتات الطبية المستخدمة وأسمائها العلمية في العلم الحديث

اسم النبات	الأسم العلمي	الفصيلة	استخدامه
اترج (٣٧)	Citrus medica	السذابية	لطرد السوس
الآس (٣٩)	Rusca culeiatus	الزنبقية	لطرد البق والبعوض
الافسنتين (٤٠)	Artmesia absinthium	المركبة	لطرد السوس
بصل الفار (٤١)	Muscaria comosum	الزنبقية	لطرد الذباب
ترمس(٤٢)	Lupinus angustifolius	الباقلائية	لطرد البق والبعوض
ثوم (٤٣)	Allium sativum	الزنبقية	لطرد الزنابير
الحرمل (٤٤)	Peganum harmala	الزوجية	لطرد البق والبعوض وقتل البرغوث
الحسك(٤٥)	Tribulus terrestris	الزوجية	لطرد وقتل البرغوث
حنظل(٤٦)	Citrullus colocynthis	القرعية	لطرد الأرضة وقتل البراغيث
الدفلى (٤٧)	Nerium oleander	الدفلية	لطرد البراغيث
دلب(٤٨)	Platanus orientalis	الدلبية	لطرد الخنافس
السلجم(٤٩)	Brassica repa	الصليبية	لقتل البراغيث
شونيز (حبة سوداء) (٥٠)	Nigella sativa	الشيقيقية	لطرد البق
شوكة (٥١)	Acanthus mollis	لكلنكرية	لطرد البق
الفوذنج (٥٢)	Mentha pulegium	الشفوية	لطرد السوس
قنب (٥٣)	Cannabia indica	الانجرية	لطرد البق والبعوض
الكمون (٥٤)	Cominum cyminum	الخيمية	لطرد البق والبعوض

جدول (٤):
يبين أنواع النباتات الطبية التي استخدمها ابن البيطار واستخداماتها في مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية.

ت	اسم النبات	الأسم العلمي	الفصيلة	استخداماتها
١.	اشنان داوود (٢٧)	Hyssopus offeinalis	الشفوية	لطرد الهوام (بما فيها الحشرات)
٢.	افنتين (٢٨)	Artmesia absinthium	المركبة	لقتل البراغيث وطرد
٣.	بنج(٢٩)	Hyscyamus albus	الباذنجانية	الهوام لقتل الصئبان (أفراد القمل غير البالغة)
٤.	حنظل(٣٠)	Citrullus colocynthis	القرعية	لقتل البراغيث
٥.	سرخس (٣١)	Nephrodium filixmas	الخولنجانية	لطرد البراغيث
٦.	سفرجل(٣٢)	Cydonia vulgaris	الوردية	لقتل الذاريح
٧.	سوسن (٣٣)	Lilium elegans	الزئبقية	لقتل القمل
٨.	غار (٣٤)	Laurus nobilis	الغارية	لقتل القمل
٩.	فوذنج (٣٥)	Mentha pulegium	الشفوية	لطرد الهوام (بما فيها الحشرات)
١٠	قسوس(٣٦)	Dolichos lablab	القبلية	لقتل لقمل
١١	قيصوم (٣٧)	Artmesia abrotanum	المركبة	لطرد الهوام (بما فيها الحشرات)
١٢	الكافور(٣٨)	Eucalyptus globules	الآسية	لطرد الذباب

إلا أنه من المؤسف أن معظم هذه النباتات الطبية لم تدرس أهميتها حديثاً في مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية، على الرغم من توفر هذه النباتات في بيئتنا منذ قديم الزمان، وفي الوقت الحاضر أيضاً. وكذلك أهميتها ودورها الكبير عند استخدامها في تقليل التلوث البيئي بدلاً من استخدام المواد الكيماوية الخطرة والملوثة للبيئة.

وإنه لغني عن التعريف أهمية النباتات الطبية في مكافحة الحشرات الطبية والمنزلية، وخاصة المنتجة منها للزيوت الطيارة كالكافور، فهي مادة طاردة للذباب والبعوض وقد تم إثبات ذلك في العلم الحديث[١٢]. كما أن الغار يستخدم في الوقت الحاضر في عبوات المواد الغذائية والعرقسوس ليمنع إصابتها بالحشرات بعد أن أثبتت الدراسات العلمية الحديثة ذلك[١٣].

هذا مع العلم أن أول استخدام للمواد الطاردة مثلاً في عصرنا كان عام ١٩٠١، حيث استعملت مادة السترونيلا (وهي مادة مستخلصة من النباتات) لطرد البعوض في الولايات المتحدة الأمريكية[١٤].

وهكذا نجد أن ابن البيطار لم يكن عشاباً حاذقاً فقط، بل وعالماً في علوم الحيوان والكيمياء والبيئة، فكان له فيها الإبداع والأصالة وفي العديد من جوانبها العلمية كما أشرنا. ■

الحواشي

١. التكريتي ص ٦.
٢. ابن البيطار: ١/ ٣٤.
٣. المصدر السابق: ١/ ٤٣؛ و ص ٣٨ و٣/ ٧.
٤. المصدر السابق: ٣/ ١٢٥.
٥. المصدر السابق: ٢/ ٩٤ و١٠٥.
٦. المصدر السابق: ٢/ ١٢٠.
٧. المصدر السابق: ١/ ١٦ و٢/ ١٢٣ و٢/ ١٢٣، و٤/ ١٣٦.
٨. المصدر السابق: ٢/ ١٠٥ و ١٢٣ و١٢٤.
٩. المصدر السابق: ٢/ ١٢٣.
١٠. المصدر السابق: ١/ ٣٤ و ٢/ ٤٢.
١١. المصدر السابق: ٢/ ٨٣.
١٢. المصدر السابق: ٢/ ٤ و ٣/ ١٢.
١٣. المصدر السابق: ٢/ ١١٠ و ١٧٨ و٢/ ٣٦ و٤/ ١٩.
١٤. المصدر السابق: ٢/ ٦٨.
١٥. المصدر السابق: ٢/ ٩٧.
١٦. المصدر السابق: ١/ ٣٩ و ٣/ ٤٨ و ٤/ ١٤٤.
١٧. المصدر السابق: ٢/ ١٧٨.
١٨. المصدر السابق: ١/ ٩٨.
١٩. راجع كتاب الحشرات الطبية والبيطرية في العراق للدكتور جليل أبو الحب، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩.
٢٠. الحفيظ، ١٩٨٨، ص ١٣١-١٤٥.
٢١. المصدر السابق: ٢٦ -٤٢.
٢٢. ابن البيطار: ٢/ ١٧٨.
٢٣. مادة تعمل من سائر المعادن المطبوخة إلا الحديد بالإحراق وأكثر ما تعمل من الرصاص أي يمكن القول أنها أكاسيد معدنية أو فلزية.
٢٤. ابن البيطار: ٤/ ١٠٥.
٢٥. المصدر السابق: ٢/ ١٧٨.
٢٦. الحفيظ، ١٩٨٦، ص ٤٨-٥٦.
٢٧. ابن البيطار: ١/ ٢٨.
٢٨. المصدر السابق: ١/ ٤٣.
٢٩. المصدر السابق: ٢/ ١١٣.
٣٠. المصدر السابق: ٢/ ٢٨.
٣١. المصدر السابق: ٢/ ٧.
٣٢. المصدر السابق: ٢/ ١٠٥.
٣٣. المصدر السابق: ٣/ ٣٦.
٣٤. المصدر السابق: ٢/ ١١٠.
٣٥. المصدر السابق: ٣/ ١٧٠.
٣٦. المصدر السابق: ٤/ ١٩.
٣٧. المصدر السابق: ٤/ ٤١.
٣٨. المصدر السابق: ٤/ ١٣٦.
٣٩. حسني وآخرون ص ١٠٥.
٤٠. حسين ص٣٢٣.
٤١. زعزوع وآخرون ص٣٠٢.

المصادر

١- أسس مكافحة الآفات. لحسين زعزوع وآخرون. دار المعارف. القاهرة، ١٩٧٢.

٢- الآفات الزراعية آفاتها وسبل مكافحتها في العراق. لعماد محمد ذياب الحفيظ، مطبعة وزارة الزراعة، بغداد، ١٩٨٦.

٣- الآفات الزراعية الحشرية والحيوانية. لمحمد حسني وآخرون. دار المعارف. القاهرة، ١٩٧٦.

٤- الأمانة العلمية لابن البيطار. لراجي التكريتي. ندوة ابن البيطار. مركز إحياء التراث العلمي العربي. جامعة بغداد، ١٩٨٦.

٥- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. لضياء الدين عبد الله ابن البيطار، مكتبة المثنى، بغداد (بدون تاريخ).

٦- الحشرات الطبية والبيطرية في العراق. لجليل أبو الحب، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦.

٧- الحشرات الطبية والبيطرية وطرق مكافحتها في التراث العربي. لعماد محمد ذياب الحفيظ. مركز إحياء التراث العربي. جامعة بغداد، ١٩٨٨م.

٨- النباتات الطبية- زراعتها ومكوناتها.. لفوزي طه قطب حسين. الدار العربية للكتاب. تونس، ١٩٧٩.

٩- مفصليات الأرجل الطبية والمنزلية في كتاب الحاوي للرازي. لعماد محمد ذياب الحفيظ. ندوة الرازي. جامعة بغداد. ١٩٨٨م.

من كتاب «الأنواء»
لأبي حنيفة الدِّينَوَري
(ت 282هـ)
دراسة تحقيقية

من كتاب «الأنواء» لأبي حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ) دراسة تحقيقية

د. عبد القادر سلاَمي
جامعة تلمسان - الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

عرف العرب قديمًا الآثار في الرَّمل، وعَرَفوا الأنْواء ونجومَ الاهتداء[1] والكواكب الثابتة، ومواقع طلوعها وغروبها: تلبية وتأليفًا، فكانوا أحفظ الأمم لما أدَّت إليه تجاربهم من أحوال الزّمان، وتعاقب الشهور والأيام، واختلاف الفصول والأعوام، بما يتجدد فيها من الأحداث، ويغيِّر من تدبير المعاش، فهم على اختلاف ديارهم، وتباين أوطانهم وتفاوت هممهم، يراعون من هبوب الرّياح وطلوع الكواكب، وتبدل الأوقات ما يراعيه غيرهم من سكان المدر والوبر، وقطان البدو والحضر، وليس ذلك مستحدثًا فيهم، وإنما هو عادة فيهم يتوارثه الخلف عن السلف والغابر عن الماضي: ومقياسهم طول الدُّربة ودوام التفقّد، فلهم اعتبار في كل ما يتجدّد في الجو من طلوع كوكبٍ أو أفوله، وهبوب الريح أو سكون يؤديهم إلى ما يبنون عليه أمرهم في مقامهم وظعنهم ومزالفهم ومحاضرهم ويعتمدونه في مكاسبهم ومعيشهم ومناتجهم وملاقحهم، وسائر متصرّفاتهم من غزو واستباحة وانتجاع وملازمة استغنوا به عن أصحاب الحساب، وتوغّلهم من لطائف البحث والاستقصاء، فهم أتباعٌ ما اعتادوا من البرق إذا لمع، والغيث إذا أصاب ووقع، والحر إذا أقبل وأدبر، والبرد إذا خفَّ واشتد، لا يغفُلون ولا يضيعون، فسبحان من جعل لكل أمةٍ خصائص صاروا لها بمنجاةٍ من الشّر، وعوائد أصبحوا فيها على شفا الخير"[2].

وقد بيّن الجاحظ (٢٥٥هـ) هذه الحاجة، وأجاد في بيانها، فقال: "... لأنَّ كلَّ من كان بالصحاصيح(*) والأماليس(*) حيث لا أمارة ولا هادي، مع حاجته إلى بُعد الشُّقَّة(*) مُضطرٌّ إلى التماس ما ينجيه ويُؤذيه، ولحاجته إلى الغيث: وفراره من الجدب، وظنّه بالحياة، اضطرّته الحاجة إلى تعرُّف شأن الغيث: ولأنه في كلٌ حالٍ يرى السَّماء، وما يجري فيها من كوكب، ويرى التَّعاقُبَ بينها، والنجوم الثوابت فيها، وما يسيرُ منها فاردًا(*)، وما يكون

---

١ - الحيوان: ٦/ ٣٠.

٢ - الأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٨٠.

(*) الصَّحصح والصَّحْصاح والصَّحْصَحانُ: ما استوى من الأرض، ينظر القاموس المحيط:١/ ٢٤١، مادة (الصّحّ)، ومعجم مقاييس اللغة:٣/ ٢٨١، مادة (صح).

(*) الأماليس: جمع إمليس، وهي الفَلاةُ التي لا نباتَ فيها، ينظر: القاموس المحيط:٢/ ٢٦٢ (مادة الملس).

(*) الشُّقَّة: بالضّم والكسر: السَّفَرُ البعيد، والنّاحية يقصدها المسافر، المصدر السابق ٣/ ٢٥٨ مادة (شقة).

(*) الفارد: المنفَرِدُ، ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٠، مادة (فرد) والقاموس المحيط: ١/ ٣٢٤: مادة (الفرد).

منها راجعًا ومستقيمًا[3]. فسمّوها بأسماء تعكس طبيعتها أو وفق منظورهم إليها بالعين المجرَّدة، أو بحسب ما يصحبها من خير أو أذى. تردَّدت كثيرًا في أسجاعهم وأشعارهم. مثل الثُّريّا والدَّبران وسُهَيل والسِّمَاك. وبذلك نشأ عندهم علم الأنواء.

فما هي الأنواء من حيث اللغة والاصطلاح؟ وما هو حظُّها من حيث التأليف والحَظْر والإجازة الشرعية؟ وموقع كتاب الأنواء للدِّيْنوري منها:

١- مفهوم الأنواء:

الأنْوَاءُ: جمع نَوْء: وهو النّجم إذا مال للغروب أو للمغيب. ويجمع على أنواء ونوآن. وقال حسان بن ثابت[4]:

وَيَثْـرِبُ تَعْـلَمُ أنَّـا بِهَـا   إذا قَحَطَ القَطْرُ نَوْآنُها

أو هو سقوط النجم من المنازل[*] في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق. وقال أبو حنيفة (ت٢٨٢هـ): نوء النجم هو أو سقوط يدركه بالغداة إذا همّت الكواكب بالمُصُوح، أي الذهاب. وقال أبو عبيد (ت٢٢٤هـ): الأنواء ثمانية وعشرون نجمًا، واحدها نَوْء، وقد ناء الطّالع بالمشرق ينوء نوءاً أي: نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النّجم به. وسقوط كلُّ نَجم منها ثلاثة عشر يومًا، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة، ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً. وكانت العرب تضيف المطر، و الرِّياح، والحرّ والبرد إلى الساقط منها، فينسبون ذلك إليه. وإذا مضت مدّة النَّوء ولم يكن فيها مطر قالوا: خَوَى نَجمٌ كذا وأخوى، أي: أمْحَلَ. وكان ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) يقول: لا يكون نوء حتى يكون معه مطر وإلاّ فلا نوء، ولا تستثني العرب بالنجوم كلّها، وإنما يذكر بالأنواء بعضها وهي معروفة في أشعارهم، وكلامهم[5].

٢- القول في الأنواء من الحظر والإباحة في الشّرع:

روي عن الرسول ﷺ أنه قال: "إن الله عز وجل يقول ما أنعمت على عبادي من نعمة إلاّ أصبحت طائفة منهم بها كافرين يقولون مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا، فأمّا من آمنَ بي وحمدني على سُقْيَاي فذلك الّذي آمن بي وكفر بالكوكب"[6].

٣- الحيوان:٦/٣٠.

٤- ينظر ديوانه: ١/١١٣. وقد ورد فيه عجز البيت بغير لفظ. واللفظ بتمامه، أسودُ تَنفضُ ألبادَها.

(*) المقصود بها منازل القمر: (ينظر: مفاتيح العلوم:١٢٣). قال تعالى ﴿والْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾. يس:٩.

٥- ينظر: الأنواء لابن قتيبة.٦-٧، وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس: ٣٠٢ - ٣٠٤. والقاموس المحيط:١/٣٢ مادة (ناء)، وتاج العروس:١/٤٧٢ مادة (ناء)، والمعجم الوسيط:٢/٩٦٠، مادة (ناء)، والصحاح في اللغة: ٢/٦١٨، مادة (نوأ).

٦- ينظر: سنن النسائي: ٣/١٦٤ -١٦٥ (باب كراهية الاستمطار بالكوكب)، وصحيح البخاري:١/١٨٢ (باب لا يدري متى يجيء المطر إلاّ الله).

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: "لو أن الله سبحانه وتعالى حَبَسَ المَطَرَ عن النّاس سَبْعَ سنينَ ثم أرسلَهُ أصبحتْ طائفةٌ به كافرون يقولون مُطِرْنا بنوءِ المجدَح (*)"(٧).

قال: هذا كما قال الصّادق الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم. وذلك بعد أن العرب يقولون: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا: أي أنّ المطر كان من أجل أنّ الكوكب ناء. وبذلك جاءت أشعارهم. وكلامهم في الأنواء. وعنه جاء النّهي في الحديث. وأمّا إذا كان قولهم مُطِرنا بنوء كذا، أي مُطِرْنا في نوئه على شبيه ما يقولون مُطِرْنا في غرّة اليوم. ومُطِرْنا في اللّيالي الأربعينية. لم يكن في ذلك شي يكره: لأنّ المعنى حينئذٍ يكون لتحديد الوقت. كأنه يقول: مُطِرْنا حين غابت الثّريّا. وعند العرب تسمّى الثّريّا "النّجم" اسمًا علمًا لها مختصًا بها دون النّجوم. وفي التنزيل العزيز:﴿وَالنَّجْمِ(*) إِذَا هَوَى﴾(٨) فُسِّر بأنه قسم. بحيث أقسم الله تعالى بالثريا بمعنى: والثريّا إذا سقطت. والعرب تعظم الثريا. ويكثر ذكرها في شعرهم: لأنها عندهم من نجوم الأنواء التي لا تُخلف. وإذا طلعت في الشتاء اشتد البرد عند طلوعها. فقال شاعر في طلوعها في الشتاء(٩):

طَابَ شُرْبُ الرَّاحِ لمَّا ... طَلَعَ النَّجمُ عشاءْ

وابتغى الرّاعي لمَشْتَا ... هُ مِنَ القَرِّ كِسَاءْ

وقال آخر عن طلوعها في الصّيف(٩):

طَلَعَ النَّجْمُ غُدَيَّه ... وابْتَغَى الرّاعِي شُكَيَّهْ

وقال الزّجاج (ت٣١١هـ): فمن قال مطرنا بنوء كذا وأراد الوقت ولم يقصد إلى فعل النّجم فذلك - والله أعلم - جائز كما جاء عن عمر رضي الله عنه. أنه استسقى بالمصلّى ثم نادى العبّاس: كم بقي من نوء الثّريا؟ فقال: إنّ العلماء بها يزعمون أنّها تعترض في الأفق سبعًا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السّبع حتى غيث النّاس. فإنما أراد عمر: كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة أنه إذا تمّ أتى الله بالمطر؟ قال ابن الأثير: أمّا من جعل المطر من فعْل الله تعالى، وأراد بقوله: مطرنا بنوء كذا: أي في وقت كذا وهو هذا النوء الفلاني. فإنّ ذلك جائز؛ أي إنّ الله تعالى قد أجرى العادة أن يأتي بالمطر في هذه الأوقات(١٠).

(*) المِجدَح: نجم من النجوم يقال له الدَّبران: لأنه يطلع آخرًا. ويسمّى حادي النجوم. وهو عند العرب من الأنواء الدّالة على المطر. ومجاديح السماء: أنواؤها. ينظر: الصحاح في اللغة:١/ ١٧٣ مادة (جدح). والنهاية في غريب الحديث والأثر١٠/ ٢٤٢. مادة (جدح) والغريب المصنف١/ ٥٧٣.

٧- ينظر: سنن النسائي:٣/ ١٦٥ (باب كراهية الاستمطار بالكوكب) والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٤٢. مادة (مطر).

(*) يقول ابن الأثير(٦٠٦هـ): "النجمُ في الأصل اسمٌ لكلِّ واحد من كواكب السّماء. وجمعهُ: نجوم. وهو بالثُّريّا أخصُّ. جعلوهُ علماً لها. فإذا أُطلقَ فإنما يراد به هي... ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:٥/ ٢٤.

٨- النجم:١.

٩- ينظر: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: ٣٠٢ - ٣٠٤.

١٠- ينظر: تاج العروس:١/ ٤٧٤، مادة (ناء) والمعجم الوسيط: ٢/ ٩٦١(ناء).

٢- من تراث الأنواء عند العرب:

انبرى ثلة من العلماء للتأليف في الأنواء، منها ما وصل إلينا، ومنها ما لم يصل، وقد ذكرت كتب التراجم، كتابًا لكلٍّ من:

١- أبي فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي (ت١٩٥هـ)، وقد نسبه إليه ابن خلكان (ت٦٨١ في الوفيات، والقفطي (ت٦٤٦هـ) في إنباه الرّواة، واقتبس منه القتيبي في مواضع من أنوائه[١١].

٢- أبي الحسن النضر بن شميل بن خرشفة التميميّ (ت٢٠٤هـ) ونسبه إليه ابن النديم في الفهرست، وابن خلكان في الوفيات، والقفطي في إنباه الرواة[١٢].

٣- أبي يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المعروف بابن كناسة(ت٢٠٧هـ)، وقد نسبه إليه ابن النديم في الفهرست، والقفطي في إنباه الرواة[١٣].

٤- أبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت٢٠٧هـ) نسبه إليه ابن خلكان في الوفيات[١٤]، وقد قام بتحقيقه الدكتور حاتم صالح الضامن تحت عنوان (الأزمنة وتلبية الجاهلية" وصدر عن مؤسسة الرسالة، في طبعة ثانية سنة ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

٥- أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦هـ)، وقد نسبه إليه ابن خلكان في الوفيات، وابن النديم في الفهرست[١٥].

٦- أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (ت٢٣١هـ)، ونسبه إليه القفطي في إنباه الرواة، وابن خلكان في الوفيات، وابن النديم في الفهرست والسيوطي في البغية[١٦].

٧- أبي جعفر محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، نسبه إليه ابن النديم في الفهرست والسيوطي في البغية[١٧].

٨- أبي محلم ابن هشام بن عوف السّعدي (ت٢٤٥هـ)، ونسبه إليه ابن النديم في الفهرست[١٨].

٩- أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (ت٢٧٦هـ)، وقد نسبه إليه السيوطي في البغية[١٩].

١١- ينظر: وفيات الأعيان:٥/٣٠٤، وإنباه الرواة ٣/٣٢٧، ومعجم المعاجم:١٢٠.

١٢- ينظر: وفيات الأعيان: ٥/٤٠٤، وإنباه الرواة ٣/١٦١، والفهرست:٢٣٥، ومعجم المعاجم:١٢٠.

١٣- ينظر: إنباه الرواة ٣/١٦١، ومعجم المعاجم:١٢٠، والفهرست:٣٢٠.

١٤- وفيات الأعيان:٤/٣١٢.

١٥- ينظر: وفيات الأعيان:٣/١٧٣، والفهرست:٢٥٠، ومعجم المعاجم:١٢١.

١٦- ينظر: إنباه الرواة:٣/١٣١، ووفيات الأعيان:٤/٣٠٨، والفهرست:٤٠٦، وبغية الوعاة: ١/١٠٦، ومعجم المعاجم:١٢١.

١٧- ينظر الفهرست:٤٠٦، وبغية الوعاة: ١/٧٤، ومعجم المعاجم:١٢١.

١٨- ينظر الفهرست:٤٠٦، ومعجم المعاجم:١٢١.

١٩- بغية الوعاة: ٢/٦٣.

ويوجد منه مخطوطة بالمكتبة الزكية ف ١٦٨صفحة. حققه شارل بلا. ومحمد حميد الله. وصوّبه[٢٠]. كما صدر ضمن مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

١٠- أبي حنيفة أحمد بن داود بن ونند الدينوري(ت٢٨٢هـ). نسبه إليه ابن النديم في الفهرست وياقوت الحموي في معجم الأدباء. والقفطي في إنباه الرواة[٢١].

١١- أبي العباس محمد بن يزيد الثّمالي المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ). نسبه إليه القفطي في إنباه الرواة. وابن النديم في الفهرست[٢٢].

١٢- أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت٣٠٠هـ). نسبه إليه ابن النديم في الفهرست[٢٣].

١٣- أبي إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل المعروف بالزجاج. نسبه إليه القفطي في إنباه الرواة. وابن خلكان في الوفيات والبغدادي في خزانة الأدب. وابن النديم في الفهرست[٢٤].

١٤- أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش (ت٣١٥هـ). نسبه إليه ابن النديم في الفهرست[٢٥].

١٥- أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد. نسبه إليه القفطي في إنباه الرواة. والسيوطي في بغية الوعاة[٢٦].

١٦- أبي بكر عبد الله بن حسين بن إبراهيم بن حسنين بن عاصم القرطبي (ت٤٠٣هـ) صدر عن دار الجيل في بيروت سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. بتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ونايف الديلمي[٢٧].

١٧- أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي (ت٤٤٩هـ) نسبه إليه البغدادي في خزانة الأدب[٢٨].

١٨- أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي(ت٤٧٠هـ). وقد نسبه إليه ياقوت في معجم الأدباء. والسيوطي في البغية[٢٩]. وهو من الكتب

٢٠- ينظر: معجم المعاجم:١٢١.

٢١- ينظر: الفهرست:٣٥٢. ومعجم الأدباء:٢/٣٢. وإنباه الرواة:١/٧٨. وبغية الوعاة: ١/٣٠٦. ومعجم المعاجم:١٢١.

٢٢- ينظر: إنباه الرواة: ٣/٢٥١. والفهرست:٣٥٢. ومعجم المعاجم:١٢٢.

٢٣- ينظر: الفهرست:٣٣٢. ومعجم المعاجم:١٢٢.

٢٤- ينظر: إنباه الرواة: ٣/٢٠٠. ووفيات الأعيان:١/٤٩. وخزانة الأدب:١/٢٦. والفهرست ٢٧٤ ومعجم المعاجم:١٢٢.

٢٥- ينظر: الفهرست:٢٨١. ومعجم المعاجم:١٢٢.

٢٦- ينظر: إنباه الرواة: ٣/٩٦١. وبغية الوعاة:١/٧٨.

٢٧- ينظر: معجم المعاجم:١٢٢.

٢٨- ينظر: خزانة الأدب:١/٢٦٥ ومعجم المعاجم:١٢٢.

٢٩- ينظر: معجم الأدباء:١/١٣٠ وبغية الوعاة: ١/٤٠٨. ومعجم المعاجم: ١٢٢.

التي وصلت إلينا. فقد حققه الدكتور عزت حسن وطبع تحقيقه بدمشق سنة ١٩٦٤م تحت عنوان (الأزمنة والأنواء).

٤- أبو حنيفة الدينوري وكتابه في الأنواء:

أ- ترجمة أبي حنيفة:

عَرَّفَهُ ياقوت الحموي[٣٠] فنص على أنّ اسمه الكامل هو أحمد بن داود بن وتند أبو حنيفة الدينوري، وهو ما ذهب إليه السيوطي في البغية[٣١]. ولد في أوائل القرن الثالث بالدينور(**) [٣١]. وقضى نحبه بباغة(**) ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادي الأولى سنة ٢٨٢هـ على الأرجح[٣٢].

كان الدينوري لغويًا نحويًا مهندسًا منجمًا حاسبًا، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه. أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت(٢٤٤هـ) [٣٣]، وأبيه[٣٤]. فقد آثر التجرّد للعلم والتفرغ له قصد التحصيل والتأليف، مخلّفًا وراءه تراثاً حافلاً من المصنفات التي أخذت من كلّ علم بطرف. فكان له من الكتب المصنفة: كتاب الباه أو الباءة، وكتاب ما يلحن فيه العامّة، وكتاب الشّعر والشعراء، وكتاب الفصاحة، وكتاب الأنواء، وكتاب في حساب الدّور، وكتاب الهند، وكتاب الجبر والمقابلة، وكتاب البلدان، وكتاب الجمع والتّفريق، وكتاب الأخبار الطّوال، وكتاب الوصايا، وكتاب نوادر الجبر، وكتاب إصلاح المنطق، وكتاب القبلة والزّوال، وكتاب الكسوف، وكتاب النبات لم يصنّف في معناه مثله، وكتاب الرّد على لغزة الأصفهاني، وقيل إنّ له كتابا في تفسير القرآن، يبلغ ثلاثة عشرَ مجلداً[٣٥].

٣٠- ينظر: معجم الأدباء: ٢٦/٣.

٣١- ينظر: بغية الوعاة: ٣٠٦/١.

(**) الدينور: مدينة من كور الجبل ما بين الموصل وأذربيجان، وهي في قبلة همذان، وهي كثيرة الثمار والزروع والبساتين والمياه، حصينة، وأهلها أكرم حيلة من أهل همذان. وعلى القرب منها مدينة الصيمرة والشيروان، وابن قتيبة من أهل الدينور، وأبو حنيفة الدينوري اللغوي الإمام صاحب كتاب النبات. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: ٢٤٩.

٣١- ينظر: المخصص لابن سيده دراسة ودليل:٥٥.

(**) باغة: على بحر باب الأبواب - وهو بحر الخزر والديلم وجرجان وأنواع الترك - مما يلي الباب والأبواب الموضع المسمى باغة، وهي النفاطة، ومن هناك يحمل النفط الأبيض. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: ٧٨، ٧٩ -

٣٢- ينظر: معجم الأدباء:٢٦/٣، وإنباه الرواة:٧٨/١، وبغية الوعاة: ٣٠٦/١.

٣٣- ينظر: معجم الأدباء:٢٦/٣، وبغية الوعاة: ٣٠٦/١.

٣٤- ينظر: إنباه الرواة: ٧٦/١، والفهرست: ٣٥١.

٣٥- ينظر: الفهرست٣٥٢، ومعجم الأدباء:٣٢/٣، وبغية الوعاة:٣٠٦/١. على أننا نشكّك في نسبة كتاب في تفسير القرآن إلى أبي حنيفة، وهي نسبة لم يزعمها غير ياقوت الحموي بناءً على ما تناهى إليه من أخبار، وقف المُوفّق عليه، وسأله/ وتحفّى به مبالغاً في الاستخبار عليه". ينظر: معجم الأدباء:٢٩/٣. ويدعم ذلك ما ذهب إليه ياقوت الحموي نفسه من عدم اطلاعه على الكتاب المزعوم بقوله: "ما رأيتُه". معجم الأدباء:٢٩/٣. ولذا كان الاعتماد على سرد بعض أسماء كتبه كياقوت ومن تابعه من بعض المتأخرين كابن النّديم (٣٨٠هـ) والسيوطي (٩١١هـ) أمرًا مُورطًا في الخطأ.

وعلى ذلك فقد عدَّ أبو حنيفة من نوادر الرِّجال، فقد جمع بين حكمة الفلاسفة، وبيان العرب، و له في كلِّ فنٍّ قدم وساق، وكلامه في الأنواء يدلّ على حظٍّ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك. أما كتابه في النَّبات، الذي لم يؤلف في معناه غيره، فكلامه فيه في عروض كلام أبدى بدوي وعلى طباع أفصح عربي"[٣٦].

ب- كتابه في الأنواء:

يعدّ كتاب الأنواء لأبي حنيفة الدينوري من الكتب المفقودة[٣٧]، إلا أننا نستطيع التطلع إلى ما ورد في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) من ذكر لسطو ابن قتيبة على ما جاء في كتاب الأنواء لأبي حنيفة ونقله إلى كتبه: ويتضح ذلك من قول المسعودي (٣٤٦هـ): "وقد سلب ذلك ابن قتيبة، ونقله إلى كتبه نثلا(*) وجعله عن نفسه، وقد فعل ذلك في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري هذا، وكان أبو حنيفة هذا ذا محلٍّ من العلم كبير"[٣٨].

وعليه، فإنه من الممكن، في رأيه، استخلاص ما جاء في كتاب الأنواء لأبي حنيفة الدينوري من كتابات ابن قتيبة، وبخاصة ما يتعلق بباب كروية السماء والأرض، التي ذكرها المسعودي في كتابه (مروج الذهب)، وذلك بقوله: "وأمّا الدلائل على أنّ السماء على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة، وأنّ الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة، وأنّ كرة الأرض مثبتة في وسط السماء كالمركز، وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صغر أو وصف الربع المسكون في الأرض، وما يعرض فيه من دور الفلك واختلاف الليل والنهار، ووصف خواص هذا الربع المسكون من الأرض، ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهورًا لا تغرب، وتغرب شهورًا لا تطلع..."[٣٩].

على أننا وجدنا أبا علي المرزوقي(ت ٤٢١هـ) في كتابه (الأزمنة والأمكنة) يعتمد بعض تخريجات أبي حنيفة في أمر ترتيب بعض الأنواء من حيث منازلها، على نحو ما جاء في الباب الثاني والأربعين (فيما روي من أسجاع العرب عند تجدد الأنواء والفصول وتفسيرها) من نحو: "قال أبو حنيفة: وجدتهم بدؤوا بالثريا،

٣٦- ينظر معجم الأدباء: ٢/٢٨.

٣٧- ينظر معالم الحضارة الإسلامية :١٥٧.

(*) النثل: هو استخراج شيء من شيء أو خروجه منه، نحو نثلتُ البئر: استخرجتُ تُرابها. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٩٠. مادة (نثل)، والقاموس المحيط:٤/٥٥، مادة (نثل).

٣٨- ينظر: مروج الذهب:١/ ٥١٤ -٥١٥. وإذا كان لنا أن نبدي رأيًا في أمر هذا النثل وظروفه وفق ما رآه المسعودي، فإننا نستبعد هذا الأمر مؤقتًا: لأنه لا يتعدى الآحاد، أو اعتماد الشاهد الواحد في المقابلة، كما لا يعدو ربّما أن يكون رد فعل لحادثة معينة، أو لأكثر من حادثة، خاصة أننا لا نعرف الظروف التي برز فيها مثل هذا التفضيل، الأمر الذي لا يُعدم أن تبيّن التحقيقات المستقبلية خطأ نسبه كتاب في الأنواء لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أصلاً، على نحو ما أثبت الأب موريس بويج في خاتمة تحقيقه لكتاب (النَّعَم والبهائم والوحش والسبَاع والطّير والهوام وحشرات الأرض): ١٢٨، ١٣٢، بحوليات جامعة القديس يوسف: ١٩٠٨/٣م، خطأ هذه النسبة وانتهى بعد التحقيق إلى نسبة الكتاب برمّته إلى أبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ).

٣٩- ينظر المصدر السابق: ١/ ٥١٤-٥١٥.

وإن كان الشَّرطان قبلها في نسق المنازل ولم أجد العلَّةَ في ذلك إلاّ تعطّل الأنْواء وانصرام الرُّطب وهجوم الحرِّ وقُوَّة البَوارِح فجعلوا الشُّغْل بما فيه وطلوع الثُّريَّا هو أمارة قوة الحرِّ عند الجميع لاختلافٍ فيه. فقال فقيههم: إذا طلع النَّجم. ويُراد به الثُّريَّا اتُّقي اللَّحمُ وخيفَ السَّقَمُ، وجرى السَّرابُ على الأكم. وقيل أيضًا: إذا طلع النجمُ جعلت الهواجر تحتدُّ والعاناتُ تكتدم. وقيل: طلع النَّجم غديَّة وابتغى الرَّاعي شكيَّة"[40]. وكذلك نلمح إشارات إلى ما أورده أبو حنيفة في كتابه الأنواء في كتاب سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (ت ٦٥١هـ) حيث يقول: "...روى أبو حنيفة الدينوري في كتابه الأنواء أنَّ النهار محسوب من طلوع الشمس إلى غروبها، والليل من غروب الشمس إلى طلوعها، ولا يعدّ شيء قبل طلوعها من النهار ولا شيء قبل غروبها من الليل"[41]. على أنّ كتاب المخصص[**]

لابن سيده[***] (ت٤٥٨هـ) يظل أكبر معاجم المعاني التي احتفظت لنا بمادة كتاب الأنواء لأبي حنيفة. وإن كان ما اعترى مقدمته من بياض في الأصل حال دون الوقوف على قدر هذا الاعتماد. فقد جاء فيها:

٤٠- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٠.

٤١- ينظر سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: ٨٢.

(❖❖) نشر المخصص ببولاق، القاهرة، في سبعة عشر جزءًا استغرق ظهورها من سنة ١٣١٦هـ إلى سنة ١٣٢١هـ، بإشراف الشيخ محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي وآخرين. ثم توالت طبعاته، ومنها طبعة دار الكتب العلمية على أنّ المخصّص قد تفرد بخصائص قلّما توفّرت لمعجم في موضوعه لخّصها بعض الدارسين المحدثين فيما يأتي:

١) التقصي والتتبع والتحرّي، والحرص على نسبة كلّ قول إلى صاحبه، ومراعاة الأمانة العلمية.

٢) غناة بالألفاظ الصالحة للتعبير عن شؤون الحضارة، ومعاني التمدّن، وما تتطلبه الحياة العلمية من مصطلحات ومفردات في مختلف الفنون والعلوم.

٣) محاولة تحديد معنى كلّ لفظة وتخصيصها بمعناها. وربما كانت هذه الرّغبة هي التي دفعت المؤلف إلى تسمية كتابه (المخصَّص): ومن ثمّ جاز كسر الصّاد المشدّدة، على أنه اسم فاعل، وإن كان المشهور فتحها.

٤) كثرة الشواهد الشّعرية التي تساعد على تثبيت معاني الكلمات في ذهن القارئ، وإرشاده إلى كيفية استخدامها في التراكيب والعبارات.

٥) ألحقَ المؤلف بكتابه أبحاثًا لغوية وصرفية مختلفة تتعلّق بالإبدال اللغوي، والتضادّ، والترادف، والاشتراك، والاشتقاق، والتعريب، والحقيقة والمجاز، والممدود والمقصور، والتذكير والتأنيث، وغيرها من المباحث النحوية والصرفيّة واللغوية. (ينظر: مصادر التراث العربي في المكتبة العربية: ٧٧-٧٨). وبناءً على تعدّد هذه الخصائص فلا يجوز، بأي حال من الأحوال، أن نفصل الأبحاث الدّلالية ونعدّ الكتاب معجمًا لغويًا من قبيل كتاب الصّفات، فندرسه بهذا النظر ونقوّمه وفق موازين بينه وبين سائر المؤلفات في هذا الضّرب من التأليف اللغوي. وكذلك لا يجوز أن نعدّه كتاب صرف أو نحو ونفعل فيه ما فعلنا في النظر الأول، وإنما الصّحيح أن ينظر فيه على هدي المنهج الذي اختطّه له صاحبه، والذي أراد له أن يكونَ "مستغنيًا في نفسه، غريبا في جنسه". المخصص: ١/١٤.

(❖❖❖) هو أبو الحسن علي بن سيده المرسي الأندلسي، ارتبط مولده بالفتنة التي عصفت بالأندلس فانقسمت على أثرها إلى دويلات متنافسة يتربص بعضها ببعض، فعاش حياته (٣٩٨-٤٥٨هـ) كفيفًا لأب كفيف. عرف بقوّة ذاكرته، وحدّة مزاجه، وقلة تلاميذه، وكثرة حله وترحاله. قضى نحبه بـ "دانيّة" بالأندلس بعد أن خلّف آثارًا لغوية ومعجمية يعدّ "المحكم" و"المخصص" من أهمها. (ينظر: وفيات الأعيان: ٣/٣٣٠، ومعجم الأدباء:١٢/٢٣١، وطبقات الأمم: ١٨٤-١٨٥، وابن سيده آثاره وجهوده في اللغة:٢٤، ٢٨، ٥٩ - ٦٤، ودول الطوائف: ٢٠ يومًا، وما بعدها، وفي تاريخ المغرب والأندلس:٢٧٥، وما بعدها).

ربّما كان (بياض بالأصل) أبي حنيفة في الأنواء... [42]. ومع ذلك وجدنا ابن سيده يعتمد على آرائه على نحو أفادنا في التحقيق الموالي.

٥- عملنا في التحقيق:

أ- اعتمدنا في تحقيق البقية من كتاب "الأنواء" لأبي حنيفة على النص المطبوع أصلاً أي ما جاء معزولاً إليه في كتاب (الأنواء) من المخصص في سفره التاسع. محتفظين بعناوين الأبواب ذاتها. وهو بهذا الاعتبار نسخة وحيدة فريدة.

ب- ثم عمدنا إلى تحريره وترتيبه بما يسهِّل الرُّجوع إليه دون تداخل مع ما أورده ابن سيده مع غيره. بحسب ما كانت تفرضه طبيعة التبويب الذي ارتضاه ابن سيده لمخصصه.

ج- تصحيح التصحيفات وتقويم الأغلاط التي وقعت فيه. وكلّها من ضلال النَّسخ. لا ريب. مع ضبط ألفاظه وشرح مصطلحاته قصد جلاء الغريب أو المستغلق منها من غير تفصيل إلاّ إذا اقتضى الأمر ذلك. مع محاولة التعليق على بعض مسائله فوائد تغنيها وتضيء جوانبها.

د- تخريج الشواهد المختلفة من مظانِّها من كتب الأنواء والأزمنة والتلبية. وبعض كتب الصَّرف. بما يحقّق الصَّواب في مذهب أبي حنيفة الدِّينوري في التوضيح والتخريج. ويعضد مذهبنا في المقابلة بين الكتب التي عالجت موضوع الأنواء. إضافة إلى معاجم اللغة وكتب التراجم. التي أسهمت في جلاء مراميه والوقوف على أهم من ألّفوا فيه.

هـ- وضع فهرس لمصادر الدراسة والتحقيق.

ولم يخلُ التحقيق من عنت كبير. ذلّلت من وطأته الرَّغبةُ المُلحَّة في رأب ثُلمَةٍ في المكتبة العربية. لطالما آلمتني وراودت بعض الأخبار من طلبتي الغيورين على إحياء التراث العلمي العربي. أذكر منهم: الدكتور: محمد مذبوحي. والأستاذة آسية عبد المؤمن.

ولئن تمثّل الإنجاز الموالي في تقديم هذه البقية من كتاب الأنواء. فعزاؤنا أننا حاولنا مخلصين أن ننصف نحويًا لغويًا مهندسًا ومنجِّمًا. من نوادر الرّجال. صاحب تأليفٍ يُعدُّ أحسن ما أنْجز في بابه. عدا عن كونه مفقودًا ولم يصل إلينا. والله من وراء القصد.

٤٢- ينظر: المخصص: ١/ ١١.

(من كتاب الأنواء)

أولا: باب ذكر السّماء والفلك:

أبو حنيفة: السّماء تذكّر وتؤنّث(٤٣). والتأنيث أكثر. وقد تلحق فيها الهاء. فتُمدُّ وتقصر. وهذا الاسم يقع لما علاك فأظلّك. ولذلك قيل سَماءُ البيتِ وسماوته. وجمعه السماءُ. والسماوُ. وأنشد:

وأَقْصَمُ سَيَّار مَعَ الحَيّ لم يَدَعْ   تَرَاوُحُ حافاتِ السَّماوِ له صَدْرا

يعني بالأقصم الخِلالَ الّذي تَخُلُّ به الأعرابُ مواضع الفُتوقِ في أبنيتهم. وجعله أقصم لانكسار فمه من طول اعتماله (المخصص:٩/٢).

أبو حنيفة: الفَلَكُ(*): مدار النجوم الذي يضمها، وهو في اللغة اسمٌ يقع للاستدارة(٤٤). ومنه قيل للنّجف من الأرض فَلَكٌ. ومنه فَلَّك ثَدْي الجارية عند استدارة أصله قبل النُّهود. وليس قولُ من قال الفلك هو القُطْبُ بشيء: لأنّ القُطبَ لا يزولُ كما لا يزولُ قطب الرّحى. والفلكُ: دوّارٌ يدورُ بدَوْرِهِ كُلُّ ما فيه(٤٥). (المخصص:٩/٦).

أبو حنيفة: ويقال للسّماء الجَرْبَاءُ(*)(٤٦) من أجل كواكبها تشبيهًا بما يثُورُ في جِلْدِ الجَرْبَاء. (المخصص:٩/٦).

أبو حنيفة: الرّقيع(*) اسمٌ لها علَمٌ. وجمعُها أرْقِعَةٌ. وقيل: الرّقيع: السّماء الدّنيا مذكّرٌ وقيل: كلُّ واحدةٍ

٤٣- السماء يؤنث ويذكر. والتذكير قليل. كأنها جمع سماوة وسماءة. قال رجل من بني سعد:

زهرٌ تَتَابعَ في السّماءِ كأنّما   جلَدَ السُماءَةِ لؤلؤٌ مَنْثُور

فأدخل الهاء فأنث. وقال تعالى: ﴿السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل:١٨). فذكر. وقال الشاعر:

فلو رَفَعَ السّماءُ إليه قوماً   لحِقْنا بالسّماء مع السُّحاب

وأما سماء البيت فزعم يونس بن حبيب البصري (ت١٨٢هـ) أنه يذكر ويؤنث. وكان أبو عمرو بن العلاء(ت ١٥٤هـ) يقول: السماء سقف البيت ينظر المذكر والمؤنث للفراء: ١٠٢. والمذكر والمؤنث لابن الأنباري: ٤٩٢/١ -٤٩٣. والأزمنة وتلبية الجاهلية :١١ -١٢. والأزمنة والأمكنة:٤/٢.

(*) الفَلك: واحد أفلاك النجوم. قال ولا يجوز أن يجمع على فُعَل. وفُلْكَةُ المغزل سميت. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢٥٩/٢. مادة (فلك).

٤٤- يقول قطرب (ت٢٠٧هـ): أمّا الفَلَك فمستدار قطبِ السّماء" الأزمنة وتلبية الجاهلية:١٥. وينظر: الأزمنة والأمكنة:٦/٢-١٥. قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء:٣٣).

٤٥- الأزمنة والأمكنة:٧/٢-٨.

(*) الجرباء: السماء سميت بذلك لما فيها من آثار المجرة. والنجوم كأثر الجرب في الدّابّة. ينظر: الصحاح في اللغة: ١٨٠/١. مادة (جرب). والأزمنة وتلبية الجاهلية:١٣. و الأزمنة والأمكنة:٦/٢.

٤٦- الأزمنة وتلبية الجاهلية:١٣. والأزمنة والأمكنة:٦/٢.

(*) الرقيع: سماء الدنيا. وكذلك سائر السموات والجمع أرْقِعَة. ينظر الصحاح في اللغة: ٤٩٩/١. مادة (رقع).-

من السموات رقيعٌ للأخرى[٤٧]. وفي الحديث: "لقد حكَمْتَ بِحُكْمِ الله مِنْ فوقِ سبعةِ أرقِعَة"[٤٨] على التذكير ذهب إلى السقف. (المخصص:٧/٩).

أبو حنيفة: وهي الخضراءُ للونها اسم واقع كالغَبْراء. وهي الخَلْقَاءُ[*] لالتِئامها[٤٩]. (المخصص:٧/٩).

أبو حنيفة: كَبِدُ السّماء[*]: وسطُها. وكذلك كبيداؤها. وكُبَيْدَاتُها (المخصص:٧/٩).

أبو حنيفة: وعَيْنُهَا: ما بين الدَّبُورِ والجَنُوب عن يمينك إذا استقبَلْتَ القبلةَ قليلاً. وقيل العين عن يمين قبلةِ العِراقِ (المخصص:٧/٩).

أبو حنيفة: ويقال للمجرّة أيضًا شَرَجُ السّماء: أي مَجْمَعُها كَشَرَجِ القُبّةِ والهواءُ ممدودٌ: الفَتْقُ الذي بين السماءِ والأرضِ في كلّ وَجْهٍ. والجمع أَهْوِيَةٌ. (المخصص:٧/٩).

أبو حنيفة: وهو السُّكاكُ والسُّكَاكَة[*]. (المخصص:٧/٩).

أبو حنيفة: اللُّوحُ[*].

والشَّجَاجُ[*] كالسُّكَاكِ. (المخصص:٨/٩).

أبو حنيفة: آفاقُ السّماء: ما انتهى إليه البصر منها مع وجهِ الأرضِ من جميع نواحيها. وهو الحَدُّ بين

٤٧- الأزمنة وتلبية الجاهلية:١٣. والأزمنة والأمكنة:٥/٢. جاء فيه "وذكر بعضهم أنه: سمي السماء الرقيع. لأنها الشيء الذي رُقِعت به الأرض".

٤٨- ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:٢٥١/٢. مادة (رقع).

(*) الخلقاء: السماء لملاستها كالخلقاء من الحجارة. ولاستوائها. ينظر لسان العرب:٩٠/١٠. مادة (خلق).

٤٩- الأزمنة وتلبية الجاهلية:١٣. والأزمنة والأمكنة:٦/٢. جاء فيه "ومن أسماء السّماء (الخلقاء) و(الجرباء). وكأنها سُمّيت خلقاء: لأنها ملساء كالخَلْقَاء من الحجارة... وكأنها سُمّيت جَرْبَاء لما فيها من آثار المجرّة والنّجوم كأثر الجَرَبِ في الدّابّة. والله أعلم". أما المرزوقي فأجاب من حيث تساءل: "فإن قيل كيف يكون جرباء ويكون ملساء؟ قيل: إنما سميت بالصفات على حسب أحوالها فإذا اشتبكت نجومها. فهي الملساء. هذا كما سُمّيَ البحرُ المَهْرقان فعلان، من المهرق. وهي فارسية مهره. وإنما أريد به ملاسته واستواؤه إذا انقطع عنه المَوجُ على أن قولهم الخَلْقَاء لا يُنافي الجَرْبَاء، إن كان المرادُ بالجرباء النجوم التي فيها". الأزمنة والأمكنة:٦/٢.

(*)- كبدُ السّماء: وسطها. يقال: كَبَدَ النجم السماء أي توسطها. وتكَبَّدت الشمس أي صارت في كبد السماء: كبيدات السماء كأنهم صغّروا كبيدة ثم جمعوا: ينظر: الصحاح في اللغة :٣٧٠/٢. مادة (كبد).

(*) السّكاك والسّكاكة: الهواء الذي يُلاقي أعنان السّماء. ومنه قولهم: "لا أفعل ذلك ولو نزوت في السكاك" أي في السماء. ينظر الصحاح في اللغة :٥٩٩/١. مادة (سكك).

(*) اللّوح: بالضم الهواء بين السماء والأرض. يقال: "لا أفعل ذلك ولو نزوت في اللُّوح" أي: ولو نزوت في السكاك. ينظر المصدر السابق: ٤٦١/٢. مادة (لوح).

(*) الشجاج: الهواء وقيل: الشجج نجم. واحدها شجج. وقد شجّه يشُجه ويَشجه شجًا. فهو مشجوج وشجيج: ينظر: لسان العرب: ٣٠٤/٢. مادة (شجج). والصحاح في اللغة: ٦٤٧/١. مادة (شجج).

ما بَطَنَ من الفَلَكِ وظَهَرَ. وآفاق الأرض: أطرافُها من حيث أحاطتْ بك. وأعنان السّماء(*): نواحيها. وعنانُها: ما عَنَّ منها إذا نظرتَ إليها. ويقال عَنانُ السَّماء: كبدها. (المخصص:٩/٨-٩).

١- أسماء المنازل وصفاتها:

قال أبو حنيفة: المنازلُ ثمانيةٌ وعشرونَ منْزلاً، وتسمّى نُجومًا، وإن كان منها ما هو كوكب واحد، وكان منها ما هو أكثر. وقد قيل للثريا(*). النّجمُ جُعل اسمًا لها علمًا وهي ستة كواكب. وقد يقع النّجم على واحد وعلى جماعة وأمّا الكوكب، فلا يقع إلاّ على واحد (المخصص:٩/٩).

أبو حنيفة: نجوم الأخْذ: منازلُ القَمَر، سميت بذلك لأخذه كل ليلة منها في منزل. يقال أخذَ القمر نجمَ كذا: نزل به. وأنشد أبو عبيد(٥٠): وأخْوَتْ(*) نُجـومُ الأخْذ(*) إلاّ أنِضّةً(*) أنِضَّةَ مَحْلٍ(*) ليسَ قاطِرُها(*) يُثْري(*).

أبو حنيفة: وقيل نجومُ الأخذِ: هي التي يُرْمى بها مُسْتِرقُ السَّمْعِ، لأنها تأخذه. وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾(٥١). قيل: إنّ القرآن كان ينزل نجومًا، فأقسم بالنَّجم منه إذا نَزَل. (المخصص:٩/٩).

أبـو حنيفـة: وأوّل مـا يبدؤون بـه منهـا الشَّرطَـان(*)، ثمّ يعدُّون البطينَ(*)، والثُّرَيّا(*)، والدَّبَران(*)،

(*) أعنان السماء: صفائحها وما اعترض من أقطار، كأنه جمع عنن. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/١٧٠، مادة (عنن).

(*) الثريا: مؤنثة بحرف التأنيث مصغّرة، ولم يسمع لها تكبير. وكذا الثريا من السُّرج. وهي كذلك النجم. ينظر: الصحاح في اللغة:١/١٥٤، مادة (ثرا). والمذكر والمؤنث لابن الأنباري: ١/٥٧١. والمخصص:٨/١٧٠.

(٥٠) الغريب المصنف: ٢/٢٠، وفيه: أنشدني الفراء. والبيت دون عزو في الأزمنة والأمكنة: ١/١٨٥. ومعجم مقاييس اللغة:٢/٢٢٥. مادة (خوى).

(*) أخوت: قالو: أخْوَت النجوم تخوية، وخوت النجوم تخوي خيًا. إذا أمحلَت فلم يكن لها مَطر أي أنها سقطت ولم تمطر في نوئها. ينظر:الصحاح في اللغة:١/٢٧٩، مادة (خوي). والأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٠. والغريب المصنف:٢/٢٠.

(*) الأخذ: أن تأخذ كُلّ يَوم في نوء. يقالُ: أخذ القَمَرُ نَجمَ كذا: إذا نَزَلَ به. ينظر. الغريب المصنف:٢/٢٠. الأزمنة والأمكنة :١/١٨٥.

(*) الأنِضّة: جمع نضيض وهو من الماءِ القليلُ. ينظر: معجم مقاييس اللغة:٥/٣٥٨. مادة (نض).

(*) المحْلُ: الجَدب وانقطاع المطر ويُبْسُ الأرض من الكلأ. ينظر القاموس المحيط: ٤/٥٠. مادة (المحل). معجم مقاييس اللغة:٥/٣٠٢.

(*) القاطرْ: القليل من الماء. القاموس المحيط: ٢/ ١٢٢. مادة (قطر).

(*) يثري: أي يبل الأرض. ينظر: الغريب المصنَّف: ٢/ ٢٠.

٥١- النجم:١.

(*) الشرطَان: كوكبان مُفترقان. مع الشّمال منهما كوكبٌ أصغرُ منه. وإنّما سُمِّيا الشَّرطيْن لأنّهما كالعلامتين، أي سقوطهما ابتداءُ المطر. فالشَّرطُ الأول العلامة. الأنواء للزجاج: ٢٤.

(*) البطَيْن: ثلاثة كواكب صغار متقاربة. طُمْسٌ غير نَيِّرات. وإنَّما سُمّيَ البُطَيْن: لأنّهُ بَطْنُ الحَمَل. المصدر السابق:٢٥.

(*) الثُّريا: وتسمى النجم والنَّظْم. وهي من أرجى الأنواء عند العرب. والثُّريا سِتَّةُ كواكبَ مجتمعات طُمْس. والثُّرَيَّا تصغير ثروى. وإنما سُمِّيت بذلك لأنَّ مطرها منه تكون الثروةُ والنَّدى. المصدر السابق: ٢٥.

والهقعة والهَنْعَةَ. والذِّراع. والنَّثْرة. والطَّرْف. والجَبْهَة. والزُّبْرَة(*). والصَّرفة(*). والعَوَّاء(*) بالقصر والمدّ والسِّماك الأعزل(*). والغَفْر(*). والزُّبانى(*). والإكليل(*).

والقلب(*). والشَّوْلة(*). والنَّعائِم(*). والبَلْدَة(*). وسَعدَ الذّابح(*). وسعد بُلَع(*). وسعد السُّعود(*).

(*) وهو لأربع وعشرين تخلو من تشرين الآخر. المصدر السابق: ٣٦.

(*) الزبرة: الشّعر الذي بين كتفي الأسد. الليث. وهو شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد. وفي مرفقه: والزبرة كذلك كوكب من المنازل على التشبيه بزبرة الأسد. ينظر: لسان العرب: ٣١٦/٤. مادة (زبر).

(*) الصّرفة: إنما سميت صرفة لانصراف الشتاء. فهي تعد من منازل الربيع. ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٣.

(*) العَوّا أو العوّاء: مؤنثة تمد وتقصر. وهي اسم لكوكب. وهي خمسة كواكب. كأنّها معطوفة الذَّنب. وسُمِّيت العوّاء للانعطاف الذي فيها. وقد قال بعضهم: إنّما سُمِّيَت العوّاء. لأنها خمسةُ كواكب كأنّها خمسةُ كلاب تَعوي خَلْفَ الأسد. وهذا غلط: لأنّ هذه الخمسة منعطفة. فلذلك سميت بالعوّاء. ويزعم الزجّاج (ت٣١٦هـ) أنه لا يعلم أحدًا فسّرها من قبلُ غيره. ينظر: الأنواء للزجاج: ٢٥. والمخصص:٨/١٧. والمذكر والمؤنث لابن الأنباري: ٥٧٤/١. والمذكر والمؤنث. لابن التستري:٩٣.

(*) وهو كوكب أزهر. أحدُ ساقي الأسد. وسمِّيَ الأعزل: لأنه لا كوكب معهُ. وقيل: سمِّي السِّماك الأعْزَل: لأنّ القَمَرَ ينزل به. وإنما سمي سماكًا. على قول سيبويه (ت١٨٠هـ): لأنه سمك أي ارتفع. والسِّماك الرّامح السّاق الأخرى. ومع السِّماك كوكب قُدّامه. يقال هو رُمحُه. ينظر: الأنواء للزجاج:٢٦.

(*) الغَفْرُ كواكب غير زُهْر. منها كوكبان قُدّامَ الزُّبنيين وإنما سُمي الغَفْر من الغُفْرَة. وهي الشَّعْرُ الذي في طَرَف ذنب الأسد. وقيل: إنما سميت الغَفْر: لأنها كأنّها ينقصُ ضوؤها. يقال: غَفَرتُ: أي غطيتُ. المصدر السابق:٢٦. والغريب المصنف: ٥٧٣/١.

(*) الزُّبانى: كوكبان مُفترقان. وهما قَرْنَا العقرب. وبعض العَرَب تسميها يد العقرب. وإنما سمي الزُّبانى من الزَّبن. وهو الدَّفع. فكلُّ واحد منهما يُدفعُ عن صاحبه. غير مُقارِن له. ينظر: المصدران السابقان:٢٧ و٥٧٧/١.

(*) الإكليل: ثلاثةُ كواكبَ مصطفة على رأس العقرب. فلذلك سمِّيَ الإكليل. الأنواء للزجّاج: ٢٧.

(*) القَلْبُ: كوكبُ أحمَرُ نيِّرٌ. وإنما سُمِّيَ القَلْب. لأنه قلبُ العقرب. وقلب الشيء خالصه. ينظر المصدر السابق: ٢٧.

(*) الشَّوْلة: كوكبان مفترقان. أحدهما مُضيءٌ. وإنما سمِّت الشَّوْلة لأنها ذَنَبُ العقرب. وذَنَبُ العقرَب شائلٌ (مرتفع) أبدًا. وأهل الحجاز يُسمون الشَّولة الإبرة. والإبرة حُمَةُ العَقْرَب. ينظر: المصدر السابق:٢٨.

(*) النَّعائم: ثمانية كواكب زُهْرٌ مُضيئة. أربعةٌ منها في المجَرّة. تسمى الواردة. وأربعةٌ خارجةٌ منها. تُسمى الصّادرة. وإنما سمِّيَت النَّعائِمَ تشبيهًا بالخَشَبات التي تكون على البئر. فكأنّها أربعٌ كذا. وأربعٌ كذا. كهيئة الخَشَبَة التي على البئر تُعلّقُ فيها البكرة والدّلاءُ. المصدر السابق: ٢٩.

(*) البَلْدَة: فرجةٌ بين النَّعائم وسعد الذابح. وهو موضعٌ خالٍ. وليس فيه كوكبٌ. وإنما سُميت البلدة تشبيهًا بالفرجة بين الحاجبين اللذين هما غير مقرونين. المصدر السابق: ٣٠.

(*) سعد الذابح: كوكبان صغيران. أحدهما مرتفعٌ في الشمال. والآخر هابطٌ في الجنوب. مع الشمال منهما. وهو الأعلى. كوكبٌ صغير. يقالُ: إنّ ذلك الكوكب شاتُهُ التي يذبح. وبذلك سمِّيَ الذابح. وبين كوكبين قدرُ ذراعٍ في مرآة العين. المصدر السابق:٣٠.

(*) سعْد بلع: كوكبان صغيران مستويان في المجرى. وإنّما سُمي بُلَعَ لأنّ الذَّبحَ معه كوكب. بمنزلة شاته وهذا لا كوكب معه. فكأنه قد بلع شاته. وقال بعضهم: إنما سمي بُلَع. لأنّ بين الكوكبين قدر ذراع في مرآة العين. فصورته صورةُ فضمٍ مفتوح ليَبْلَعَ. المصدر السابق: ٣٠.

بُلع: لأن بين الكوكبين قدر ذراع في مرآة العين. فصورته فضم مفتوح ليبعَ. المصدر السابق:٣٠.

(*) سعْد السُّعود: وهي ثلاثة كواكب. أحدُها أنورُ من الآخرين. وإنما قيل له سعدُ السُّعود. لأن طُلُوعه يقع عند انكسار الحرّ وابتداء الأمطار ورعي الماشية. وإنما سمي سعد السعود. لأنّ في وقت طلوعه ابتداء ما به يعيش الناس وتعيش مواشيهم. المصدر السابق:٣٠.

وسعدَ الأخْبية(*)، والفَرْغَ الأول(*)، والفرغ الثاني(*)،

والرشاء(*). الأشراطُ: الشَّرَطانِ والكوكب الذي بينهما واحدها شرطٌ، وليس يمنع تحريكه في التثنية من أن يكون الواحد شرطًا بإسكان الراء، وإذا نسب إليها لم ينسب إلا بالجمع أو الإفراد. (المخصص: ٩/ ١٠).

أبو حنيفة: الشَّرطان: قرنا الحمل، ويسمونها النَّطْحَ. (المخصص: ٩/ ١٠).

أبو حنيفة: الأَبْيَسان: كوكبان بين يدي الشَّرطين شبيهان بهما، وأما البُطين ويقال البطنُ: فثلاثة كواكب خفيةٌ على إثر الشَّرطين بين يدي الثُّريّا، وأما الثريّا فلا يتكلمون بها مُكَبَّرَةً، وهي تصغير ثروى مشتق من الثّروة في العدد، وهي أنثى ثَروان. ويقال للثُّريَّا: الحمل، والدَّبَرَان(*): الكوكب الأحمر الذي على إثر الثُّريا بين يديه كواكب كثيرة مجتمعة من أدناها إليه كوكبان صغيران يكادان يلتصقان به كلباه، والبواقي: غُنَيْمَتُه، ويقولون قِلاصُه. وسمي دبرانًا لدُبُره الثُّريَّا كما قيل أبيانٌ، ولذلك سمي تالي النجم، وحادي النَّجم، ثم كثر حتى عُرِف بالتابع مفردا من غير إضافة، وليس كل كوكب دَبَرَ كوكبًا يسمى دبرانًا. (المخصص: ٩/ ١٠).

أبو حنيفة: ويقال للدَّبران: المِجدَحُ والمُجدَحُ(*)، وأنشد:

وَأَطْعَنُ بالقوم شَطْرَ المُلُو ... كِ حتىَّ إذا خَفَقَ المجْدَحُ

(*) سعْد الأخبية: كوكبان عن شمال الخِباء، والأخبية أربعة كواكب، واحدٌ منها في وسطها يسمى الخباء، لأنه على صورة الخباء، وبذلك سُمّي. ينظر: المصدر السابق:٣١.

(*) الفرغ الأول: ويسمى فرغ الدَّلو الأعلى، وإن شئت قلت عرقوة الدلو العُليا، وهما كوكبان أزهران مفترقان، وقال بعضهم: إنما سُمّيَ الدَّلو الأعلى، لأن في وقته تأتي الأمطار، فكأنه فرغُ الدَّلو وقال بعضهم: إنما سمي العرقوة تشبيهًا لعراقي الدَّلو، لأنَّ صُورة الكوكبين الذين هما العرقوة العليا واللذين هما العرقوة السفلى، على صورة صبيب الماء. ينظر: المصدر السابق:٣٢.

(*) الفرغ الثاني: ويسمى فرغ الدَّلو الأسفل، وبعضهم عرقوة الدَّلو السُّفلى، وهما كوكبان مفترقان يتبعان عرقوة الدَّلو العُليا. ينظر المصدر السابق: ٣٢-٣٣.

(*) الرِّشاء: هو قلب السِّماك أو بطن الحُوت أو قلبُه أو السمكة، لأنه في موضع البطن منه من الشق الشرقي نجم منير به ينزل القمر يسمونه كذلك، والمنجمون يسمونه "قلب الحوت". والحوت: كوكبٌ أزهرٌ نَيِّرٌ، في وسط من السمكة، مما يلي رأسها، وهي كواكبُ تتدرجُ من فم السَّمكة، ولا تزال تتسع كالجبلين إلى وسطها، ثم لا تزال تنضمُّ إلى ذنبها. ينظر: المصدر السابق:٣٣. وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس:٢٠٥، ومفاتيح العلوم: ١٢٤.

(*) الدَّبران: نجم يدبر الثريا، لزمته الألف واللام، لأنهم جعلوه الشيء بعينه. قال سيبويه: فإن قيل: أيقال لكل شيء صار خلف شيء دبران؟ فإنك قائل: لا ، ولكن هذا بمنزلة العدل والعديل، وهذا الضرب كثير أو معتاد . أما الجوهري، فيرى أن الدبران خمسة كواكب من الثور ، يقال إنه سنامه، وهو من منازل القمر. أما قطرب فيرى أنه في الأصل دبدان وما هذا إلاّ تحريف. ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٣، ولسان العرب:٤/ ٢٧١، مادة (دبر).

(*) المجدح: نجم من النجوم يقال له الدَّبران، لأنه يطلع آخراً، ويسمى حادي النجوم، وهو عند العرب من الأنواء الدَّالة على المطر، ومجاديح السماء: أنواؤها. ينظر الصحاح في اللغة :١/ ١٧٣، مادة (جدح) والنهاية في غريب الحديث والأثر:١/ ٢٤٢، مادة (جدح).

وأما الهقعةُ فثلاثة كواكبَ صغارٌ مُتَفَشّاةٌ. وتسمى الأثافي[*]، تشبيهًا بها. وأمّا الهنعةُ: فكوكبان بينهما قيدُ سوطٍ رأيَ العين على إثر الهقعة. وسميت هنعةً لتقاصرها عن الهقعة والذراع المبسوطة. وهي بينهما مُنْحطّةٌ عنهما. وتهانُع الطائر الطويل مُقاصَرَتهُ من عُنُقه. ويقال الهنعة: الذَّرُّ والميسانُ و والتُّحايي: ثلاثة كواكب بحذاء الهنعة الواحدة: تِحْياةٌ. ويقال لأحد كوكبي الذّارع المقبوصة الشِّعري الغُميصاءُ[*]. وقد تكبر. (المخصص: ٩/١١).

أبو حنيفة: ويقال لكوكبها الآخر الشّمالي: مرزم الذراع وهما مرزمان هذا أحدهما. والآخر في الجوزاء. (المخصص: ٩/١٠).

أبو حنيفة: النَّثْرةُ: ثلاثة كواكب متقاربة أحدها كأنه لطخةٌ. يقولون هي نثرة الأسد: أي أنفه. تسمي اللطخة اللَّهاة. والزُّبرةُ زُبرَةُ الأسد: وهي كوكبان على إثر الجبهة بينهما قيد سوط رأي العين. ويقال لهما الخراتان والصَّرفةُ: كوكب واحدٌ نيِّرٌ على إثر الزُّبْرَة سمي صرفة لانصراف الحر عند طلوعه غدوةً. وانصراف البرد عند سقوطه غُدوةً. وأما العوّاء. فجعلها بعضهم أربعة كواكب. وبعضهم خمسة سميت عَوّاءً بالكوكب الرّابع الشّمالِ منها. ويقالُ لها عَوّاءُ البرد. ويزعمون أنها إذا طلعت أو سقطت جاءت ببردٍ فلذلك قيل: لها عوّاء البرد. والسِّماكُ: كوكبان. يسمّى أحدُهما الرّامحِ لكوكبٍ صغيرٍ بين يديه. وهما سماكان لسموكهما. وإن كان كلُّ كوكب قد يسمكُ. (المخصص: ٩/١١-١٢).

أبو حنيفة: البَلْدَةُ: رقعةٌ من السماء لا كوكب فيها بين النَّعائم وبين سعد الذابح. وأمّا سَعدُ بُلَعَ. فنجمان نحوٌ من سعدِ الذَّابح أحدهما خَفيّ جدًا. وهو الذي بلَعه: أي جعله بُلَع كأنه مسترط. (المخصص: ٩/١٢).

قال: وبلغني أنه سمي بُلَع: لأنه فيما يزعمون طَلَعَ حين قال الله تعالى: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[52]. ولست أدري ما هذا. ويقال لما بين المنازل الفُرَجُ والفُرْجَة التي بين الثُّريَّا والدَّبران يقال لها: الضِّيقةُ لضيقها. (المخصص: ٩/١٢).

أبو حنيفة: إذا لم يَعْدِلِ القَمَرُ عن منزله قيل: كالحٌ[53].

(*) الأثافي: جمع أثفية. وهي الحجارةُ التي تُنصَبُ عليها القِدْرُ. ينظر: معجم مقاييس اللغة:١/٥٧. مادة (أثف).

(*) الشعرى: مؤنثة بحرف التأنيث. وهما الشِّعْرَيان: العَبُور. وهي التي خلف الجوزاء. وقيل لها العَبُور: لأنها تعبر المجرَّة. والأخرى الغُمَيْصاءُ. ويقالُ لها: الغَمُوصُ. وهي في الراع أحد الكوكبين. ينظر: الغريب المصنف:١/٥٧٢. والمخصص:١٧/٨. والمذكر والمؤنث لابن الأنباري:١/٥٧١. قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾. النجم:٤٩.

٥٢- هود:٤٤.

٥٣- الكلاخ: بالضمّ السنة المجدبة. ينظر: الصحاح في اللغة :٢/٤٠٣. مادة (كلح).

٢- البروج(*):

أبو حنيفة: هي اثنا عشر بُرجًا: الحمل وهو الكبش ثم الثَّورُ ثم الجوزاء: وهي الصُورة ثم السرطان ثم الأسدُ ثم السُّنبُلَةُ: وهي العذراءُ والميزانُ والعقربُ والقوسُ(*): وهي الصورة والرَّامي: والجَدي والدَّلو والحوت: وهي السَّمكةُ. وأما القوس فإنَّ الكوكب الذي يرى قومٌ أنَّ البرجَ سمي به ويشبهونه بصورة القوس تسمية العرب القلادةَ والأدْحيَّ، والكواكب الملتفَّة التي يسميها قوم السنبلةُ هي عند العرب هُلْبَةُ الأسدِ. والهُلبَةُ(*): هي الجمعة من الشَّعر تكون على طرف ذنب الأسد (المخصص:١٢/٩).

٣- الأنـواء:

أبو حنيفة: ناءَ الكوكبُ نَوءًا وتنواءً ونَوءَةً: أول سقوطٍ يدركه بالأفق بالغداة قبل امحاقِ الكواكب بضوءِ الصُّبح. (المخصص:١٣/٩).

قال: وقد تكلم علماء العربية في تفسير النَّوء فقال بعضهم: سمّي نوءًا لطلوع الرَّقيب لا لسقوط السَّاقط.

(*) البُروجُ والأبراجُ: واحدهما بُرج. النَّجمُ أو الكوكبُ أو القصر أو الحصنُ. جاء في التنزيل العزيز الحكيم: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾. (البروج:١). قال أبو إسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ). قيل: ذات الكوكب. وقيل ذات القُصور في السماء. وعن الفراء(٢٠٧هـ). فاختلفوا في البروج، فقالوا: هي النجوم. وقالوا هي البروج المعروفة اثنا عشر برجاً. وقالوا: هي القصور في السماء. والله أعلم بما أراد. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾. (النساء:٧٨). فالبروج هاهنا: الحصون، وقال الزجاج(ت٣١١هـ) في قوله عز وجل من قائل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾. (الحجر:١٦). قال: البروج الكواكب العظام. ينظر: لسان العرب:٢/٢١٢، مادة (برج). ومعجم مقاييس اللغة: ١/٢٣٨ مادة (برج). والناس مجمعون على أنها اثنا عشر بُرجًا. كلُّ برج منها يومان وثلث. مسيرُ القمر في كل برج منزلتان أو يومان وثُلث. وهي للشمس شهرٌ. إذا غاب منها ستة طلع ستة. ولكل برج اسم على حده. وتسميها كل أمّة بلغتها. ويتفقون في المعنى على معاني لغة العرب. ويبدؤون كما يبدأ العرب بالحمل ويسمى الكبش. ثم الثور والجوزاء ويسميها المنجمون التوأمين. فأما الصورة فيسمونها الجبّار. والبشر. وهما ليسا عند العرب. والسّرطان. والأسد. والسنبلة ويسميها المنجمون العذراء. والميزان. والعقرب وتسمية العرب الصورة. والقوس ويسميه المنجمون الرّامي. والجدي. والدّلو. والحوت وهو السمكة. ومما هو معلوم فإنَّ لكل منزلتين وثلث برجًا بحيث نبدأ من الحمل بالبروج. وبالمنازل من الشرطين:

- الحَمَل: الشرطين والبطين وثلثُ الثُّريَّا - الثَّوْرُ: ثلثا الثُّريا والدَّبران وثلثا الهُقْعَة - الجوزاء: ثلثُ الهقعة والهنعة والذّراع - الشرَطان: النثرة والطَّرف وثلث الجبهة - الأسَد: ثلثا الجبهة والزُّبرة وثلثا الصَّرفة - السُّنبُلَةُ: ثلث الصرفة والعواء والسِّماك - الميزان: الغفر والزباني وثلثُ الإكليل - العقربُ: ثلثا الإكليل والقلب وثلثا الشَّولة- القوسُ: ثلثُ الشولة والنعائم والبلدة - الجديُ: سعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السُّعود - الدّلو: ثلثا سعد السُّعود وسعد الأخبية وثلثا الفرغ المقدَّم - الحوت: ثلث الفرغ المقدَّم والفرغ المؤخر والرِّشاء. (ينظر: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: ١٩٨-٢٠٥). على أن لكلِّ نجم في الأنواء رقيبة ومعنى الرُّقباء أنها إذا غاب منها نجم طلع رقيبه. وإذا طلع منها نجم غاب رقيبه: من ذلك: الشَّرطان رقيبه الغفر. والبطين رقيبه الزُّباني. والثُّريَّا رقيبها الإكليل. والدَّبران رقيبه القلب. والهقعة رقيبها الشُّولة. والهنعة رقيبها النَّعائم. والذراع رقيبها البلدة. والنثرةُ رقيبُها سعدُ الذَّابح. والطرفُ رقيبهُ سعد بُلع. والجبهةُ رقيبُها سعدُ السُّعود. والخراتان رقيبها سعْدُ الأخبية. والصرفة رقيبها عرقوةُ الدَّلو العُليا أو فرغ الدَّلو الأعلى. والعواء رقيبها غرقوةُ الدَّلو السفلى. والسِّماكُ رقيبه الحُوتُ. ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية:٣١. والأنواء للزجّاج: ٥٣.

٥٤- ينظر: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس:٢٠٥، ومفاتيح العلوم: ١٢٣.

(*) الهلبة: شعر الخِنْزِير. والجمع هُلَبٌ، وكذلك ما غَلُظ من شعر الذَّنب: ينظر: الصحاح في اللغة :٢/٦٤٤، مادة (هلب).

وذهب إلى أن النَّوءَ في اللغة النُّهوض. ولو كان هذا هكذا لم تكن على العرب مؤنةٌ أن يجعلوا النائي هو الطالع. وأن يتركوا السُّقوط. وقيل النَّوء السُّقوط والميلانُ. ومنه قولهم: ما ساءك وناءك. ومعناه أناءك فألقى الألف للإتباع. فالنوء على هذا التفسير من الأضداد. ولو لم يكن النوءُ إلاّ للنهوض لكان لقولهم: ناء النَّجم. وهم يريدون سقط مذهب على طريق التفاؤل. كأنهم كرهوا أن يقولوا سقط فأما من ذهب إلى أن الكوكب ينوء ثم يسقط: فإذا سقط فقد تقضَّى نوءه ودخل نوء الكوكب الذي بعده فإن تأويل النَّوء في قول هؤلاء هو التأويل المشهور الذي لا يُنازع فيه: لأنّ الكوكب إذا سقط النجم الذي بين يديه أطلَّ على السقوط وكان أشبه شيءٍ حالاً بحال الناهض ولا نهوض به حتى يسقط: لأنّ الفلك يجترُّه إلى الغور فكأنه مُتحاملٌ بعبءٍ قد أثقله وغلبه فالنوء ما بيناه. ويجمعُ النوءُ أنواءً ونواءً. وأما البوارحُ(*). فقد زعم قومٌ ليس لهم باللغة علمٌ أنّ البَّارحَ ضدُّ النوءِ. وأنه طلوعُ الرقيب فيقولون: برحَ الكوكبُ: طلع. وذلك غلطٌ: وإنما البوارحُ: الرياحُ الصيفية سمّيتْ بوارحَ: لأنها في السموم(*) التي تأتي من الشَّمال. وقيل البارح: شدَّةُ الرِّيحِ في البردِ والسَّمُومِ وهو مذكر. (المخصص:٩/١٣).

قال: وبعضُ الأنواءِ أغْزر عندهم من بعض وأحمدُ. فنوءُ الشَّرطين ثلاث ليالٍ. وهو محمودٌ مذكورٌ[55]. ونوءُ البطين كذلك إلاّ أنه غير محمود ولا مذكور[56]. ونوء الثُّريَّا خمسُ ليالٍ. وقيل سبعٌ. وهو محمودٌ مشهورٌ[57]: ونوءُ الدَّبرانِ ثلاثُ ليالٍ. وقيل ليلةٌ. وهو غير محمود[58]: ونَوءُ الهَقْعَةِ ستُّ ليالٍ. ولا يذكرون نوءها إلاّ بنوء الجوزاء[59]. والجوزاءِ مشهورٌ بالنَّوءِ مذكورة. والهقعةُ رأسُها[60]: ونوء الهنْعةِ ثلاث ليالٍ. وهي

(*) - البوارح: شدة الرياح من الشمال في الصيف دون الشتاء. كأنه جمع بارحة. وقيل البوارح الرياح الشدائد التي تحمل التراب في شدة الهبوات. واحدها بارخ. والبارح: الريح الحارة في الصيف. والبوارح الأنواء: حكاه أبو حنيفة (ت٢٨٢هـ) عن بعض الرواة: ينظر: لسان العرب: ٢/٤١٠-٤١١. مادة (برح). والصحاح في اللغة: مادة (برح) والقاموس المحيط: ١/٢٢٢. مادة(برح) والمخصص:٩/١٤.

(*) السَموم: الرِّيحُ الحارَّة بالنَّهار. وقد تكون بالليل. ينظر:الأنواء للزجّاج:٤٩. ولسان العرب: ١٢/٣٠٤. مادة (سمم).

٥٥- وهو لتسع عشرة تمضي من تشرين الأوّل. يسقط الشُّرطان في المغرب. ويطلع الغفرُ في المشرق غدوة. وتنزلُ الشمس الإكليل. وفي هذا النَّوء يُخدرُ النَّحلُ. ويُقطع القصب الفرسيُّ. ويُخرج مطرها الكمأة. ينظر: الأنواء للزجّاج:٣٤.

٥٦- وهو لآخر ليلة من تشرين الأوّل. يسقط البطين في المغرب غُدوةً. وتطلع الزُّبنى في المشرق غدوة. وتنزلُ الشمس القلب. وفيه يُقارب القمر الثُّريَّا لثلاثَ عشرة من الهلال. وفي هذا النوء يدخل النَّاس البيوت في إقليم بابل. وما كان فيه من مطر فيُخرج الكمأة. وفيه يشتدُّ البرد. ويسقط الزُّبل أو الورق الذي ينبت في الخريف. ينظر: المصدر السابق: ٣٥.

٥٧- وهو لاثنتي عشرة تخلو من تشرين الآخر. تسقط الثُّريَّا في المغرب غدوةً. ويطلع الإكليل من المشرق غُدوةً. وتنزلُ الشمسُ الشَّولة. فما كان فيه من مطر بأرض العرب فهو أمطارُ الخريف. ونوءُ الثُّريَّا كثيرُ المطر. ينظر: المصدر السابق ٣٥.

٥٨- وهو لأربع وعشرين تخلو من تشرين الثاني. يسقط الدَّبران في المغرب غُدوةً ويطلعُ فيه العقرب والنسر الواقع من المشرق غُدوةً. وتنزل الشمس بالنَّعائم. وفيه يشتد البرد. وتهبُّ رياحُ الشِّتاء الباردة. ويكثر الماء في عروق الشَّجر. ينظر: المصدر السابق: ٣٦.

٥٩- ينظر: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس:٣٠٤. جاء فيه: ولا يذكرون نوءَها إلا بسُوء.

٦٠- المصدر السابق: ٣٠٤-٣٠٥.

في نوء الجوزاءِ، ولا تكادُ تُفْرَدُ[٦١]؛ ونوء الذِّراع المقبوضة خمسُ ليالٍ، وقيل ثلاثٌ. وهو أوّلُ نوءِ الأسد: وما بين الهنعةِ والغفر من الأنواء أسديَّةٌ كلُّها[٦٢]؛ ونهوءُ الذِّراع محمودٌ عندهم، ومن عادة العرب أن تُذكر مع الذِّراع المقبوضةِ الذِّراع المبسوطةُ فتجمعهما معًا في النّوءِ وهما لا تنوآن معًا، ولا تطلعان أيضًا معًا، ولكن لكثرة صحبة إحداهما الأخرى في الذِّكر؛ ونوءُ النَّثْرَةِ سبعٌ، وهو من الأنواء المذكورة؛ ونوءُ الطَّرفِ ستٌ.(المخصص:٩/١٣-١٤).

قال: ولم أسمع به مفردًا لغلبةِ الجبهةِ عليه[٦٣]، ونوءُ الجبهةِ سبعٌ وهو مشهورٌ[٦٤]؛ ونوءُ الزُّبرَةِ أربعٌ وقلَّما تُفْرَدُ لغلبة الجبهةِ عليها؛ ونوءُ الصَّرفَةِ ثلاث، وهو داخلٌ في أنواء الأسد؛ ونوءُ العوّاءِ ليلةٌ وليس من الأنواء المشهورة؛ ونوءُ السِّماكِ الأعزلِ أربعٌ، وهو مشهورٌ مذكورٌ[٦٥]. وكثيرًا ما يذكر معه السِّماك الرَّامح وليس ينوءُ معه ولكنهما مُتقاربان في الطُّلوع، ولا خيرَ في الرَّامح؛ ونوءُ العقْربِ ثلاثٌ، وقيل ليلةٌ؛ ونوءُ الزُّبانى ثلاث[٦٦]؛ ونوءُ الإكليل أربعٌ[٦٧]؛ ونوء قلب العقرب ليلةٌ، وهو غير محمود[٦٨]؛

٦١- المصدر السابق: ٣٠٥.

٦٢- المصدر السابق: ٣٠٥. وفيه الذِّراع المقبوضة: نوءُها عشر ليال، وقيل ثلاث، ونوءُها أول الأسد وما بين الهنعة والغفر من الأنواء الأسدية. كلُّها وهي ثمانية أنجم. أولها الذِّراع وآخرها السِّماك، وليس له في السَّماء نظير في كثرة الأنواء. ونوء الذّراع محمود عندهم موصوف وربما نسب إلى الذّراع، وربما نسب إلى المرزم. وهو أحد كوكبيها، وربما نسب إلى الشّعري الغُميصاء وهو كوكبها الآخر. وهو أنور كوكبيها.

٦٣- المصدر السابق: ٣٠٥.

٦٤- المصدر السابق: ٣٠٥-٣٠٦.

٦٥- وهو لثلاث ليال تمضي من نيسان. يسقطُ فيها السِّماكُ في المغرب غدوةً مُذ وقت الفجر إلى طلوعِ الشمس. ويطلعُ الحُوتُ من المشرق غُدوةً في هذا الوقت. وتنزلُ الشمس البُطين. وهو نوءٌ غزيرُ المطر قلما يُخلفُ، وفيه أوّلُ حصاد الشّعير. ومطره من مطر الرَّبيع. ينظر: الأنواء للزجّاج: ٢٥.

٦٦- وهو لآخر ليلة من تشرين الأول. يسقط البُطين في المغرب غدوةً، وتطلع الزُّبنى في المشرق غُدوةً، وتنزل الشّمس القلب. وفيه يُقاربُ القمرُ الثُّريَّا لثلاث عشرة من الهلال. وفي هذا النَّوء يدخلُ النَّاسُ البيوت في إقليم بابل. وما كان فيه من مطر فيخرج الكمأةَ. وفيه يشتدُّ البردُ، ويسقط الرُّبلُ أو الورق الذي ينبت في الخريف. ينظر المصدر السابق: ٣٤.

١٢٦- وهو لآخر ليلة من نيسان. تسقُط فيها الزُّبنى في المغرب غُدوَةً. ويَطْلعُ البُطَينُ في المَشْرق غادوةً كذلك غدوة. وتنزل الشمس الدّبران في ذلك اليوم. وفي هذا الوقت يحفُّ العُشب. ويتم فيه حصادُ الشّعير. وأوّل حصاد الحِنطة. ومطره آخر مطر الرّبيع. وأوّل مطر الصَّيف. ينظر: المصدر السابق: ٢٧.

٦٧- وهو لثلاث عشرة تمضي من أيّار. إذ يسقط فيها الإكليلُ في المغرب غدوةً وتطلعُ الثُّريا من المشرق غُدوةً كذلك. وتنزل الشمْس في ذلك اليوم الهقعة. وفيه يطلع العيُّوق (وهو كوكب أحمر مضيء بحيال الثُّريا من الشمال يتلوها ولا يتقدمُها، ويطلعُ قبل الجوزاء) وتهب الرِّياح. ويشتد الحرُّ. ويدرك التفَّاح والبطِّيخُ. ويحفُّ العشبُ. وفي آخره يمد نهر النِّيل ويفيض. ويكثر اللَّبن. ينظر: المصدر السابق: ٢٧. والمعجم الوسيط:٢/٦٢٧. مادة (عاقه).

٦٨- وهو لست وعشرين تمضي من أيّار. ويومئذ يغيبُ القلب في المغرب غُدوةً. ويطلعُ الدَّبرانُ في المشرق غُدوةً. وتنزلُ الشمس الهعنة في هذا اليوم. وذلك أول بوارح الصيف. يشتد الحرُّ بالنهار والحرورُ (الريح الحارة) بالليل ، ويسود العنبُ. ينظر: الأنواء للزجاج: ٢٩. ٤٩.

ونوء الشولة ثلاث[69]. وقلّما يُذكر هؤلاء الأنجم بالأنواء وربما ذُكرت العقربُ مُجملةً: ونوءُ النعائمِ ليلةٌ[70]: ونوء البلدةِ ثلاثٌ. وقيل ليلةٌ. ونوء سعد الذابحِ ليلةٌ. وقلما يذكرونه[71]: ونوء سعد بُلع ليلةٌ. وكذلك نوء سعد السُّعود. وليس بالمذكور[72]. ونوء سعد الأخبية ليلةٌ[73]: ونوع الفرغ الأوّلِ ثلاثُ ليالٍ[74]. ونوع الفرغِ الثاني أربعٌ[75]: وهما من الأنواء المذكورة يُذكران بأسمائهما ويُجمعانِ في جملةِ نوء الدّلو: ونوءُ الحُوتِ[76]: وليس بالمذكور يغلبُ عليه ما قبلهُ وما بعدهُ فلا يُذكرُ. وإنما جعلوا لكلُّ هؤلاء النُّجوم أنواءً موقوتة. وإن لم يكن جميع فصول السَّنة مظنة للأمطار: لأنه ليس منها وقت إلاّ وربما قد يكون فيه المطر: وإذا ذكروا البُروج بالأنواء. وبالبوارح فقد يُحتملُ أن يراد جميع أنوائه: لأنَّ البُرج الواحد يجمع عدّة أنواء. وقد يجوزُ أن يُراد ما أنوائه وليس ذلك على قدر حظه في قسمة المنازل على البروج: لأن منها ما أنواؤه المنسوبة إليه من حُظوظ غيره من البروج كالأسد أوّلُ أنوائه الذِّراع وآخرهُ السِّماكُ وقد سقط به السرطان والسُّنبلةُ والميزان فنسب أنواء حظوظهما من المنازل إلى الأسد. وكذلك العقرب أولُ أنوائها من قسمة الميزان

٦٩- وهو لتسع تمضي من حزيران. وفي ذلك اليوم تسقط الشولة في المغرب غدوةً. وتطلع الهقعة من المشرق غدوةً. وفي اليوم نفسه تنزل الشمس الذراع. وتدرك فيه الفواكة والبطيخ. ويشتد الحرُ. كما تكثر فيه الرّياحُ البوارح والسُّموم. وما كان فيه من مطرٍ فهو الحميم. ينظر: المصدر السابق: ٢٨.

٧٠- وهو لثلاثٍ وعشرين ليلةً من حزيران. وفي ذلك الوقت تسقطُ النعائمُ في المغرب غُدوةً. وتطلع الهنعة في المشرق غُدوةً. وتنزل الشَّمسُ النَّثْرة. وذلك الوقت أرفع ما تكونُ الشمسُ في الهواء. وأقربها من القُطب. وهو ابتداءُ شدَّة الحرّ. وفيه يدرك البُسرُ والتّينُ. ومطرهُ الحميم. وفيه تغورُ المياه المصدر السابق: ٢٩.

٧١- وهو لتسع عشرة تمضي من تمُّوز. يسقط فيه سعد الذابح في المغرب غدوةً. وتطلعُ النَّثْرةُ من المشرق غدوةً. وفي ذلك اليوم تنزل الشمس الجبهة. وذلك أشدُ ما يكون الحرّ. وفيه بوارح وسموم. ويقال: إنَّ في ذلك اليوم تظهر كلُّ آفةٍ تفسدُ شيئًا من الثمار والزرع. المصدر السابق: ٣٠.

٧٢- وهو لأربع عشرة تمضي من آب. يسقطُ سعد السّعود في المغرب غدوةً. وتطلعُ الجبهة في المشرق غدوةً. وتنزل الشّمس الصّرفة. ويومئذ يرى أهل الحجاز سهيلاً. وتنكسر السمائم. ويكثر الرُّطبُ. ويسقط الطلُّ (النَّدى أخفُّ المطر). ينظر: المصدر السابق: ٣١. والقاموس المحيط: ٤/٧. مادة (الطلّ).

٧٣- وهو لسبع وعشرين من آب. يسقط سعد الأخبية فيه في المغرب غدوة وتطلع الخراتان من المشرق غدوةً. وتنزل الشمس العوّاء. ويبرد الليلُ. ويرى أهل العراق ذلك اليوم سُهيلاً. ويكون مع طلوعه حرورٌ وسموم بالنهار. ينظر الأنواء للزجاج: ٣١.

٧٤- وهو لعشر تمضي من أيلول. تسقط عرقوة الدّلو العليا في المغرب غدوةً. وتطلع الصّرفة في المشرق غدوةً. وتنزلُ الشّمس السِّماك الأعزل. وهو نوء مطر ورياح. وينبت الرَّبْل. وهو الورقُ الذي ينبتُ في إقبال البرد. ويتحرك أوّلُ الشّمال. ينظر: المصدر السابق: ٣٢.

٧٥- وهو لثلاث وعشرين تمضي من أيلول. تسقط عرقوةُ الدّلو السُّفلى في المغرب غدوةً. وتطلعُ العوّاء في المشرق غدوةً. وتنزل الشمس الغفر. ويومَ أربع وعشرين منه تنزل الشمس لأول درجة من الميزان. ويستوي الليل والنهار. ويأخذ الليل في الزيادة والنهارُ في النُّقصان. وفيه يطلع السِّماك الرامح. وما كان فيه من المطر فهو من الخريف. وهو ابتداء الخريف وانقضاء الصيف. ينظر: المصدر السابق: ٣٣.

٧٦- وهو لستٍّ يمضين من تشرين الأول. يسقط الحوت في المغرب غدوةً. ويطلعُ السِّماكُ الأعزلُ من المشرق غدوةً. وتنزل الشّمس الزُّبانى. وفيه يُطلعُ الخشبُ. وفيه صرامُ النَّخل (أوان إدراكه وجمعه). وما كان فيه من المطر فهو الوليُّ الذي قبلهُ الوسميُّ. لأنَّ الأوّل يَسِمُ الأرض. وهذا يلي الوسميَّ أي يتلوه. ويطلعُ في آخر اللّيل سُهيل. ينظر: المصدر السابق: ٣٣. والقاموس المحيط: ٤/١٤٠. مادة (صرمة).

وآخرها من قسمة القوس. وآخر أنواء الدَّلو من قسمة الحوت. ولم يدخل في الجوزاء شيء من غيرها. ويزيد النَّوء عندهم غزارةً فإن كان محمودًا فأن يُوافق آخر الشُّهور فيكون في سرارها(*). وقد يحمدونه أيضًا أن يكون في غرة الشهر (المخصص:٩/١٤).

قال: ولا أعلمهم حمدوا المحاق(*) في شيء إلا في الأمطار. وإذا ناءت النُّجومُ بغير مطر: فقد خَوَتْ خيًّا وخُويًّا، وأخْوت، وأخْلَفت. فإن لم تُخلف قيل: صدقَتْ. وما كان فيها من أمطار وبوارح فهي الهيوج الواحد هَيْجٌ. (المخصص:٩/١٤).

٤- ذكر أسجاع العرب في طلوع هذه النجوم:

قال أبو حنيفة: قال فقيه العرب: إذا طلع النّجم(*) فالحر في حَدَم(*). والعشبُ في حَطَم(٧٧). والعاناتُ(*) في كَدَم(*). (المخصص:٩/١٥). (وقيل): إذا طلعَ النجم اتُّقي اللّحم وخيفَ السُّقم وجرى السَّرابُ على الأكم(*).(٧٨). (وقيل): إذا طلع النجم غُدَيَّةً ابتغى الراعي شُكيَّة. و(قيل): إذا طلع النجمُ

(*) السِّرار والسَّرار: ليلةٌ يستترُ الهلالُ. فربّما كان ليلةً، وربما كان ليلتين إذا تمَّ الشَّهرُ. (ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٦٧/٣. مادة (سر). ومن ذلك الحديث: أنه سأل رجُلاً: هل صُمتَ من سِرار الشَّهر شيئًا؟ فقال: لا. فقال: إذا أفطرتَ رمضانَ فصُمْ يومين). وجاء في تفسير قوله ﷺ: هل صُمتَ من سِرار هذا الشهر شيئًا؟: قال الخطابي (ت٣٨٨هـ): كان بعض أهل العلم يقولُ في هذا: إنَّ سؤالهُ سؤال زجرٍ وإنكار. لإنه قد نهى أن يستقبل الشهر بصوم يوم أو يومين. قال: ويشبهُ أن يكون هذا الرجل قد أوجبه على نفسه بنذر. فلذلك قال له في سياق الحديث: إذا أفطرتَ. يعني من رمضان. فصم يومين. فاستحبَّ لهُ الوفاءُ بهما. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٥٩/٢. مادة (سرر).

(*) المحاق: آخر الشهر إذا امّحق الهلال فلم يُرَ. وقال ابن الأعرابي: سمي المحاق محاقًا: لأنه طلع مع الشمس فمحقته فلم يره أحد. وقيل المحاق: ما يرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله. وليالي المحاق: ليالي مرور القمر في مرحلة المحاق. وقد اختلف أهل العربية في ليالي المحاق. فمنهم من جعلها الثلاث التي هي آخر الشهر. وفيها السُّرار. ومنهم من جعلها ليلة خمس وست وسبع. وعشرين لأنَّ القمر يطلع. ينظر: لسان العرب: ٣٢٩/١٠. مادة (محق). والمعجم الوسيط: ٨٥٦/٢. مادة (محق).

(*) يُراد بالنَّجم الثُّريا. ينظر: الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٠. وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس: ٣٠٣ - ٣٠٤.

(*) حدم: احتدم الحرُّ. واحتدم النهار: اشتد حرّه. وخرجت في نهار من القيظ محتدم. وسمعت حدمة النار. وهي صوت التهابها. ينظر: أساس البلاغة. ١١٧. مادة (حدم). والصحاح في اللغة: ١/ ٢٤٤. مادة (حدم) والمعجم الوسيط: ١/ ١٦٢. مادة (حدم).

٧٧- ينظر: الأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٨٠. والأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٥. جاء فيه: 'وقال بعضهم: إذا طلع النَّجم جعلت الهواجزُ تحتدمُ لشدة الحر'.

(*) العانات: جمع عانة وهي الأتانُ والقطيعُ من حُمرُ الوحش. كما تُطلق على شعر الرُّكب. وكواكب بيضٌ من السُّعود. ينظر: القاموس المحيط: ٢٥٢/٤ ٢٥٣ -. مادة (العون).

(*) يقال كَدَم. إذا عَضَّ بأدنى فيه. كما يكدمُ الحمار. ويقال أيضًا إنَّ الكدمة: الحركة. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٦٥/٥. مادة (كدم).

(*) الأكَم أو أكمات: جمع أكمة. وهي التلُّ القُفُّ من حجارة واحدة أو دون الجبال أو الموضع يكون أشد ارتفاعًا من غيره.. وقيل: هو أشرافٌ في الأرض كالرَّوابي. ينظر: لسان العرب: ٢١/١٢. مادة (أكم) والقاموس المحيط: ٧٦/٤. مادة (الأكمة).

٧٨ - ينظر الأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٨٠.

غُدِيًا ابتغى الراعي سُقيًا [٧٩]. (وقيل): إذا طلع النجم عشاءً ابتغى الراعي كِساءً. (وقيل): إذا أمسى النجم بقبلٍ فشهرُ فتىً وشهر حمل. وإذا أمسى النجم بدبر فشهر نتاج وشهر مطر. وإذا أمست الثُّريا قمَّة رأس فليلةُ فتى وليلة فاس[*][٨٠]. (ومما يقال): حُفظ من كلام لقمان بن عادٍ إذا أمست الثُّريا قم رأس ففي الدِّثار فاخنس[*][٨١]. وعُظماها فاحدس وانهسْ بنيك وانهس وإن سُئلتَ فاعبس. وإذا طلع الدَّبران توقَّدت الحِزَّان[*]. واستعرت الذِبَّان[٨٢]. ونشَّت[*] الغُدران[*]. وإذا طلعتِ الهقعةُ تقوَّض الناسُ للقُلعة ورجعوا عن النُّجعة[*] وأورست[*] الفقعة[*] وأردفتها

٧٩- المصدر السابق: ٢/ ١٨٠

(❖) قال قطرب. يقول: ليلةُ احتطاب . الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٩.

٨٠- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٣٩. والأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٠.

(❖) خنس: انقبض وتأخَّر . والخُنوس: الانقباض وأخنسهُ: إذا خلَّفه ومضى عنه. ينظر: لسان العرب:٦/ ٧١. والصحاح في اللغة: ٣/ ٩٢٥. مادة (خنس).

٨١- ينظر: الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٠.

(❖) الحزان: هي ظواهر صلبة من الأرض وليست بجبال. الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٥.

٨٢- المصدر السابق: ٢٥. والأنواء لابن قتيبة:٣٩. والأزمنة والأنواء: ١٦.

(❖) نش الغدير ينشُّ نشيشًا: أخذ ماؤه في النُّضوب. القاموس المحيط:٢/ ٢٠١. مادة (النش).

(❖) الغُدران: جمع غدير . وهو مُستنقعُ ماء المطر: وسمي بذلك لأنَّ السَّيل غادرهُ. أي تركهُ. ينظر . معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤١٢. مادة (غدر). والقاموس المحيط: ٢/ ١٠٣. مادة (الغدر).

(❖) النُّجعة: طلب الغيث. ثم كثُر فصار كلّ طلبٍ انتجاعًا. جمهرة اللغة: ٣/ ٤٣٢ (باب الاستعارات).

(❖) يقال: أورس المكان وأورس الرِّمث: أي أصرَّ ورقه بعد الإدراك. وورَّس الشيء توريسًا: صبغه بالورْس. والورس: نبات كالسمسم ليس إلا باليمن يزرع فيبقى عشرين سنة نافعٌ للكلف طلاءً وللبهق شُربًا. (ينظر: الصحاح في اللغة: ٣/ ٩٨٨. مادة (ورس). والقاموس المحيط:٢/ ٦٢٧. مادة (الورس). والرِّمثُ: من الحمض واحدته رِمثةٌ. ورقه طوالٌ دقاقٌ تُحمَّضُ به الإبلُ والغنم وتعيشُ. وربما خرج فيه عسلٌ أبيض كأنه الجُمان واللؤلؤ. وله وَقُدٌ حارٌ ينتفع بدُخانه من الزُّكام. وقد ينبت في الرمل وهو قدر قعدة الرَّجل ينبتُ نبات الشيح إلاَّ أن الشيح أغبر. وقيل: هو خيرُ الحمض حشِ القدرِ والنفع للمال: ينظر: المخصص:١١/ ١٥٢.

(❖) الفقعة أو الفقعة: البيضاء الرِّخوةُ من الكمأة. القاموس المحيط:٣/ ٦٦. مادة (الفقع).

(❖) الهنعة: منكبُ الجوزاء الأيسر . وهي خمسة أنجم مُصطفةٌ ينزلُها القمر أو كوكبان أبيضان مقترنان في المجرَّة بين الجوزاء والذِّراع المقبوصة أو ثمانية أنجمٌ في صورة قوس وتسمى ذراع الأسد في مقبض القوس نجمان. يقال لهما الهنعة. أو هي كوكبان أبيضان بينهما قيدُ سوط بأثر الهقعة في المجرَّة. القاموس المحيط: ٣/ ١٠٤. مادة (الهنعة).

٨٣- الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨١.

(❖) توقَّدت: حميت ونشطت: ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٥. والقاموس المحيط: ١/ ٣٥٩. مادة (وقد).

(❖) المعْزاء: الأرض الصلبة الغليظة. ينظر القاموس المحيط: ٢/ ١٩٩. مادة (المعز) ومعجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٣٧. مادة (معز).

الهنعة[*][٨٤]. وإذا طلعت الجوزاء توقَّدت[*] المعزاء[*]، وكنست[*] الظباء وعَرقَتِ العِلْباء[*] وطاب الخِباء (وقيل) طلعت الجوزاء ووافى على عود الحرباء[٨٥]. وإذا طلعت الذراع حسرت[*] الشمس القناع وأشعلت في الأفقِ الشَّعاع وترقرقَ السَّرابُ بكلِّ قاع[٨٦]. وإذا طلعت الشعرى نشف الثَّرى وأجنَ الصَّرى وجعل صاحب النَّخل يرى[٨٧]. (وقيل): إذا طلعت الشِّعرى سفرًا ولم ترَ مطرًا فلا تغذونَّ إمَّرَةً[*]، وأرسل العُرَاضات[*] أثرًا يبغينك في الارض معمرًا[*][٨٨]. وإذا طلعت النَّثرَة قنأت[*] البُسْرَةُ[*]. وجني النَّخل بكرة وآوتِ المواشي حَجرة ولم تترُك في ذات درٍّ قطرةً[٨٩]. (وقيل): اذا طلعت النَّثرة شقَّحت[*] البسرَةُ[*]. وإذا طلعتِ الصَّرفةُ بكرت الخُرفة وكثرت الطُّرفةُ وهانت للضيف الكلفةُ[٩٠]. وقيل: إذا طلعت الصَّرْفَةُ احتال كلُّ

(*) كنس الظبيُ يكنسُ: دخل في كناسه وهو مُستترةٌ في الشَّجر: لأنه يكنسُ الرَّملَ حتى يصل. جمع كُنَّس وكُنُس. القاموس المحيط: ٢/٢٥٦، مادة (كنس).

(*) العلباء: عصبُ عنُقِ البعير. القاموس المحيط: ١/١١١-١١٢، مادة (العلب).

٨٥- ينظر: الأزمنة والأمكنة:٢/١٨١، والأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٥-٢٦. جاء فيهما: .... انتصب على العود في الحرباء. قال قطرب: يعني: ينتصبُ الحرباءُ في العود كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿خلق الإنسانُ من عجل﴾ (الأنبياء:٣٧). أي: خُلِقَ العجلُ من الإنسان. الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٥-٢٦. وينظر: طبقات النَّحويين واللغويين:٩٩-١٠٠.

(*) حسَرَهُ يحسُرُهُ ويحسِرُهُ حسرًا. كشفه والشيءُ: انكشف والبصرُ يحسرُ حُسُورًا: كلَّ وانقطع من طُول مدٍّ وهو حسيرٌ. ينظر: القاموس المحيط: ٢/٩ (مادة حسره).

٨٦- الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨١.

٨٧- ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٦. وفيه: ... جعل أرحلُ يرى. يعني الرُّحَلَ. قال قطرب: لا أدري من سمنٍ أو هُزَال. وينظر: الأزمنة والأمكنة:٢/١٨١، والأنواء لابن قتيبة:٥٢.

(*) إمَّرة: عَنَاقٌ. ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٩. وعناق الأرض: دابةٌ أعجميةٌ سياهُ كوش. والعناقُ الدَّاهية والأمرُ الشَّديدُ والخيبةُ كالعناقة الوُسطى من بنات نعش. ينظر: القاموس المحيط:٣/٢٧٨، مادة (العنق).

(*) العُراضات: الإبل العِراض واحدتها عُراضة: لأنَّ آثار أخفافها على الأرض عِراض. ينظر: الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨١، والمخصص:٩/١٧، والقاموس المحيط: ٢/٣٤٧ مادة (العروض)

(*) الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٩. وفيه: .... فلا تُلحِق فيها إمَّرة ولا إمَّرًا ولا سُقْيًا ذكرا.. وأمرٌ: جديٌ.

٨٨- الأزمنة والأمكنة: ٢/١١٨١، والأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٩.

(*) قنأ الشيء، يقنأ قُنوءًا. وقنا قنوًا: اشتدّت حمرته. ينظر: لسان العرب:١/١٣٤، مادة (قنأ) والصحاح في اللغة: ١/٦٦، مادة (قنأ). والقاموس المحيط:١/٢٦.

(*) البُسْرةُ: النَّبت إذا ارتفع عن وجه الأرض ولمْ يطُل. والبُسْرُ بالضمِّ: ما لُوِّن ولم ينضُج. والبسر بالفتح: الإعجالُ. ينظر: لسان العرب:٤/٥٨، مادة (بسر) والقاموس المحيط: ١/٣٨٥، مادة (البسر).

٨٩- الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨١.

(*) الشقحةُ والشُّقحة: البُسرة المُتغيِّرة إلى الحُمرة. ويقال الشُّقحُ: الشُّحُّ: ينظر: لسان العرب:٢/٤٩٠، والقاموس المحيط:١/٢٤٠. مادة (الشقحة).

(*) الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٦.

٩٠- الأزمنة والأمكنة:٢/١١٨٦-١٨٧.

(*) جفَر: عظُم وانسع واستكرش. ومنه الجفر. جمع أجفار وجفار وجفرة: من أولاد الشاة إذا عظم واستكرش أو بلغ أربعة أشهر، وتجفر الصبيُّ: إذا انتفخ لحمه وصارت له كرش. ينظر: لسان العرب: ٤/١٤٢، مادة (جفر). والقاموس المحيط: ١/٤٠٦، مادة (الجفر).

ذي حرفة وقيل اختال كلُّ ذي خُرفة وجفر(*) كل ذي نُطفةٍ وامتيز(*) عن المياهِ زُلفة(*). وإذا طلعت العذرةُ فعكَةٌ(*) بُكرة على أهل البصرة وليس نعمان بُسرةٌ ولا لأكَار(*) بها بذرةٌ وقيل بُرَّه. وإذا طلعت الجبهة تحانَتْ الوَلِهَةُ(*). وتنازتْ السِّنَهَةُ وقلَّتْ في الأرض الرَّفَهَةُ(*). وإذا طلع سُهيلُ طاب اللَّيل وجرى النَّيل وامتنع القيل(*). وللفصيل الويل ورفع كيل ووضع كيلٌ(٩١). (وقيل) إذا سُهيل مغرب الشمس طلع فابن اللَّبونِ(*) الحقُّ(*). والحقُّ جذعٌ. وإذا طلعت الخَرَاتان أُكلت أُمُّ جِرذان(*)(٩٢). وإذا طلعت العوَّاء ضرب الخِباء وطاب الهواء وكُرِدَ العراء وشنَّنَ السِّقاءُ(*)(٩٣). وإذا طلع السِّماك ذهبت العكاك(*)(٩٤). واستفاهت الأحناك(*). وقلَّ على الماء اللِّكَاك(*)(٩٥) وإذا طلع الغفر جاد القطر(٩٦). (وقيل): إذا طلعَ الغَفْر اقشعرَّ السَّفْر(*) وتربَّل(*)

(*) الامتيار. النحي. ينظر: المخصص:٩/١٨. والقاموس المحيط:٢/ ٣٠٠. مادة (مازه).

(*) الزُلفة: أدنى منزلة. ينظر المصدران السابقان ٩/١٨، و٣/١٥٣. مادة (الزلف).

(*) العكَة: شدة الحرّ مع لثق (كثرة الندى) وسُكُون ريح. ينظر. القاموس المحيط: ٣/٣٢٣. مادة (العُكة) و٣/٢٨٩. مادة (لثق) والأزمنة والأمكنة ٢/٢٣.

(*) الأكَار: الحرّاثُ جمع أكرة كأنه جمع أكر في التقدير. ينظر: القاموس المحيط: ١/٣٧٨. مادة (الأكرة).

(*) الولَهة: جمع واله. وهي التي قد فقدت ولدها فقد كان لبنها يذهب جزعًا. المخصص: ٩/١٨. وينظر: القاموس المحيط: ٤/٢٩٧. مادة (الوله).

(*) الرفهة: واحدة الرُّفَه. وهو ما بقي في الأديم من التِّبن بعد إخراج الحبّ منه. ينظر: المخصص:٩/١٨. والقاموس المحيط: ٤/٢٨٦. مادة (الرفاهة).

(*) القيْل: القائلة. وهي النّومة في الظهيرة. وقيل هي الشّربة يشربها الإنسان في ذلك الوقت. ينظر. الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٦. والمخصص: ٩/١٨.

٩١- الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٦ ٢٧. وفيه: وحذى النَّيل و أهل البادية يفطمُون الفصَال عند طلُوع سُهيل. وينظر: الأنواء لابن قتيبة:١٥٣ -١٥٥. والأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣.

(*) ابن اللَّبون: ولد النَّاقة إذا كان في العام الثاني واستكمله ودخل في الثالث. ينظر: القاموس المحيط: ٤/٢٦٧. مادة (اللبن).

(*) الحقّ من الإبل: الدّاخلة في الرابعة: سمي لأنه استحق أن يُركب أو استحقّ الضّراب. ينظر القاموس المحيط: ٣/٢٢٩. مادة (الحقّ).

(*) أم جرذان: ضربٌ من التمر لنخلة بالحجاز يتأخر إدراكها. ينظر: الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨٥ ١٨٦ - والقاموس المحيط: ١/٣٦٤. مادة (الجرذ).

٩٢- الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨٥.

(*) تشنين السّقاء: برده. والماء الشُّنان: البارد. وكل سقاء أخلق فهو شنّ. المخصص:٩/١٨. والسقاء يكون للبن وللماء. والجمع القليل أسقية وأسقيات وأساقٍ. ينظر: المخصص:٩/١٨. والقاموس المحيط: ٤/٣٠٥. مادة (سقاه) و ٤/٢٤٢. مادة (شن)...

٩٣- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣.

(*) العكاك والعكيك: شدّةُ الحرّ مع لثق (كثرة الندى) وسُكون ريح. ينظر القاموس المحيط:٣/٣٢٣. مادة (العُكة) و٣/٢٨٩. مادة (لثق) والغريب المصنف: ١/٥٧٦. والأزمنة والأمكنة: ٢/٢٢.

٩٤- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٧. وينظر الأنواء:٦٥. والأزمنة والأنواء:١٢٧.

(*) استفاهة الأحناك: شهوة الطّعام. ينظر: المخصص:٩/١٨. والأزمنة والأمكنة:٢/١٨٦.

(*) اللكاك: التدافع والتزاحم: ينظر المصدران السابقان: ٩/١٨. و ٢/١٨٦.

٩٥- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٢.

٩٦- الأزمنة والأمكنة: ٢٨.

(*) السّفْر: الصَّفْر. ينظر: القاموس المحيط: ١/٢/٥١. مادة (السفر).

(*) تربل من ربل: أي كثُر. يقال: تربَّلت المرأة: كثُر لحمها وتربَّلت الأرضُ: إذا اخضرَّت بعد اليُبس. ينظر: لسان العرب: ١١/٢٦٤. مادة (ربل). و القاموس المحيط: ٣/٣٩١. مادة (الربلة).

النَّضْر(*) وحسنَ في العين الجَمْر[97]. وإذا طلعت الزُّباني أحدثت لكلِّ ذي عيالٍ شانا(*) ولكل ماشيةٍ هَوانا وقالوا كان وكانا اجمع لأهلكَ ولاتَوانى[98]. وإذا طلع الإكليلُ هاجتِ الفُحُولُ وقيلَ هَبَّتْ وشُمِّرَت(*)[99] الذُيولُ وتُخُوِّفَتِ السُّيُولُ[100] وإذا طلع القَلبُ جاء الشِّتاءُ كالكلب وصار أهل الوادي في كرب ولم تمكن الفحلَ إلا ذاتُ ثَرْب[101]. وإذا طلع الهَرَّاران(*) هَزَلَتِ السِّمان واشتدَّ الزَّمان ووَحْوَح(*) الولْدان[102]. وإذا طلعت الشَّولة أعجلَتِ الشَّيْخ البَولة واشتدَّتْ على العيال العولة. وقيل شتوةُ زولة(*)[103]: وإذا طلع العقرب جَمسَ المذنب(*) وقَرّ(*) الأشيب(*). وقيل قَرْبَ[104]. وإذا طلعت النَّعائم النَّطَت(*) البهائم من الصَّقيع الدائم وأيقظَ البَردُ كل

(*) النضر. والناضرُ: شديد الخضرة. ينظر: القاموس المحيط:٢/١٤٩. مادة (النضرة).

٩٧- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣.

(*) أي شأن وهو الخَطْبُ والأمر جمع شؤون وشِئين. ومجرى الدّمع إلى العين جمع أشؤن وشُؤون. ويقال شأن شأنه: قصد قصده. ينظر: القاموس المحيط:٤/٢٣٠. مادة (الشأن).

٩٨- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٨. جاء فيه: "وإذا طلعت الزُّباني بردتِ الثنايا. وهي ثنيَّةُ الفم" و الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨٢. وفيه: "وإذا طلع الزُّباني أحدثت لكل ذي عيال شبَّانا..." والشّابنُ: الغلام النَّاعم. وشبنَ: دنَا. ينظر: القاموس المحيط: ٤/٢٤٠. (فصل الشين).

(*) شمر: رَفعَ. وشمَّرَ الجَمَلُ طروقتهُ: ألقحها. وشاةٌ شمِرٌ وشامرةٌ: انضم ضرعُها إلى بطنها. ينظر: القاموس المحيط:٢/٦٦-٦٧، مادة (شمر).

٩٩- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣. والأزمنة والأنواء: ١٤٠. والأنواء لابن قتيبة: ٧٠ والأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٧. جاء فيه: "انساب كُلُّ ذي حليل. ينسابُ منها فيهيج".

١٠٠- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣ والأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٨. والأنواء لابن قتيبة:٧٠ والأزمنة والأنواء:١٤١.

(*) الهراران: وهما النَّسْران. الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٧.

١٠١- الأزمنة والأمكنة.٢/١٨٣ والأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٨. والأنواء لابن قتيبة:٧٠ والأزمنة والأنواء:١٤١.

(*) الوحوحة: صوت معه بحَحٌ والنَّفخُ في اليد من شدة البرد. وهو حكاية صوت الولدان إذا قالت: أَحْ أَحْ من البرد ينظر. القاموس المحيط:١/٢٦٢. مادة (الوحوحة) والأزمنة والأمكنة :٢/١٨٦-١٨٧ والمخصص:٩/١٨.

١٠٢- والأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٧ والأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣.

(*) الزولة: المُنْكَرة. الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٧. والمخصص: ٩/١٦.

١٠٤- الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨٣. جاء فيه "وقيل: شتوة وزولة".

(*) جمس: جمد وثبت. والجَسْةُ: البُسْرة إذا ارطبت وهي بعدُ صَلْبَه لم تنهضم: ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/٩١٥. مادة (جمس) والقاموس المحيط:١/٢٠٤. مادة (الجاموس). ولسان العرب: ٦/٤٢. مادة (جمس) والمخصص: ٩/١٨.

(*) المذنَبُ. مسيلُ الماء إلى الأرض ومسيلٌ في الحضيض. والجَدْولُ يسيل عن الرُّوضة بمائها إلى غيرها. ينظر: القاموس المحيط: ١/٧١. مادة (الذنب).

(*) قرّ: من قرر. والقرُّ: البردُ عامّة. ينظر: لسان العرب:٥/٨٢-٨٣.

(*) الأشيبُ: الشَّيبُ جمع أشيب.والثلج والجليد الشيب أيضًا: الجبال يقع عليها الثلج فتشيب به. ينظر: المصدر السابق:١/٦٩٦. مادة (شيب) والمخصص/٩/١٨.

١٠٤- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨١. جاء فيه: ".. وقرقر الأشيب". الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٧. جاء فيه "ومات الجُنْدُبُ وقَرَبَ الأشيبُ. قال: أظنُّهُ يريد بياض الثَّلج".

(*) النطت: من لَطا يلْطُو: إذا التجأ إلى صخرة أو غار. ينظر: القاموس المحيط: ٤/٣٨٨. مادة (اللَّطاة).

نائِم. وقيل إذا طلعت النَّعائم انتبضتِ البهائم من الصَّقيع الدائم وخَلَصَ البَردُ إلى كل نائم[١٠٥]. وقيل إذا طلعت البلدة حمَّمَت الجَعْدة[*]، وأكلت القِشْدَة[*]. وقيل للبَرْدِ اهْدَهْ[١٠٦]: وقيل: إذا طلعت البلدة زَعِلَت[*] كل تُلْدة[*]: وقيل عَلَتِ الناسَ بُلْدة[*][١٠٧]. وإذا طلع سَعْد الذابح حَمَى أهْلَه النَّابحُ ونَفَع أهلَه الرَّائحُ وتَصَبَّح السَّارح وظهرت في الحَيِّ الأنافحُ[*]. وقيل أنحجزَت الذوابح ولم تَهْدَ النَّوابح من الشِّتَاء البارح[*][١٠٨]. وإذا طلع سعدُ بُلَعْ اقتحم الرُّبَعْ ولحق أهله الهُبَعْ[*] وصيد المُرِعْ[*]. وصار في الأرض لُمَعْ[*]. وقيل تشكى كلُّ رُبَعْ[*][١٠٩]. وإذا طلع سعدُ السُّعود نضر العُود ولانت الجُلُود وكره الناس في الشمس القُعود[١١٠]. وإذا طلع

١٠٥- الأنواء لابن قتيبة:٧٤ والأزمنة وتلبية الجاهلية :٢٧. وفيه: .. ودخل البردُ على كلِّ سانم وأيقظَ كلَّ نائم. وقال بعضهم: إذا كثُرَ النَّعامُ كثُرَ الغمامُ. يريدون النَّعائم. وينظر: الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣. جاء فيه: ... توسعت البهائم. وقيل :.. كثر النمام وذلك نُيل التَّمام ... وتلاقت الرِّعاء بالنَّائم.

(❖) تحميم الجعدة: أن تراها قد مسَّت بالأطلاع كما يُحمِّمك وجه الغلام إذا همَّ بالبُقُول. الجعدة، نبتٌ على شاطئ الأنهار. والجعد من الشَّعر، خلاف السَّبْط من الشعر، وقيل هو القصير. وقد يكون للذمِّ نحو قولنا: فلانٌ جَعْدُ اليدين، أي بخيل: ينظر: لسان العرب: ٢/١٢٣. مادة (جعد) والقاموس المحيط:١/٢٩٣. مادة (الجعد).

(❖) القشدة: عُشْبَةٌ كثيرةُ اللَّبن والزُّبْدة الرَّقيقة أو الثُّفْل الذي يبقى في أسفل الزُّبْدة إذا طُبخ مع السُّويق والتَّمر. ليتَّخذ سَمْنًا. ينظر القاموس المحيط: ١/٣٢٩. مادة (القشدة). الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣.

١٠٦- الأزمنة والأمكنة:٢٢/ ١٨٣.

(❖) زعلت: نشطت. ينظر: الأزمكنة وتلبية الجاهلية: ٢٧. ومعجم مقاييس اللغة: ٣/٩. مادة (زعل) والمخصص: ٩/١٨.

(❖) التلدة: والتُّلْدُ: والتَّلَدُ بالفتح والضمّ والتحريك: المال من الإبل والغنم أو ما ولد عندك من مالك أو نُتِج. وتطلق كذلك على فرخ العُقاب. ينظر الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٧ والقاموس المحيط: ١/٢٨٩. مادة (التالد) والمخصص: ٩/١٨.

(❖) البُلْدَة: الحيرةُ. وذلك بوضع اليد على الصَّدر. ينظر: معجم مقاييس اللغة. ١/٢٩٩. مادة (بلد) والقاموس المحيط: ١/٢٨٩. مادة (البلد).

١٠٧- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٧.

(❖) الإنفحة والمنفحة شيءٌ يخرجُ من بطن الجدي الرَّضيع أصفر فيُعصر في صوفة فيَغْلظُ كالجبن. والأنافحُ كلها لا سيما الأرنب إذا علِّقَ منها على إبهام المحموم شفي. ينظر: القاموس المحيط: ١/٢٦٢-٢٦٣. مادة (نفح).

(❖) البارحُ: الشَّديد. ينظر: القاموس المحيط:١/٢٢٣. مادة (البرح) ومعجم مقاييس اللغة:١/٢٣٨. مادة (برح).

١٠٨- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٣. والأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٧. جاء فيه: ... انحجزت الذوابح. الذي يذبحون ولم يهرْ النَّابح من الشتاء البارح.

(❖) الهبع: المشي مع مدِّ العُنُق. وقيل هو الفصيل من الإبل الذي يُنتجُ في الصَّيف. ينظر: لسان العرب: ٨/٣٦٦. مادة (هبع) والقاموس المحيط : ٣/١٠١. مادة (الهبع).

(❖) المُرع ومُرْعان جمع مربع: وهو طائر يُشبهُ الدُّرَّاج. ينظر القاموس المحيط: ٢/٨٧. مادة (المربع).

(❖) اللمع: جمع لُمعة: وهي القطعة من النَّبت أو الكلأ أخذت في اليُبس. ينظر: القاموس المحيط:٣/٨٥. مادة (لمع). ومعجم مقاييس اللغة:٥/٢١١. مادة (لمع).

(❖) رُبَع: جمع ربوع. يقول يشتكي كلُّ ربوع مرتعهُ. ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٧ والقاموس المحيط:٣/٢٧. مادة (الربع). ومعجم مقاييس اللغة: ٢/٤٨٠. مادة (ربع).

١٠٩- ينظر: الأزمنة والأمكنة.٢/١٨٣. والأزمنة وتلبية الجاهلية:.٢٧.

١١٠- الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٤. وينظر: الأنواء لابن قتيبة:٧٩.

السَّعد كثُر الثَّعد(*)(١١١). وقيل إذا طلع سعدُ السُّعود ذاب كلُّ عُود وانتشر كلُّ مَصْرودٍ(*)(١١٢). وإذا طلع سعدُ الأخبيةُ زُمَّتِ(*) الأسْقية وتدلَّتِ الأحْويَة(١١٣) وتجاوزت الأبنية(١١٤). وإذا طلعت الدلو هِيبَ الجَزْوُ(*) وأنسلَ(*) العَفْو(*). وطلب الخِلْوُ(*). اللَّهو(١١٥): وقيل إذا طلعت الدَّلو فالربيعُ والبدو والصيفُ بعد الشَّتْو(١١٦). وإذا طلعت السَّمكة أمكنت الحركة وتعلَّقت الحسكة(*). ونصبت الشَّبكة وطاب الزَّمان للنَّسكة(*)(١١٧). وإذا طلع الحُوتُ خرج النّاس من البُيوت(١١٨). وإذا طلع الشَّرطان استوى الزَّمان وخضرتِ الأغصانُ وتواقدت(١١٩)

(*) الثّعد: الرطب وما لان من البُسر والغَضُّ من البقل: ينظر: الصحاح في اللغة ٢٠/٣٥١. مادة (ثعد). و القاموس المحيط: ١/٢٩٠/ مادة (الثعد). وقال بعضهم: الثَّعْدُ: الماءُ نفسه. الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢/١٨٤.

١١١- الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٨. والأزمنة والأمكنة: ٢/١٨٤.

(*) المصرود: من صرد بالكسر. يصْرَدُ صَرَدًا فهو صَرِدٌ من البرد. والصُّرْدُ: الخالص من كل شيء. ويقال: هو مكانٌ مُرتفعٌ من الجبال. ينظر: لسان العرب:٣/٢٤٨. مادة (صرد). والقاموس المحيط:١/٣١٨. مادة (الصرد).

١١٢- الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢٨.

(*) زمّت: من زَمَّ الشي: شدَّه. وزمَّ برأسه: رفعهُ. وزُم بالضَّمِّ. الموضع. ينظر: لسان العرب: ١٢ /٢٧٤ -٢٧٥. مادة (زمم) والقاموس المحيط:٤/١٢٧. مادة (زمه).

١١٣- الأحوية: جمع حويَة: كِساءٌ محشوٌّ يجمع حولَ سِنَام البعير ثمَّ يُركب واستدارةُ كلِّ شي. وما تَحوَّى من الأمعاء كالحاوية والحاوياء جمع حوايا. ينظر: القاموس المحيط: ٤/٣٢٣. مادة (حواه). ومعجم مقاييس اللغة :٢/١١٢. مادة (حوى).

١١٤- الأزمنة والأمكنة: ٢/١٨٤.

(*) الجزو: وأصله الجزءُ: وهو اكتفاء الإبل بالرُّطب عن الماء: ينظر: القاموس المحيط: ١/١٠. مادة (الجزء). والمخصص:٩/١٨. ومعجم مقاييس اللغة :١/٤٥٥. مادة (جزأ).

(*) أنسل أو نسل. أي وَلَدَ وتوالَدَ. ينظر القاموس المحيط:٤/٥٨. مادة (النسل) وأساس البلاغة:٦٣٠. مادة (نسل).

(*) العفوُ: العشب الوافي والكثير: ويقالُ كذلك لوَلَد الحِمار. ينظر: أساس البلاغة: ٤٢٨. مادة (عفو). والقاموس المحيط: ٤/٢٦٦. مادة (العفو).

(*) الخلو: الخَلِيُّ. أي الخالي من الغمِّ. ينظر: معجم مقاييس اللغة:٢/٢٠٤. مادة (خلو). وأساس البلاغة :١٧٤. مادة (خلو) والقاموس المحيط: ٤/٣٢٧. مادة (خلا).

١١٥- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٤. والأنواء والأزمنة:١٥١.

١١٦- الأزمنة وتلبية الجاهلية:.٢٨. ينظر: الأزمنة والأمكنة. وجاء فيهما كذلك: وقال بعضهم: ...كان فيها أو فيه كلُّ نوء، أي مَطر.

(*) يقول: يبس شجرُ الحَسَك فعلق بالغنم. الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٩. والحسكةُ جمع حَسَك: شوكةٌ صلبة تتعلَّق بصوف الغنم. ويقالُ: في قلب فلان حسكة: أي ضغينة. ينظر: لسان العرب:١٠/٤١١. مادة (حسك) والقاموس المحيط:٣/٢٠٨. مادة (الحسكة).

(*) النُّسَكة: جمع ناسك، وهو المتعبد. ينظر: لسان العرب:١٠/٤٩٨. مادة (نسك) والقاموس المحيط: ٣/٣٣٢. مادة (النسك).

١١٧- ينظر: الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٤. والأزمنة وتلبية الجاهلية. والأنواء:٨٥. والأزمنة والأنواء:١٥٦.

١١٨- الأزمنة والأمكنة:٢/١٨٥.

١١٩- تواقدت: نشطت وظرفت ولمعت: ينظر: القاموس المحيط: ١/٣٥٩. مادة (الوقد). والمعجم الوسيط: ٢/١٠٤٨. مادة (وقد).

الأسنانُ وتهادت الجيران[120]. وقيل هاقَ(*) الزَّمان وبات الفقيرُ بكل مكان[121]: وقيل طلع الشَّرطان والْقيت الأوتادُ في الأغصان[122]: وقيل: طلعت الأشراط ونقصت الأنباط(*)[123]. وإذا طلع البُطين اقتضي الدَّين(*) وظهر الزَّين(*) واقتفي بالعطاء والقَين(*)[124]. (المخصص:٩/١٥ -١٧).

٥- التفسير:

"أبو حنيفة: وحَجْرة: ناحيةٌ. والعُكّة بالبصرة: كربٌ يُصيبهم أيّامَ شدّة الحرّ في وجه الصُّبح معه ندًى يكادُ يأخذُ بالأنفاس. والولهة: جمع واله. وهي التي قد فقدت ولدها فقد كاد لبنها يذهب جزعًا. والرُّفهَة: واحدة الرُّفه. وهو ما بقي في المداوِس(*) من التّبن بعد إخراج الحبّ منه. وحذا من الحذيا وهو ما وهبت للإنسان من كرامة أو برّ. والقَيْل: من القائلة. وهي النّومة في الظهيرة. وقيل هي الشربة يشربها الإنسان في ذلك الوقت. والامتياز: التّنحي. والزُّلفَة: أدنى منزلة. وتشنين السّقاء: برده. والماء الشُّنان: البارد. وكل سقاء أخلق فهو شن. واستفاهة الأحناك: شهوة الطَّعام واللّكاك: التزاحم. والتّدافع. ووحوحة الولدان: حكاية أصواتهم إذا قالت: أح أحْ من البرد والزَّولَة: المُنكرة وجمسَ: جمد. والأشْيَب: الثّلج والجليد. وتوسُّف التَّهائم: تقشر وجه الأرض من شدّة البرد. وتحميم الجعدة: أن تراها قد همّت بالاطّلاع كما يُحمّمك وجه الغلام إذا همّ بالبقول. وقوله زعلت كل تُلدَة: التُلدة تلاد المال. والزّعل: النشاط. يعني المواشي أنها تنشط في هذا الوقت. والتلدة من التّليد. واقتحام الرُّبع: إسراعه في عدوه: لأنه قد قوي. والأنباط: المياه المظهرة

١٢٠- ينظر: الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٤. وجاء فيه: ... وحضرت الأعطان وتوافت الأسنان..... وألقيت الأوتادُ في الأعطان. وقيل أيضًا إذا طلع الشَّرطان ألقت الإبلُ أوبارها في الأعطان .

(❖) هاقَ: من هوق ومنه الهَوْقَةُ: وهي حُفرَةٌ يجتمع فيها الماء ويكثر فيها الطِّين وتألفُها الطَّيرُ. ينظر: لسان العرب:١٠/ ٣٧٠. مادة (هوق).

١٢١- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٨. جاء فيه ... لأنّ الزَّمانُ. وباتَ الفقيرُ في كلّ مكان. وينظر. الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٤.

١٢٢- الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٤. وفيه: ... وألقيت الأوتادُ في الأعطان. وقيل أيضًا: إذا طلع الشَّرطان ألقت الإبل أوبارها في الأعطان.

(❖) الأنباطُ: جمع نبط: وهو أوّلُ ما يظهرُ من ماء البئر أو ما استنبطته من الماء: يقالُ وجدتُ نبطَ مائة قريبًا. ونبط الماء: نبعَ ونبطَهُ. أي انتهى إليه واستخرجه. ينظر : الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٨. والقاموس المحيط: ٢/ ٤٠٢. مادة (نبط). ولسان العرب: ٧/ ١٢٤. مادة (نبط).

١٢٣- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٨. والأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٥.

(❖) الدَّينُ: ما لهُ أجلٌ. ينظر: القاموس المحيط: ٤/ ٢٢٦. مادة (الدين) ومعجم مقاييس اللغة:٢/ ٣٢٠. مادة (دين).

(❖) الزَّين: ضدُ الشَّين جمع أزْيان. القاموس المحيط: ٤/ ٢٣٤. مادة (الزينة). ومعجم مقاييس اللغة:٣/ ٤١. مادة (زين).

(❖) القينُ: العبدُ. والحدّادُ الصَّانعُ والتقيينُ: التزيين. والقينَة: الأمةُ المُغنّيةُ. ينظر: لسان العرب: ٣ /٣٥١. مادة (قين). والقاموس المحيط: ٤/ ٢٦٣. مادة (قان).

١٢٤- الأزمنة والأمكنة:٢/ ١٨٤. جاء فيه: ... وامتيز بالعين... .

(❖) المُداوِس: من المَدْس. وهو دَلكُ الأديم ونحوه ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٢٦٠. مادة (مدس).

من الأرض نحو الآبار والقُنِيِّ الواحد نَبَط. وكلّ ما أنبَطْته فهو نبَط. والاقتناء: الكرامةُ واللّطفُ. وما ألطفتَ به الإنسان. وأتحَفْتَهُ فهو القَنِيَّة. (المخصص: ٩/ ١٧ - ١٨).

٦- صفة الشمس وأسماؤها:

"أبو حنيفة" بَرَاحِ وبرَاحُ(*).

"أبو حنيفة" هو الشّعاعُ. والشُّعاعةُ والشُّعّ(*).

"أبو حنيفة" النَّدْأةُ(*): دارةٌ ربّما رأيتها مُحيطةً بالشّمس. وقيل: هي الحُمْرةُ العَارِضَةُ في مطْلَعِ الشّمس ومَغْرِبها إذا عَرَضَتْ، وقيل هو قَوْسُ المُزْنِ(*).

"أبو حنيفة" لعابُ الشّمس: الذي تراه في شدّة الحرّ يبرق مثل نسيج العنكبوت أو السّراب فيحدر من السماء. وإنّما يُرى ذلك من شدّة الحرّ. وسكون الرّيح. وأنشد:

وذاب للشَمْسِ لُعَـابٌ فَنَـزَلْ   وقامَ ميزانُ النهار فاعْتَدَلْ

"أبو حنيفة" وهو الغَفْر والسُّمَيْهَى. وعَبُهَا وبه سمِّي عَبُ الشّمس(١٢٥) بطْنٌ من بني تَميم.

"أبو حنيفة" وكذلك حَواجبها(*).

"أبو حنيفة" العَيْنُ(*): اسمٌ لها (المخصص: ٩/ ١٨-٢٣).

ثانيًا: باب طلوع الشّمس وكسوفها وغروبها:

"أبو حنيفة" بُزُوغًا(*).

(*) بَراحِ: اسم للشمس معرفة مثل قَطَام. سميت بذلك لانتشارها وبيانها. ينظر. لسان العرب: ٢/ ٤٠٩. مادة (برح). والصحاح في اللغة: ١/ ٨١. مادة (برح).

(*) الشعاع والشعاعة والشعّ: كلّه الضياء. ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية: ١٥.

(*) النّدأة: دارة القمر . والشمس وقيل. هما قوس قزح. والنَّدأة والنُّدأة والنُّدْيء الأخيرة. وقيل الحمرة تكون في الغيم عند غروب الشمس أو طلوعها. وقيل هي الحمرة التي تكون إلى جنب الشمس عند طلوعها وغروبها. وفي التهذيب: إلى جانب مغرب الشمس أو مطلعها. ينظر: لسان العرب/ ١/ ١٦٥-١٦٦. مادة (ندأ). والصحاح في اللغة: ٢/ ٥٥١. مادة (ندأ).

(*) المُزْنُ: السَّحابُ أو أبْيَضُهُ أو ذو الماء. والقطعة منه مزْنة. وابن المُزْنَة: الهلالُ. ينظر القاموس المحيط: ٤/ ٢٧٣. مادة (مزن) ومعجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣١٩. مادة (مزن).

(١٢٥) عبُ الشمس: بتخفيف الباء. ضوء الشمس وحسنها. وقيل ضوء الصُّبح. قال أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ): وهو على مثال يَدُ الشمس. وعبْشَمس هو الصحيح. وهو من نادر الأدغام . ينظر: لسان العرب: ١/ ٥٧٥. مادة (عبب). والأزمنة وتلبية الجاهلية: ١٥. والمخصص: ٩/ ٢٢.

(*) أي حواجب الشمس. وقد جاء به ابن سيده مرادفًا لقول ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) بأنه يقال لها: قرون الشمس . كذلك ينظر: المخصص: ٩/ ٢٣.

(*) أي اسم للشمس. ينظر: المصدر السابق: ٩/ ٢٣.

(*) أي الشمس تبزُغُ بَزْغًا وبُزوغًا. ينظر: المخصص: ٩/ ٢٤.

وقال: شَرَقَت تُشْرِقُ شُروقًا: طلَعَتْ.

"أبو حنيفة" فأمّا إشراقُها فانبساطها و ارْتِفاعُها وخُلُوصُ ضَوْئِها.

أبو حنيفة: رَسَبَتْ (*). وقَبَسَتْ (*) كذلك.

أبو حنيفة: الغِشَاشُ (*): دُنُوُّ الشمس للمَغيب.

"أبو حنيفة" دَحَضَت الشّمس (*). تَدْحَضُ دَحضًا ودُحوضًا: زالت. وأدحَضْتُه ودَحَضْتُه دفعته. والزَّيْغُ والعُدولُ والزّوالُ سواءٌ. زاغتْ زَيْغًا. وعدلت تعدِلُ عُدُولاً. وزَالَتْ زوالاً و زؤولاً.

أبو حنيفة: وتطفَّلتْ. وتطرّفَتْ. وكَرَبَتْ. وضَجَّعَتْ. وقيل ضجَّعَتْ: زالت.

أبو حنيفة: آبتْ تَؤوبُ إيابًا.

أبو حنيفة: غارتْ غَوْرًا وغُؤُورًا وغِيارًا: وغَرَبَتْ تَغْرُبُ غربًا وغُروبًا وغرّبَت: غابت. وكذلك النَّجْم.

أبو حنيفة: وَقَبَت الشَّمْس: غابت وكلُّ شيء داخل في شيءٍ فهو واقبٌ فيه. والقُنُوب (*). مثل الوُقوب قَنَبَتْ تقنُبُ. (المخصص:٩/ ٢٣ -٢٦).

١- صفة القمر وأسماؤه:

"أبو حنيفة" هلّ الشهر. ولا يقال أهلّ. وهلّ الهلال نفسه: طلع وأتينا فلاناً عند إهلال الشّهر واستهلاله. وهِلّتِه. وهِلّه وهُلُولِه. وأهلّ الرّجلُ: نظر في الهلال فكبَّرَ. والهلالُ في الحجّ من ذلك: لأنهم أكثر ما كانوا يُحرمُونَ إذا أهَلّ الهلالُ.

"أبو حنيفة" صَبَأَ الهلال (*): طلع.

"أبو حنيفة" إذا حَجّرَ وأضاء فهو قمرٌ. وقد أقْمَر. وقَمَّر: إذا استدارَ بخطٍّ رقيقٍ قبل أن يَغلظَ.

(*) رسبت: غابت. يقالُ: رسَبَ السَّيْفُ في الضَّريبة. غابَ فيها. ورسَبَ الشّيءُ. نحو الماء: ذهب سُفلاً. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٣٩٤. مادة (رسب). والقاموس المحيط: ١/ ٧٥. مادة (رسب).

(*) قَبست الشّمس: غابتْ. وذلك أنّ الشمس أجْرى ما تكونُ عند الغروب. وهو من قسيب الماء في جَرْيَانه. ولا يكون صوتٌ إلاّ كان بالقُوّة. ينظر: المخصص: ٩/ ٢٤ -٢٥. ومعجم مقاييس اللغة: ٥/ ٨٨.

(*) الغشاش: أول الظلمة وآخرها. ولقيته غِشاشًا وغُشاشًا أي عند الغروب. ينظر: لسان العرب: ٦ /٣٢٣. مادة (غشش).

(*) دحضت الشمش تدحض دُحضًا ودَحْضًا: إذا جَنَحَتْ للمغيب. ودَحَضت الشّمسُ عند كبد السماء. أي زالت. ينظر: الأنواء للزجاج: ٤٢. والصحاح في اللغة: ١/ ٢٩٠ مادة (دحض).

(*) قنبت: قنبت الشمسُ تقنُبُ قُنُوبًا: غابت فلم يبق منها شيءٌ. ينظر: لسان العرب: ١/ ٦٩٠ مادة (قنب).

(*) صبأ: يقال: أصبأ النَّجم. أي طلع الثُّريا. قال الشاعر يصف قحطًا:

وأصْبأ النجْمُ في غبْراء مُظلمة ... كأنّـهُ باسِنٌ مُجْتـابُ أخـلاق

ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ٧٠٠. مادة (صبأ).

وقال: أضاء القَمَرُ وأضاءتِ القَمْرَاءُ وطلعَ القَمَرُ. ولا يُقالُ: طلعتِ القَمْراءُ. والمعنى في القمراءِ نفس القَمَر.

أبو حنيفة "سُميت(*) بذلك لاستواء القمر. وقيل: لأنه يستوي في ليلها ونهارها. وهي ليلةُ التَّمام(*) والغَرَّاء.

أبو حنيفة" أَبْدَرَ القَمَرُ: صار بدرًا. وهو قَمَرٌ بَدْرٌ. سُمّي بذلك لامتلائه. يُقالُ غُلامٌ: إذا امتَلأ شبابًا قبل أن يحتلم.

أبو حنيفة" السّاهُورُ: القَمَرُ نفسه نَبَطيٌّ.

أبو حنيفة" فإذا جاوزَ القَمَرُ النِّصْفَ فهو مُلْحُوفٌ حتى يمّتحِق (المخصص:٩/٢٦-٢٧).

٢- كسوف القمر وغروبه:

"أبو حنيفة خَسَفَ القَمَرُ يَخْسِفُ خُسُوفًا. وخُسِفَ. وهو كالكُسُوفِ في الشمس. وقد يستعمل الخسوف في الشمس. والكسوف في القمر.

" أبو حنيفة" صَغى القَمَرُ(*) يَصْغى وصَغي وأصغى: مالَ للمغيبِ (المخصص:٩/٢٨).

ثالثًا/ باب سؤال القمر وجوابه:

- أسماء أيام الشّهر ولياليه:

"يقال لأول ليلةٍ من الشّهر: ظلمةُ ابن جمير(*). وأنشد(١٢٦):

نهارُهمْ ظمْآنُ أعْمَى وضمْآنُ ليلُهمْ ... وإنْ كانَ بـدرًا ظُلْمَـةُ ابْنِ جمِـير

أبو حنيفة غُرَرٌ(*) جمع غُرَّة. وغُرٌّ جمع غَرّاء.

(*) يقصد: ليلة التمام: ينظر: المخصص:٩/٣٧.

(*) ليلة التَّمام أو ليلُ التُّمام: وهي في الشّتاء أطولُ ما يكون اللّيلُ. ويقالُ: إنَّ ليلَ التمام منذ وقتٍ يصيرُ اثنتي عَشْرَةَ ساعةً إلى أنْ ينتهي في الزّيادة. ينظر: المخصص:٩/٣٧. والأنواء للزجّاج:٤٧.

(*) صغى: صغت النجوم، إذا مالت للغروب. ينظر: الصحاح في اللغة:١/٧٢٠ مادة (صغا).

(*) ابنُ جَمير: الليل المظلم. وابنا جَمير: اللّيلُ والنّهارُ. وقال ابن السكيت: ابنا جَمير وجُمَيْر: اليومانِ اللَّذانِ يستَتِر القَمَرُ بينهما في المحاقِ قبل التُّحيرةِ (آخر ليلةٍ من الشَّهر). ينظر: معجم مقاييس اللغة ١ /٤٧٨. مادة (جمر) والقاموس المحيط: ١/٤٠٨. مادة (الجمرة) والمخصص: ٩/٣١. والأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٢.

١٢٦- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٢. وفيه يقال لآخر يوم من الشهر.....

(*) غرر: ثلاث ليال من أوّل الشّهر. لأنَّ القمر كأنه غرة فيها. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢/١٩٢ مادة (غرر). و الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٠.

أبو حنيفة سميت شُهباً (❖)، لأنّ ضوءَ القَمر فيها غيرُ بَاهِرٍ للظُلْمَة ففيه منها شَوبٌ (❖).

أبو حنيفة نَصَّفَ الشهرُ ونَصَّفَ وانْصَفَ. وطَرْحُ الألِفِ أوْلى: بَلَغَ النِّصْفَ. وكذلك كل شيءٍ يؤُولُ إلى النصّفِ.

أبو حنيفة أدْرَعَ الشّهر (❖): جاوزَ النِّصْفِ.

أبو حنيفة الدَأدَأُ (❖) : آخر ليلة من الشهر.

أبو حنيفة سمي براءً (❖) لتَبَرُّءِ القمر فيه من الشَمس. وكانت العربُ تتيمنُ به (المخصص:٩/ ٣٠-٣٢).

رابعًا / باب الدَّراري (❖):

أبو حنيفة الدَرَاريُّ اللواتي يَدْرأنَ عليك من مطالعها. وكوكبٌ دُرِّيّ من ذلك. وقد دَرَأَ دُرْأً. وقيل هو الذي يَدْرَأ من المشرقِ إلى المغربِ. وهو مُضيئةٌ. ومَدَّهُ.

أبو حنيفة صَبأ النّجمُ: خرجَ عليكَ من مطلعه. وصبّأت ثنيّةُ الصّبيّ تَصْبأ: طلعت منه.

أبو حنيفة هبَّ الكوكَبُ: طلع. وأنشدَ:

فلمّا استَدار الفرقَدان زجرتُها ... وهبّ سماكٌ ذو سلاحٍ وأعزَل

وقال طلعَ الكوكبُ يطلُعُ طُلوعًا (المخصص:٩/ ٣٢ - ٣٤).

أبو حنيفة وهي الفَلْتَةُ: إذا كانت يشكُ فيها أمنَ الشّهر الذي أنتَ فيه هي أم من المُقبل. وقيل: الفَلتَةُ آخرُ ليلةٍ من أيّ شهرٍ كانَ من الأشهُر الحُرُم.

(❖) أي الغُرز التي تُسمّى كذلك ثُقلاً وفَرحًا. ينظر: المخصص:٩/ ٣٠. و الأزمنة وتلبية الجاهلية:٣٠. والشُّهب: الدَراريُّ وثلاثُ ليالٍ من الشهر. القاموس المحيط:١/ ٩٣. مادة (الشهب).

(❖) الشوبُ: الخَلْطُ. المصدر السابق:١/ ٩٣. مادة (الشوب) ومعجم مقاييس اللغة:٣/ ٢٢٥. مادة (شوب).

(❖) أدرع: إذا جاوزت النصف من الشهر فقد أدْرَعَ. ويقال ادْرَعَ الشّهر: إذا جاوزت ليالي الدرع. وهي الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر. وذلك لأنّ بعضها أسود. وبعضها أبيض. وقيل هي التي يطلع القمر فيها عند وجه الصبح. وسائرها أسود مظلم. وقيل: هي لبلة ست عشرة. وسبع عشرة. وثماني عشرة. وذلك لسواد أوائلها. وبياض سائرها. ينظر: لسان العرب:٨/ ٨٣ مادة (درع).

(❖) الدَأدأُ والدَأداءُ: ثلاث ليالٍ من آخر الشهر قبل ليالي المحاق. وقال أبو عمرو: الديداء. والدأداء من الشهر اخره. ينظر. الصحاح في اللغة:١/ ٣٨٤ مادة (دأد) الأزمنة وتلبية الجاهلية:٣١.

(❖) أي أوّلُ يومٍ من الشّهر، والقول لابن السكّيت. وإلى مثل ذلك ذهب قطرب: ينظر: المخصص: ٩/ ٣٢. والأزمنة والأمكنة:٢٢.

(❖) الدَراري: درأ علينا فلانٌ يدرأ دُروءًا. واندرَى أي: طلع مفاجأة. ومنه كوكب دريّ على فعّيل لشدة توقده وتلألئه. وقد درأ الكوكب دُروءًا. والعرب تسمي الكواكب العظام التي تعرف أسماءها الدراري. ينظر الصحاح في اللغة ١/ ٢٩٣ مادة (درأ). و الأزمنة وتلبية الجاهلية:٣٠.

- سير النجوم وانقضاضها وغروبها:

"أبو حنيفة" يقال لمُضيِّ النّجوم من المشرق إلى المغرب: جَرتْ جَريًا. وسارت سَيرًا. وسبحتْ سَبْحًا. وسامتْ سومًا. وعامت عومًا. ومَرَّتْ تَمُرُّ مَرًّا.

"أبو حنيفة ويقال في انقضاضها(*): انقضَّتْ و تَقَضَّتْ. وانكدرتْ. وانصرمتْ. وانتبضت"[127]. "أبو حنيفة" أفَل(*) الكوكب وغيرهُ يأفلُ ويأفِل أفلاً وأفُولاً. وانغمس. واغْتَمس. وسَقط. واقتحمَ. وخفقَ يخْفق خُفوقًا: غابَ وأخْفَقَ: همّ بالمغيبِ ولم يغب. كما يقال خَفَقَ الطائرُ: طار فمرَّ. وأخْفَقَ: ضربَ بجناحيه ليطير. ولمَّا يطِرْ.

أبو حنيفة"أقرأت النّجوم(*): غابتْ.

"وقال" خَوَّت النّجومُ(*). مالتْ ميلا. وانصبتْ. وهَوَت تَهْوي هُويًا. وخَجَّتْ(*) تخجيةً: كلّه انْحَدَرَت للمغيب. وعَمّ أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) بالتخجية كلّ مَيْلٍ. وقد يكون الهُويُّ من الانكدار. (المخصص:٣٥/٩).

خامسا/ باب الصبح وأسمائه:

"أبو حنيفة" الفَجْرُ: أوّلُ ضَوءٍ تَرَاهُ من الصَّباحِ. وهُما فجران. الأول منهما ذَنَبُ السِّرْحَانِ(*). وهو الفجر الكاذب تراه مستدقًّا. صاعدًا من غير اعتراض. وهو لا يُحرِّمُ الطّعام. ولا الشّراب على الصائم. والآخر: الفجر الصادق. وهو المستعرضُ. فأما الصّبح فلا يُقال فيه إلاّ صُبحٌ صادقٌ. والذي يلي الفجر من الليل. وهو السَّحر(*). والسُّحْرةُ والسَّدَفُ(*): أولُ شيءٍ يكونُ منَ الصّبحِ. ويقال للسّدُف: الغُطاط(*).

(*) الانقضاضُ: الوقُوع والهُويُّ. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٢/٥. مادة (قض). والقاموس المحيط: ٢. ٣٥٥. مادة (قض).

١٢٧- الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٠. وفيه: ".. وانصَبَّتْ انْصِبابًا".

(*) أفل: غاب. وقد أفلت الشمس تأفُل وتأفِل أفولاً: غابت. ينظر: الصحاح في اللغة ٣٥/١٠. مادة(أفل). والأزمنة وتلبية الجاهلية:١٧.

(*) يقال أقرأت النجوم إذا تأخر مطرها. ينظر: الصحاح في اللغة: ٢٨٨/٢. مادة (قرأ).

(*) خَوّتِ النُّجوم تخوية: مالتْ للمغيب. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٢٥/٢. مادة (خوى).

(*) خجّت تخجية: مالت ميلانًا. ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية:٢٠.

(*) السِّرْحان: الذئبُ: لأنه ينْسَرحُ في مطالبه. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٥٧/٣. مادة (سرح) والقاموس المحيط:٢٣٦/١. مادة (السرح).

(*) السحر: قُبيْل الصبح. ينظر: الصحاح في اللغة: ٥٧٠/١ مادة (سحر).

(*) السّدف والسّدفة: الظلمة. والطائفة من الليل. واختلاط الضوء والظلمة معاً. كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسنار (الإسفار: بقية بياض النهار بعد مغيب الشمس). (ينظر: القاموس المحيط:٥١/٢. مادة (السفر). وتجمع على سُدف. وهو من الأضداد: لأنّ أصل السُّدفة: السِّتر. فكأنّ النهار إذا أقْبلَ سَتَر ضوءهُ ظلمة الليل. وكأنَّ الليل إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النهار. وهو خطأ. في رأي الزجّاج. أن يُقال من الأضداد. إنما يقال: أتانا بسُدفة. أي أتانا في وجه الصُّبح. وإنما ظُلمةٌ قد خالطها ضياءٌ. ينظر: الصحاح في اللغة: ٥٧٧/١ مادة (سدف). والمخصص:٢٦١/١٣. ومعجم مقاييس اللغة:١٤٥/٣. مادة (سدف). والأضداد لابن الأنباري: ٨-٩. والأنواء للزجّاج:٤٤.

(*) الغُطاط: بالضم أول الصُّبح ينظر: الصحاح في اللغة :٢٠٢/٢مادة (غطط).

والغُطاطُ والبَريمُ(*)، والشَميطُ(*)، أي: قد اشتمطَ في الظُلمَةِ. فأنتَ تَراهُ بَياضًا في سَوادٍ. وتباشير الصُبح: أول ما يَبدُو منه.

أبو حنيفة: ويقالُ حينئذٍ: فتق الصَباحُ يَفتُقُ فُتُوقًا وانْفتَق.

أبو حنيفة: انشَقَ الصبْحُ وانْصاحَ: ساحَ سُيُوحًا. وانْبسَطَ. وانْفسَحَ. وانْفصَحَ. وفجَرَ يَفْجُرُ فجْرًا. وتَفجَرَ وانْفجَرَ عنهُ اللَيلُ.

أبو حنيفة: فإذا انتشر يمينا وشمالاً. قالوا: لاحَ الفَلَقُ والفَرَقُ. وقد انْفَلَقَ. وانْفرَقَ.

أبو حنيفة: وهو حينئذٍ: الصَديعُ لانْصِداعهِ من الليل. ويقال حينئذٍ: نَوَرَ.

أبو حنيفة: أضاءَ وضاءَ: وهو الضَوْءُ والضُوءُ.

أبو حنيفة: السُطُوعُ كالضِيَاءِ. وقد سَطعَ يَسْطعُ سُطُوعًا.

أبو حنيفة: الجُشُور(*): السطوع. جَشَرَ يجشُرُ. فإذا احمرَ بعد ذلك. واتَسع. فقد بَلَجَ(*). يُبلِجُ بُلُوجًا وانبلجَ وتَبَلَجَ فهو أبْلَجُ. وهي البُلْجةُ والبَلْجةُ.

أبو حنيفة: فإذا كان بعد ذلك شيءٌ. فعرفتَ المَارَّ ولو كان بساعَةٍ قيل: أسْفَرَ.

أبو حنيفة: ويقالُ طلعَ الصُبْحُ. وبَدا وعلا: غلبَ وظهرَ على الليل وتَنَفسَ الصُبحِ: انْصِداعُهُ وانْفِجَارُهُ. وقيل: بَلْ هو تَنَسُمُ أرْوَاحِه. وقيل بل هو علُوُهُ. وارتفاعه. (المخصص:٩/٤٨-٥١).

١- صفة النهار وأسماؤه:

أبو حنيفة: سُميت الهَاجِرةُ(*) هاجرة لهَرَبِ كلِّ شَيءٍ منها.

أبو حنيفة: وكذلك وقِفْتُ ودَوَمْتُ(*).

(*) البَريمُ: سواد الليل مختلطًا بياض النهار أو هو ضوء الشمس في بقية من سواد الليل. ينظر: معجم مقاييس اللغة:١/٢٣١. مادة (برم) والمعجم الوسيط:١/٥٢ مادة (برم).

(*) الشميط. الصُبح لاختلاط بياضه بباقي ظلمة الليل. ينظر: الصحاح: في اللغة :١/٦٨٥ مادة (شمط) والأزمنة وتلبية الجاهلية.٥٢.

(*) جشر الصُبح يجشر جشورًا. إذا انفلق وبدا لك. ينظر: الصحاح في اللغة :١/١٩٢ مادة(جشر) . والأزمنة وتلبية الجاهلية:٥٥.

(*) البلوج: الإشراق. تقول: بلج الصبح يبلج بالضم. أي أضاء. وانبلج وتبلَج مثله: وصبح أبلج: بين البلج أي: مشرق مضيء. وكلّ شيء وضح فقد ابلاخ ابليجاجا. والبلجة. في آخر الليل. يقال: رأيت بلجة إذا رأيت ضوءه. ينظر - الصحاح في اللغة : ١/١٠٨ مادة (بلج)والمعجم الوسيط:١/٦٨. مادة(بلج).

(*) الهَاجرةُ : وهي نصفُ النَهار. ينظر: الغريب المصنف:٢/٦١٩.

(*) وقد أوردَه ابن سيده تعقيبًا على قول ابن السِكّيت: من أنَّ الهاجرة: الظَهيرةُ في القيظ حين تكون الشمس بحيال رأسك وتركدُ وركودها أن تدُوم حيال رأسك كأنَها تُريدُ أن تَبرَحَ. وقد ركدت وتركدت وأرْكدَت . ينظر: المخصص:٩/٥٤.

من كتاب «الأنواء» لأبي حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ) دراسة تحقيقية

"أبو حنيفة" أي حين كادَ الحرّ أن يُعمي من شِدَّته(*). ولا يقال في البرد. وقيل حين يقوم قائم الظهيرة. وقيل: عُميُ الحرّ بعينه. وقيل: عُمَيٌّ (****) رجل من عَدْوَانَ كان يُفتي في الحجِّ فأقبل مُعتمرًا. ومعه رَكبٌ حتى نزلُوا بعض المنازل في يوم شديد الحر. فقال عُمَيٌّ: من جاءَتْ عليه هذه الساعةُ مِنْ غدٍ وهو حرامٌ ولم يقض عُمرتَهُ فهو حرامٌ إلى قابل. فوثب الناس يضربون حتى وافوا البيت. وبينهم وبينهُ وقيل: عُميُّ الحرّ بعينه. وقيل: عُمَيٌّ (****) رجل من عَدْوَانَ كان يُفتي في الحجِّ فأقبل مُعتمرًا. ومعه رَكبٌ حتى نزلُوا بعض المنازل في يوم شديد الحر. فقال عُمَيٌّ: من جاءَتْ عليه هذه الساعةُ مِنْ غدٍ وهو حرامٌ ولم يقض عُمرتَهُ فهو حرامٌ إلى قابل. فوثب الناس يضربون حتى وافوا البيت. وبينهم وبينهُ

من ذلك الموضع ليليتان(*) جادتانِ. فضرب مثلاً.

"أبو حنيفة" أبرَدَ النّهار وبرداه: طرفاه. ولا يكون إلاّ في الصيف (المخصص:٩/٥١ - ٥٤).

٢- نعوتُ الأيام في شدّتها:

"أبو حنيفة" أغمّ يومنا: جاءَ بغَمّ (المخصص:٩/٦٠).

(*) وهو المقصود عنده بقول ابن السكيت وأبي عبيد: أتيته أو لقيتُه صَكَّة عُمَيّ. ينظر المخصص: ٩/٥٤.

(****) أو لعلّهُ اسمٌ لرجُلٍ أغارَ على قوم ظُهراً. ينظر: القاموس المحيط: ٤/٣٦٩. مادة (عمي).

(*) أي: مسيرة ليلتين: ينظر: المصدر السابق نفسه.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن سيده آثاره وجهوده في اللغة، تأليف عبد الكريم شديد محمّد النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م.
- الأزمنة والأمكنة، لأبي علي حمد بن محمد المرزوقي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الأزمنة والأنواء، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي، تح. عزة حسن، طبعة وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٣م.
- الأزمنة وتلبية الجاهلية، لأبي علي محمد بن المستنير قطرب، تح. حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الأضداد، لأبي بكر محمد بن قاسم الأنباري، تح أبي الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- الأنواء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، طبعة حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٧٥هـ - ١٩٦٥م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرّحمن السيوطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح. عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، ط١، دار صادر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٣٤٥هـ.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح. عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٣٨٨هـ -١٩٦٩م.
- خزانة الأدب ولب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تح. وليد عرفات، دار صادر بيروت، ١٩٧٤م.
- دول الطوائف، لمحمد عبد الله عنان، ط١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تح. إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، تح. إحسان عباس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار الجيل، بيروت.

- الصحاح في اللغة للجوهري، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بحاشية أبي الحسن نور الدين محمد عبد الهادي السندي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- طبقات الأمم، لأبي القاسم بن أحمد صاعد الأندلسي، مطبعة محمد مطر، مصر.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر.
- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تح. صفوان عدنان داوودي، ط١، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- الفهرست، لمحمد بن إسحاق النّديم، تح. مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- في تاريخ المغرب والأندلس، لمحمد مختار العبادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، دار الجيل، بيروت.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر المحمية، ١٣١٦هـ.
- المخصص لابن سيده دراسة ودليل، لمحمد الطالبي، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٥٦م.
- المذكر والمؤنث، لابن التّستري الكاتب، تح أحمد عبد المجيد هريدي، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة - دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- المذكر والمؤنث، لأبي بكر بن الأنباري، تح. محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب المصري القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- المذكر والمؤنث، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، تح. رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ١٩٨٢ عليه السلام.
- مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية، لمحمود فاخوري، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- معالم الحضارة الإسلامية، لمصطفى الشّكعة، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م.
- معجم الأدباء، لياقوت بن عبد الله الحموي، المطبعة الأخيرة، مطبوعات دار المأمون.
- معجم المعاجم، تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية، لأحمد الشرقاوي إقبال، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح. عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

المعجم الوسيط. إخراج إبراهيم مصطفى. وحامد عبد القادر. وأحمد حسن الزيّات. ومحمد علي النجار. ط٢. دار الدعوة.

- مفاتيح العلوم. لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي. ط٢. منشورات مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. ١٤٠١هـ - ١٩٨١.

- النعم والبهائم والوحش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض. لأبي عبيد القاسم بن سلاّم. نشر وتعليق موريس بويج. حوليات جامعة القديس يوسف. المجلد:٣/١٩٠٨م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر. لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير. تح. /محمود محمد الطناحي. وطاهر أحمد الزاوي. ط١. دار إحياء الكتب العربية. ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن خلكان. تح. إحسان عباس. دار صادر. بيروت - لبنان.